المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا ـ فرع الأدب

قام الطالب بالتعديلات اللازمة:
أ.د. إبراهيم أحمد الحاردلو مشرفاً:
أ.د. صابر عبد الدايم يونس مناقشاً:
د. عبد الله إبراهيم الزهراني مناقشاً:

الاتجاه الإسلامي في شعر

محمد بن علي السنوسي



دراسة تحليلية فنية

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

فرع الأدب ـ تخصص أدب

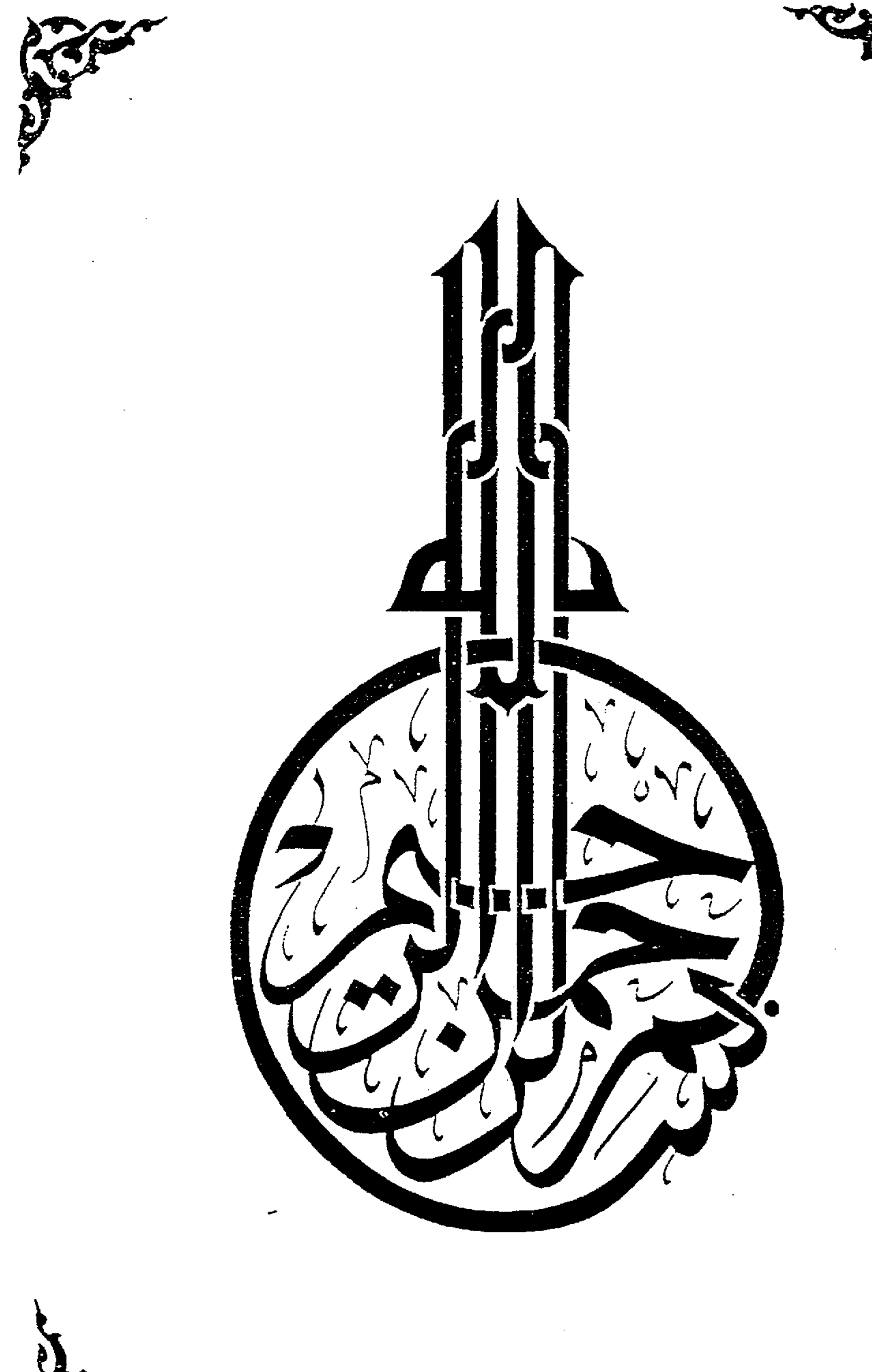
إعداد

الطالب: مفرح إدريس أحمد سيد

إشراف

الأستاذ الدكتور: إبراهيم أحمد الحاردلو

١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

هذه الرسالة معنية بإبراز الاتجاه الإسلامي في شعر محمد بن علي السنوسي، وقد تمت دراسته دراسة تحليلية فنية، وقد جاءت هذه الرسالة في تمهيد وأربعة فصول وخاتمة .

عرضت في التمهيد لتحديد مفهوم الشعر الإسلامي الذي أقصده في دراستي، وأتلمسه في شعر السنوسي، ثم قدمت نبذة مختصرة عن حياة الشاعر .

أما الفصل الأول: «النزعة الإسلامية في الأغراض الشعرية» فقد عنيت فيه بإبراز الأثر الإسلامي في الأغراض الشعرية التي احتوتها أعمال السنوسي الشعرية، القديم منها والمستحدث، وقد شملت دراستي فيه: المدح، والرثاء، والغزل، والوصف، والشعر الاجتماعي، والشعر الوطني .

أما الفصل الثاني: «موضوعات الشعر الإسلامي» فقد عنيت فيه بتأطير الموضوعات الإسلامية في شعره . ومن ثم دارستها، حيث تناولت شعره المتعلق بالعقيدة الإسلامية، ثم شعره المتصل بالإسلام ورسالته، ثم استلهامه للتاريخ الإسلامي، ثم شعره المتعلق بالحضارة والتراث الإسلامين، ثم شعره المتعلق بالدعوة إلى الجهاد، ثم شعره المتعلق بالدعوة إلى الوحدة العربية والإسلامية .

أما الفصل الثالث: «معاني الشعر الإسلامي» فقد قسمته إلى ثلاثة مباحث، تناولت في المبحث الأول الأفكار والمعاني في شعر السنوسي الإسلامي ومصادرها، وفي المبحث الثاني تناولت التجربة الشعرية والصدق الفني في شعر السنوسي الإسلامي، وفي المبحث الثالث تناولت الوحدة العضوية في شعر السنوسي الإسلامي .

أما الفصل الرابع: «الشكل والصورة في الشعر الإسلامي» فقد قسمته كسابقه إلى ثلاثة مباحث، تناولت في المبحث الأول معجم شاعرنا الشعري الإسلامي، وفي المبحث الثاني تناولت أسلوب الشاعر في الشعر الإسلامي، وفي المبحث الثالث تناولت بالدراسة الصورة الفنية في شعر السنوسي الإسلامي .

وفي الخاتمة: أوجزت ما فصلته في فصول هذه الدراسة ومباحثها، وذكرت النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث، وهي على النحو التالي:

١ .أوضحت الدراسة غناء الاتجاه الإسلامي في شعر السنوسي، وتعدد مجالاته وموضوعاته .

٢ .أثبتت الدراسة جودة شعر السنوسي الإسلامي، وتفوقه من الناحية الفنية .

٣ . توافر التجربة الشعرية الصادقة، والوحدة العضوية في شعر السنوسي الإسلامي في أكثر معانيه .

٤ .أن هذه الدراسة برغم تناولها اتجاهاً واحداً في شعر السنوسي، إلا أنها استطاعت أن تضيف إلى الدراسات التي دارت حول شعر السنوسي، وفصلت بعض ما أجمل فيها، ويمكننا حصر ذلك في ما يلي:

أ .التعمق في إبراز الروافد التي أثرت في شعر شاعرنا، سواء في معانيه، أو في شكله وصورته .

ب .اكتشاف بعض الظواهر الأسلوبية، ودراستها، كاقتباسه من الأسلوب القرآني، والحوار، والأسلوب القصصي .

ج .استخدامه للرمز التاريخي في كثير من تجاربه الشعرية، واتكاؤه على المفارقة التصويرية في بعض تجاربه الشعرية .

والحمد لله أولاً وآخراً

الباحث	المشرف	عميد الكلية
مفرح إدريس أحمد سيد	أ.د. إبراهيم أحمد الحاردلو	أ. د. حسن محمد باجودة

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فقد وقع اختياري على هذا البحث الذي هو بعنوان « الاتجاه الإسلامي في شعر محمد بن علي السنوسي دراسة تحليلية فنية » ليكون موضوعاً لرسالتي التي سأتقدم بها لنيل درجة الماجستير - إن شاء الله - وذلك لعدة أمور أهمها:

١ - أهميته النابعة من علاقته الوثيقة بالعقيدة الإسلامية التي تملأ حياتنا، وتوجه سلوكنا في هذه الحياة .

٢ - غزارته وتعدد مجالاته، فهو يكاد يسيطر سيطرة شبه تامة على جميع أعمال شاعرنا الشعرية .

٣ - جودته وتفوقه من الناحية الفنية التي يرى معظم المناوئين لفكرة الأدب الإسلامي تجرده منها؛ وذلك لغلبة الجانب الفكري - كما يزعمون - في الأدب الإسلامي على الجانب الفني .

٤ - عدم اهتمام الدارسين لشعر السنوسي بإبراز شعر هذا الاتجاه، واكتفاؤهم بالإشارة العابرة إليه في صفحات محدودة باعتباره غرضاً شعرياً من جملة الأغراض الشعرية التي حوتها أعمال السنوسي الشعرية .

ومن تلك الدراسات التي وجهت لشعر السنوسي، وأشار أصحابها إلى الاتجاه الإسلامي، ودرسوه بوصفه غرضا شعرياً أو اتجاها بصورة عامة ليس فيها تحليل ولا استقصاء:

- « محمد بن علي السنوسي شاعراً » للدكتور محمود شاكر سعيد .

- وما جاء عن السنوسي وشعره في كتاب: « المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية » للدكتور علي علي مصطفى صبح .

- والأطروحة العلمية التي أعدها الطالب محمد بن سليمان القسومي بعنوان: «محمد بن علي السنوسي حياته وشعره » لنيل درجة الماجستير من كلية اللغة العربية في الرياض .

٥ - إيماني العميق بضرورة إبراز هذا الاتجاه في نتاج الأدباء في سائر الفنون الأدبية، ودراسته دراسة علمية جادة، ومن ثم تقديمه لجمهور المتلقين، حتى يكون مشعلاً ينير السبيل أمام مسيرةالأدب الإسلامي المعاصر .

وأود أن أشير إلى أن منهجي في هذا الدراسة كان منهجاً وصفياً تحليلياً فنياً، عالجت من خلاله النصوص، ودرست ما فيها من قيم فنية في إطارها ومضمونها وصورها، وذلك لإيماني بجدوى هذا المنهج في دراسة الأدب، وحاجة شعر السنوسي الإسلامي إلى هذا المنهج في دراسته .

ومن الطبيعي أن تكون مصادر هذه الدراسة هي أعمال الشاعر الشعرية، سواء ما ضمه منها كتاب أو مجلد، كشعره الذي حوته (أعماله الكاملة)، أو كتاب (شعراء الجنوب)، أو الذي قدر لي الوقوف عليه في بعض الصحف والمجلات السعودية، فقد عمدت إليها، واستقيت منها المادة التي بنيت عليها هذه الدراسة، بعد أن استقرأتها في مظانها .

كما أفدت من الدراسات التي وجهت لشعر السنوسي، وقد أشرت لبعضها سابقاً، والدراسات المهتمة بإبراز الاتجاه الإسلامي في سائر عصورنا الأدبية، ولدى بعض الشعراء .

وهناك مراجع أدبية ونقدية وعلمية أفدت منها في هذه الدراسة، وقد أشرت إليها وإلى أصحابها وطبعاتها في الهوامش، كما أثبتها في آخر هذا البحث .

وقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن أجعلها في تمهيد وأربعة فصول وخاتمة .

أما التمهيد:

فقد تعرضت فيه لتحديد مفهوم الشعر الإسلامي الذي أقصده في دراستي، وأتلمسه في شعر السنوسي، ثم قدمت نبذة مختصرة عن الشاعر الذي تدور حول شعره دراستنا .

أما الفصل الأول:

(النزعة الإسلامية في الأغراض الشعرية)

فقد عنينا فيه بإبراز الأثر الإسلامي، والمعاني الإسلامية التي تضمنتها الأغراض الشعرية التي احتوت أغلب شعر السنوسي .

وقد شملت دراستي فيه الأغراض الشعرية الآتية:

المدح ، والرثاء ، والغزل ، والوصف ، والشعر الاجتماعي ، والشعر الوطني .

أما الفصل الثاني:

(موضوعات الشعر الإسلامي)

فقد عنينا فيه بتحديد ودراسة أهم الموضوعات الإسلامية في شعر السنوسي .

وقد شملت دراستي فيه الموضوعات الآتية:

١ - الشعر المتصل بالعقيدة الإسلامية:

وقفنا في شعره المتعلق بهذا الجانب عند دفاعه عن العقيدة الإسلامية ممثلة في أهم أسسها وهو الإيمان با لله وتوحيده، من خلال عرضنا للأدلة التي ساقها السنوسي

والتي تؤكد وجود الله ـ سبحانه وتعالى ـ ، وتشهد بوحدانيته، كما وقفنا عند شعره الذي دار حول الإيمان بقضاء الله وقدره، واليوم الآخر، وشعره الذي توجه به إلى خالقه سائلاً إياه فيه الرحمة والمغفرة واللطف .

٢ ـ الشعر المتصل بالإسلام ورسالته:

وقفنا في شعره المتعلق بهذا الجانب-أولاً-عند شعره الذي خص به الرسالة الإسلامية، حيث وقفنا على إشادته بها، ودفاعه عنها، ودعوته إلى اعتناقها .

ثم وقفنا عند بعض الآفاق العبادية التي كان لها نصيب في شعره، كالصلاة والصيام والحج .

٣ ـ استلهام التاريخ الإسلامي:

وقفنا في شعره الذي استلهم فيه تاريخنا الإسلامي-أولاً-عند بعض أبطال الإسلام والمسلمين الذين استدعاهم في بعض تجاربه الشعرية، ثم وقفنا عند أمجاد الأمة الإسلامية، وبعض معارك الفتوحات الإسلامية .

٤ ـ الشعر المتصل بالحضارة والتراث الإسلاميين:

عنينا في دراستنا لشعره المتعلق بهذا الجانب ببيان موقفه من حضارة وتراث أمته الإسلامية، وموقفه من الحضارة الغربية الحديثة، وبإبراز حرصه على بعث تلك الحضارة ودراسة تراثها الضخم، ودعوته إلى الاستفادة من ذلك التراث في إرساء دعائم النهضة الإسلامية المعاصرة وبنائها .

كما وقفنا على دفاعه المستميت عن لغة ذلك التراث، وتأكيده على دقتها وسعتها ومقدرتها على احتواء كل المعارف الإنسانية التالد منها والطريف .

٥ ـ الشعر المتصل بالدعوة إلى الجهاد:

عنينا في دراستنا لشعره المتعلق بهذا المجال بالإشارة إلى الدوافع والأسباب التي جعلته يلح في الدعوة إلى الجهاد، ثم أشرنا إلى الطرق التي اتخذها في دعوته إليه، ثم وقفنا معه عند بعض الانتصارات التي تحققت على أيدي بعض أبناء أمته الإسلامية عندما امتطوا صهوة الجهاد .

٦ ـ الشعر المتصل بالدعوة إلى الوحدة العربية والإسلامية:

أشرنا في بداية تناولنا لشعر السنوسي المتعلق بهذا الجانب إلى انقسام الشعراء في دعوتهم إلى الوحدة، ثم أكدنا على اهتمام السنوسي بوحدة العرب والمسلمين، وبينا الأسباب التي جعلته يلح على الوحدة العربية، ونفينا عنه صفة القومية في دعوته إلى الوحدة العربية، وقدمنا من الأسباب والأدلة ما نراه كافياً لدحض أي تهمة قد توجه إليه من خلال دعوته تلك، ثم أشرنا إلى الطرق التي انتهجها في دعوته إلى الوحدة العربية والإسلامية، والصورة المستقبلية التي رسمها لأمته في ظل وحدتها .

أما الفصل الثالث:

(معاني الشعر الإسلامي)

وقد قسمته إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: (المعاني والأفكار) .

وقد أشرت فيه إلى أهم المعاني التي دار حولها شعر السنوسي الإسلامي، ذات الصلة الوثيقة بالإسلام ورسالته، ثم أشرت إلى سمو تلك المعاني وجلالها، ووضوحها، وتفاعله معها ...

ثم قمت برصد أبرز ظاهرة في شعره الإسلامي، والتي تتمثل في استيحائه لأغلب معانيه من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وتضمينه لبعض أحداث السَيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي .

المبحث الثاني: تناولت فيه: (التجربة الشعرية والصدق الفني)

عرضت-أولاً- لمعنى التجربة الشعرية والصدق الفني، ثم قمت بتناول شعر السنوسي الإسلامي من هذه الناحية، وركزت على عنصر العاطفة، ومدى صدقها فيه، وقد تبين لي صدقه الفني والشعوري في كل الأغراض والموضوعات التي طرقها،

عدا بعض قصائده في مجال العقيدة الإسلامية، فقد تخلفت العاطفة فيها قليلاً، وذلك لطغيان عنصر الفكر فيها .

المبحث الثالث: تناولت فيه: (الوحدة العضوية)

وقد عرضت في البداية لمفهوم الوحدة العضوية لدى بعض نقادنا المحدثين، ثم أخذت بمفهوم الأستاذ مصطفى السحرتي لها في دراستي لشعر السنوسي الإسلامي .

وقد وقفت على توافرها بجميع مظاهرها في قصائده ذات النزعة القصصية، كما وقفت على توافرها في معظم قصائده التي خلت من النزعة القصصية؛ وذلك لاستقلالها بموضوع واحد، وهيمنة إحساس وشعور واحد عليها، وتضافر الألفاظ والصور على إبراز ذلك الإحساس والشعور المهيمن عليها .

ووقفت على توافرها ـ أيضاً ـ في أبيات محدودة في بعض القصائد التي لم تخضع لموضوع واحد، حيث رأينا تلك الأبيات بنية حية متماسكة، تتضافر فيها الألفاظ والصور لإبراز الفكرة التي يقصدها الشاعر، أو الإحساس الذي هيمن عليه أو اعتراه فيها .

أما الفصل الرابع:

(الشكل والصورة في الشعر الإسلامي)

وقد قسمته إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: (المعجم الشعري) .

وقد أشرت في بداية تناولي له إلى تأثره بقراءات الشاعر المختلفة، كما أشرت إلى تأثره بعصره وواقعه الذي يعيشه .

ثم عنيت بإبراز معجم شاعرنا الإسلامي ، وقد تبين لي مدى تأثر معجمه بالقرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، والتاريخ الإسلامي .

المبحث الثاني: (الأسلوب) .

عرضت في بادئ الأمر إلى ملاءمته بين الألفاظ والمعاني في شعره، حيث وجدناه يستخدم بعض الألفاظ العذبة والرشيقة في المعاني التي تتطلب مثل تلك السمات في الألفاظ كالغزل ، والرثاء ، والشكوى .

ويستخدم بعض الألفاظ الشديدة والجزلة في المعاني التي تتطلب تلك الشدة والجزالة كالمدح ، وكثير من شعره الوطني ، وفي فخره بماضي أمته الإسلامية، والإشادة بالرسالة الإسلامية وحضارتها، وفي تصديه للحملات الاستعمارية ...

ثم وقفت عند أبرز الظواهر الأسلوبية في شعره والتي تمثلت في: اقتباسه من الأسلوب القرآني، والتكرار، والحوار، والأسلوب القصصي .

وقد أرجعت ذلك التعدد في أسلوبه إلى ثقافته الواسعة، وإدراكه أن لكل تجربة شعرية إطارها الملائم لها .

المبحث الثالث: (الصورة الفنية) .

تناولت بالدراسة ـ أولاً ـ مصادر صور الشاعر في شعره الإسلامي، وقد اتضح لي أن أغلب صوره تعود إلى ثلاثة مصادر: ثقافية، طبيعية، إنسانية .

ثم عرضت للخيال والصورة الشعرية، وقد وقفت على حضور خياله في صوره الشعرية: المجازية والحقيقية، وركزت على التشخيص والتجسيم من صوره المجازية؛ لميله الشديد إليهما، ثم أشرت في دراستي لصوره الحقيقية إلى حسن اختياره للألفاظ القادرة على التصوير من خلال جرسها أو ظلالها .

ثم أشرت إلى دور خياله في توليد بعض الصور الذهنية، والمتمثلة في استخدامه لبعض الشخصيات التراثية في شعره، كرموز سعى من خلالها إلى ربط اللحظة الحاضرة بأختها في الزمن الغابر .

ثم تناولت في نهاية دراستي للصورة الفنية، المفارقة التصويرية، باعتبارها وسيلة من الوسائل التصويرية التي اتكأ عليها في بعض تجاربه الشعرية .

وفي الخاتمة:

أوجزت ما فصلته في فصول هذه الدراسة ومباحثها، وذكرت النتائج التي استطاع هذا البحث أن يحققها .

وبعد: ...

فقد بذلت قصارى جهدي لإخراج هذا البحث في أتم صورة، وأخلصت فيه لله قصدي، ولست أزعم أنني وصلت به إلى مرتبة الكمال، أو أني وصلت فيه للكلمة الأخيرة، ولكن هي محاولة جادة، إن أصابها التوفيق فبفضل من ا لله وحده، وإن كانت الأخرى فمن قصوري لا تقصيري، ومن عجزي لا تفريطي .

وفي الختام: أحمد ا لله تعالى الذي هيأ لي فرصة البحث، وأعانني على إتمامه على هذا النحو .

وأتوجه بخالص شكري إلى كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى ممثلة في عميدها الأستاذ الدكتور حسن باجودة، وإلى رئيس قسم الدراسات العليا فيها سعادة الأستاذ الدكتور سليمان بن إبراهيم العايد، الذي لم يضن علي بنصائحه، ولم يحرمني من حثه وتشجيعه .

ولا أظنني قادراً ـ في النهاية ـ أن أفي أستاذي الفاضل سعادة الأستاذ الدكتور إبراهيم أحمد الحاردلو حقه، عن كل ما قدمه للبحث وصاحبه من علم واع، وإنسانية فياضة، وأستاذية كريمة، يحق لي أن أتيه بها دائماً ، فلقد كان وراء عملي حين يخور العزم، وأمامه حين تتقطع الأسباب، وعندئذ لا أملك إلا أن أدعو ا لله عز وجل أن يجزيه عني خير الجزاء، وأن يوفيه حقه علماً وحكمة، وصحة وعافية، وتوفيقاً ونوراً، إنه سميعٌ مجيب الدعاء .

التمهيد

أ ـ مفهوم الشعر الإسلامي[1]:

ماذا نقصد بالشعر الإسلامي في دراستنا هذه ؟

هل نقصد به ذلك الشعر الذي يتردد فيه ذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ ، وتمجيد

---

(١) هناك تعريف للفن الإسلامي بصورة عامة تبنته رابطة الأدب الإسلامي، ودعت إلى تمثله ، ودراسة الأدب من خلاله ، وهذا التعريف هو: « التعبير الجميل عن حقائق الوجود ، من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود » .

انظر: منهج الفن الإسلامي ، محمد قطب ـ ط (٨) ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣م، ص: ١١٩ .

ولم يخرج الباحثون والدارسون الذين خاضوا في هذا الموضوع للوصول إلى تعريف موحد للأدب الإسلامي عن ذلك المفهوم إلا في ألفاظ وعبارات .

انظر: الدكتور نجيب الكيلاني في كتابيه: « الإسلامية والمذاهب الأدبية » ـ ط ـ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ، مؤسسة الرسالة ص: ٩، و « مدخل إلى الأدب الإسلامي » ـ ط (١)، الدوحة، رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية في دولة قطر، ١٤٠٧ هـ، ص: ٣٦ .

وانظر: الدكتور عماد الدين خليل في كتابه: « في النقد الإسلامي المعاصر » ـ ط (٣) ـ ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م ، مؤسسة الرسالة ص: ٤٣ .

وانظر الدكتور عبدالرحمن رأفت الباشا في بحثه: « نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد » مجلة كلية اللغة العربية ، العدد (١١) عام ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ، ص: ٣٣٧ .

وانظر الحوار الذي أجراه الأستاذ محمد العوين في مجلة اليمامة مع عدد من رواد الأدب الإسلامي، مبدعين ونقاد، حول إشكالية مفهوم « الأدب الإسلامي » العدد (١١٤٨) والعدد (١١٤٩) في شهر رمضان عام ١٤١١هـ .

وأنا لا أرفض هذا المفهوم للفن الإسلامي، لكني لا آخذ به في دراستي للاتجاه الإسلامي في شعر السنوسي؛ وذلك لعدم تحققه بهذا المفهوم الدقيق في نتاج شاعرنا .

الرسول الكريم ﷺ ؟

أم نقصد بـه ذلـك الشعر الوعظـي الـذي يهتـم فيـه منشئه بإسـداء النصـائح والتوجيهات، والترغيب في الجنة، والتحذير من النار ؟

أم نقصد به ذلك الشعر الذي يهتم بمعالجة قضايا المسلمين في كل مكان ؟

أم أننا نقصد به شيئاً أعم من ذلك وأشمل ؟

والحقيقة التي يجب أن نعيهـا جميعـاً أن مجـالات الشـعر الإسـلامي الـتي يـدور في فلكها، وينابيعه الثرة التي يمتح منها أو سع من ذلك بكثير، فهي ليست محدودة بحد، ولا محصية بعد .

ونحن في دراستنا نقصد بالشعر الإسـلامي: ذلـك الشـعر الـذي يتصـل بالإسـلام اتصال الفرع بالأصل، والجدول بالينبوع، الشعر الذي يحمل فكرة إسلامية نـيرة، أو عاطفة دينية سامية .

وبهذا المفهوم للشعر الإسلامي يتضح لنا أن الشعر الإسلامي لا ينحصر في إطـار الشعر الخلقي، ولا في إطار الحكم والنصـائح الـتي يمكـن أن تقـال في أي عصـر مـن العصور .

ولسنا نقصد بالإسلامية فيه أن يكون دينيـاً يعـني بالتسبيح والتحميـد، والدعـاء والاستغفار، ونحوهما من ابتهال للمولى سبحانه، وتعظيم له، وحديث عن عجـائب مخلوقاته، فذلك شعر إسلامي، ولكنه ليس كل الشعر الإسلامي، بل بعض من كـل، وجزء من جسم، فالشعر الإسلامي أوسع من ذلك بكثير، فهـو يتنـاول كـل قضايـا الكون والحياة والإنسان حـين تمـزج بالعاطفـة الإسـلامية، أو تتشـح بوشـاح الفكـر الإسلامي[1] .

---

(١) الشعر الإسلامي في صدر الإسلام د. عبد الله الحامد - ط (١) ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص: ١٤ - ١٥ « بتصرف » .

ب ـ نبذة مختصرة عن الشاعر

هو محمد بن علي بن محمد بن يوسف بن أبي بكر بن يوسف بن محمد السنوسي[١] .

ينحدر أصله من الأسرة السنوسية المعروفة ببلاد المغرب العربي[٢] .

ولد في مدينة جازان في شهر ربيع الأول سنة ١٣٤٣هـ[٣]، وقد نشأ شاعرنا في

---

(١) مجلة المنهل ، المجلد (٣٨) ج١، ٢، محرم، وصفر ١٣٩٦هـ .

(٢) أشار إلى ذلك الدكتور عبد الله أبو داهش في كتابه « المفقود من شعر علي بن محمد السنوسي » ص: ١١، بقوله: «يعود نسبه في الأسرة السنوسية المعروفة ببلاد المغرب العربي » وقد أخذ هذا عن حديث للشاعر محمد بن علي السنوسي في مجلة المنهل (جمادى الآخرة ١٣٧٨هـ) .
كما أشار إلى ذلك الدكتور محمود شاكر سعيد في كتابه « محمد بن علي السنوسي شاعراً » ص (١)، عمان ١٤١٠هـ، ص: ١١، حيث يقول: « وينحدر أصله من الأسرة السنوسية في ليبيا، وينتمي إلى بلدة هناك تسمى العرش، هاجر جده إلى مصر ثم إلى مكة، وهناك ولد والد شاعرنا السيد علي السنوسي » .
ويمكننا بعد عرضنا لهذين القولين الاطمئنان إلى ما أخذ به الدكتور عبد الله أبو داهش لسببين:
أولهما: أن الأسرة السنوسية في ليبيا فرع ينحدر من محمد بن علي السنوسي (مؤسس الطريقة السنوسية) بينما شاعرنا ـ كما يظهر من نسبه ـ لا ينحدر من هذا الفرع .
انظر: المغرب العربي الكبير في العصر الحديث د. شوقي الجمل، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص (١) ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م، ص: ١٥١ .
ثانيهما: أنه ذكر أنه ينتمي إلى بلدة هناك تسمى العرش، و لم يظهر لي ـ فيما اطلعت عليه من المصادر ـ أن في ليبيا بلدة تسمى العرش .
انظر: محمد بن علي السنوسي حياته وشعره، محمد بن سليمان القسومي، رسالةماجستير مخطوطة بمكتبة كلية اللغة العربية في الرياض ـ العام الجامعي ١٤١٣هـ ـ ١٤١٤هـ، ص: ٦٠ .

(٣) ذكر ذلك الدكتور محمود شاكر سعيد في كتابه « محمد بن علي السنوسي شاعراً » وعلق عليه بالهامش قائلاً: هكذا ذكر لي الشاعر، وأنه وجد هذا بخط والده. ص: ١١ .

بيت علم وأدب، وتقي وصلاح، فوالده يعد من أهل العلم والفضل، وأحد رجال القضاء في العهد الإدريسي والسعودي[١] .

وهو إلى جانب ذلك شاعر مجيد، يأتي « في المقدمة من شعراء [بلاده في] النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري »[٢] .

تلقى شاعرنا تعليمه في كتاب للفقيه محمد بن عبد الله الشماخي[٣]، حيث درس القرآن والخط بطريقة الألواح مدة أربع أو خمس سنوات .

وكانت دراسته في هذه المدرسة على فترتين يومياً، فترة صباحية، وأخرى مسائية[٤] .

وبعد أن تعلم مبادئ القراءة والكتابة، تلقى تعليمه على يد والده، حيث درس النحو والصرف والفقه والتوحيد، وكان والده الوحيد في جازان الذي لا يلحن في كلامه، لا في جد ولا في هزل، كما ذكر شاعرنا[٥] .

ثم تلقى تعليمه في مدرسة أهلية أخرى هي مدرسة علي بن أحمد عيسى[٦]

---

(١) مجلة المنهل، المجلد (٣٨) محرم، وصفر ١٣٩٦هـ، ربيع الأول ١٣٩٦هـ، و المفقود من شعر علي ابن محمد السنوسي ص: ١٢ ـ ١٣ .

(٢) من شعراء الجنوب (علي بن محمد السنوسي) د. محمد بن سعد بن حسين، مجلة الحرس الوطني، ع (٥٠) ربيع الآخر ١٤٠٧هـ .

(٣) محمد بن عبد الله الشماخي: كان صاحب كتاب لتعليم الأطفال واليافعين القراءة والكتابة على الطريقة القديمة، وقد توفاه الله في حوالي سنة ١٣٦٠هـ أو بعدها، انظر ذلك في (محمد بن علي السنوسي حياته وشعره) ص: ٢٩ .

(٤) محمد بن علي السنوسي شاعراً ص: ١٢ .

(٥) المرجع السابق ص: ١٢ .

(٦) علي بن أحمد بن عيسى: درس على علماء الشناقطة، ثم على يد الشيخ عقيل بن أحمد، وبعدها افتتح كتاباً لتعليم الأطفال اليافعين، وعندما أنشئت المدارس الحكومية عين مدرساً، ثم مديراً لمدرسة صبيا، ثم تقاعد ولزم داره للتعليم والإفادة، إلى أن توفاه الله في حوالي سنة ١٣٩٥هـ . انظر ذلك في: (محمد بن علي السنوسي حياته وشعره) ص: ١٢ .

حيث تعلم الحساب والخط[١] .

وتتلمذ على يد الشيخ عقيل بن أحمد بن حنين[٢]، ثم انصرف بعد ذلك إلى القراءة الحرة حيث نهل من مكتبة أبيه في علوم التاريخ والأدب واللغة والشعر حتى ثقف نفسه ثقافة عالية ظهرت آثارها في شعره[٣] .

وقد أشار شاعرنا إلى ذلك بقوله: « وقد نشأت في جو علمي يزخر بالكتب، ووسط يشع بالمعرفة، فكان لهذا أثره العلمي والأدبي في نفسي، وفكري، وشعوري، فنشأت على ذلك، وتأثرت به .. »[٤] .

وقد أشاد بسعة ثقافته عدد من الدارسين لشعره، ومنهم الأستاذ محمد بن سعيد العامودي حيث يقول: « ولعل من ميزات السنوسي - وهي ميزة أعتقد أن القليلين من شعرائنا يشاركونه فيها - إكثاره من القراءة والاطلاع، فالسنوسي مولع بأن يقرأ، وأن يقرأ، وأن يشارك في العديد من الفنون، والعديد من ألوان المعرفة، وإني لأغبط السنوسي حقاً أن أراه مولعاً - إلى حد النهم - بالقراءة والاطلاع... ، وأعتقد أن لثقافة السنوسي المتعددة الجوانب أثرها في شعره بصورة عامة، إلى جانب موهبته

---

(١) محمد بن علي السنوسي شاعراً ص: ١٢ .

(٢) عقيل بن أحمد بن حنين: ولد في سنة ١٣٠١هـ، قرأ وهو في الثلاثين من عمره على الشناقطة الوافدين على الإمام الإدريسي وغيرهم، وكان ممن يقرأ صحيح البخاري في الحلقة التي يعقدها الإدريسي لدراسة الحديث، ثم تفرغ للتدريس في جازان في مسجد الحافة، ومسجد المهدلي، كما درس في عريش أقيم حول داره، وكان يدرس الفقه، والفرائض، والنحو، والبلاغة .

توفي سنة ١٣٨٢هـ، وقيل: في سنة ١٣٨٤هـ .

انظر: محمد بن علي السنوسي حياته وشعره ص: ٣١، والحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية، عبد الله محمد حسين، أبو داهش، ص: ٥٤، ط (١) ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، منشورات دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام .

(٣) محمد بن علي السنوسي شاعراً ص: ١٢ .

(٤) والدي السيد علي السنوسي، مجلة المنهل، مجلد (٢٩) جـ ١٢، ذو الحجة سنة ١٣٨٨هـ .

الفنية المعطاء ... »[١] .

التحق شاعرنا بعدد من الوظائف الحكومية، ففي سنة ١٣٥٧هـ عمل في سلك الجمارك، وظل يتدرج في السلم الوظيفي حتى صار مديراً لجمارك جازان في سنة ١٣٧٠هـ .

وفي سنة ١٣٨٥هـ عين رئساً لبلدية جازان، ثم اختير لإدارة شركة كهرباء جازان في سنة ١٣٨٩هـ، وظل بها حتى تفرغ لحياته الأدبية في سنة ١٣٩٣هـ، وكان أحد الأعضاء المؤسسين للنادي الأدبي في جازان، عمل مساعداً لرئيسه[٢] منذ إنشائه حتى سنة ١٤٠٠هـ، حيث تولى فيها رئاسة النادي، واستمر حتى وفاته.

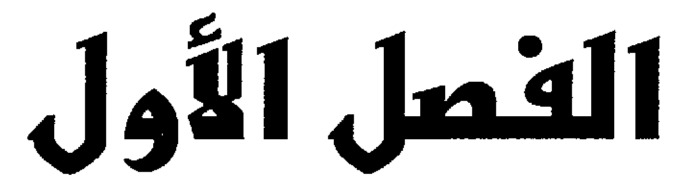
وفي مساء يوم الأربعاء الموافق ٧/١٠/ ١٤٠٧هـ، وبعد رحلة مضنية مع المرض وافاه الأجل في مدينة جازان « فخرج شيوخها وشبابها يودعون أحد أبنائها البررة، وجاء أصدقاؤه ومحبو أدبه من مختلف أنحاء المملكة، فشاركوا في تشييع جنازته »[٣].

---

(١) الأعمال الكاملة للشاعر محمد بن علي السنوسي، منشورات نادي جازان الأدبي، مطابع الروضة، جدة، ط (١) ١٤٠٣هـ، من ص: ٣٠٩ ـ ٣١٠ .

(٢) هو محمد بن أحمد العقيلي، أول رئيس للنادي الأدبي بجازان .

(٣) محمد بن علي السنوسي حياته وشعره ص: ٧٨ .



النزعة الإسلامية في الأغراض الشعرية

النزعة الإسلامية في الأغراض الشعرية

١ - المدح:

إن المدح من أبرز الأغراض الشعرية التي تناولها الشعراء منذ العصر الجاهلي إلى عصرنا الحديث، إن لم يكن أبرزها على الإطلاق .

والمتأمل في معاني هذا الغرض في رحلته الطويلة، يجدها قد طوعت للفترة التي قيلت فيها، وتمثلتها خير تمثيل، فهي في الجاهلية غيرها في الإسلام .

ففي الوقت الذي تكاد تنحصر فيه معاني هذا الغرض في المثل الخلقية « التي يعتد بها العربي منذ جاهليته، من مروءة، وسماحة، وحزم، وعفة، وعزة نفس، وإباء، وشجاعة، وكرم »[١] نجدالإسلام بتعاليمه ومثله يوسع دائرة هذا الغرض، ويمد الشعراء الإسلاميين بمعان جديدة، أملتها طبيعته، فتمثلوها في نتاجهم الشعري .

ولو تتبعنا تلك المعاني الجديدة التي انداحت في قصائد مديح أولئك الشعراء لوجدناها تدور - في أغلبها - حول قيمة الرسالة، وصلتها با لله، والإيمان بقيادة الرسول، والعدل في المسيرة، والالتزام بالحق، والمساواة بين الناس، والصدق في الدعوة، وتبليغ الرسالة، وتطبيق أحكام القرآن ...[٢]

بالإضافة إلى تلك المعاني التي دارت على ألسنة الشعراء في العصر الجاهلي - والتي

---

(١) التيار الإسلامي في العصر العباسي الأول، د. مجاهد مصطفى بهجت، ط (١) ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ص: ٢٢٩ .

(٢) دراسات في الأدب الإسلامي، سامي مكي العاني، مطبعة المعارف ـــ بغداد، ١٩٦٨م، ص: ٧٤ .

كانت تمثل الشخصية المثالية في المجتمع العربي في ذلك العصر ـ بعد أن عمل الإسلام على تهذيبها والسمو بشأنها؛ حتى تتفق مع مقاصده ومثله العليا .

ولم يخل أي عصر من عصورنا الأدبية من تكرار لتلك المعاني؛ لأنها أصبحت بمثابة الصفات المثالية للحاكم والقائد المسلم في كل زمان ومكان .

وشاعرنا ـ كما تفصح أشعاره ـ يضمن قصائده المادحة لحكام بلاده من (آل سعود) تلك المعاني الإسلامية، وهذا التضمين لا يستغرب منه، خاصة ونحن نعلم أن قادة بلاده قد اتخذوا « الإسلام والشريعة الإسلامية بدستورها السماوي الخالد، وما تضمنه ذلك الدستور من قوانين وأنظمة منهجاً التزموا بتطبيقه في جميع مناحي الحياة »[١] .

ولم يكن طامعاً من ورائها في مال أو جاه، وإنما كان صادقاً فيها، غير متكلف أو مبالغ، وهذا ما أكده معظم الدارسين لشعره؛ فالدكتور كامل السوافيري يرى أن أهم سمة تميز شاعرنا عن غيره من الشعراء في قصيدة المدح « أنه لا يتكلف، أو يقول ما لا يعتقد، أو يمدح مثلا من لا يرى أنه أهل للمدح »[٢] .

ويؤكد ذلك الأستاذ محمد سعيد العامودي بقوله: « لا يحاول أن يتكلف، أو يظهر بغير حقيقته...، أو يقول ما لا يعتقد، أو يمدح ـ مثلاً ـ من لا يرى أنه أهل لثناء أو مدح... وإنما هو في كل ما طالعته من شعره، لا أراه إلا حريصاً كل الحرص على التزامه لهذه السمة، سمة الصدق في التعبير »[٣] .

وقد وقفنا في رحلتنا مع شعره في هذا الغرض على جملة من المعاني الإسلامية،

---

(١) حالة الأمن في عهد الملك عبد العزيز، تأليف رابح لطفي جمعة، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م، ص: ٨١ .

(٢) الأعمال الكاملة ص: ٦٧٠ .

(٣) المصدر نفسه ص: ٣٠٩ .

التي دارت على ألسنة الشعراء في مدائحهم للخلفاء والأمراء والقادة الإسلاميين، في مختلف عصورنا الأدبية .

وهذا التكرار من قبل شاعرنا لتلك المعاني لا يدفعنا إلى القول بعدم مصداقيته فيما يقول، ولا إلى اتهامه بالتقليد لأولئك الشعراء في معانيهم، وذلك لأن تلك المعاني - التي احتشدت بها قصائده المادحة - كان لها حضورها الفعلي فيهم، ولم تكن تجلب من قبله، حتى يتمثلها ممدوحوه في حياتهم .

فالملك عبد العزيز - كما هو عند شاعرنا - مصلح عظيم، عمل على لم الشمل بعد طول تفرق، ودأب على نشر الرسالة الإسلامية في بلاده بعد أن درست فيها، واستمد أحكامه من تعاليمها، محيياً بذلك سنة المصطفى - ﷺ - وهو بالإضافة إلى ذلك ملك مؤمن با لله، قوي الإرادة، شجاع، يعشق المعالي من الأمور .

نقف على هذه المعاني الجليلة السامية، والصفات الخلقية الرفيعة في قوله:

ومَشَى المُصْلِحُ العَظِيمُ أَبُو الفَيْـ ـصَلِ يَسْعَى في هِمَّةٍ واهْتِمَامِ
يَجْمَعُ الشَّمْلَ والقُلُوبَ ويَبْنِي دَوْلَةَ النُّورِ بِالهُدَى والحُسَامِ
بِالهُدَى لِلْهُدَاةِ والسَّيْفِ لِلإِجْـ ـرَامِ مِنْ كُلِّ مُجْرِمٍ هَدَّامِ
سُنَّةُ المُصْطَفَى وهَلْ يَسْتَقِيمُ الـ أَمْرُ إِلاَّ بِدِقَّةِ الأَحْكَامِ
ومَضَى الرَّكْبُ يَحْمِلُ التَّبِعَةَ الكُبْـ ـرَى ويَمْشِي إِلَى أَمَامِ الإِمَامِ[1]

وفي قوله[2]:

مَلِكٌ لَمْ يُطَأْطِئِ الرَّأْسَ إِلاَّ في رُكُوعٍ لِرَبِّهِ أَوْ سُجُودِ
هِمَّةٌ تَرْكَبُ الصِّعَابَ ونَفْسٌ تَأْخُذُ المَجْدَ من جِبَاهِ الأُسُودِ
أَرْغَمَتْ كُلَّ جَاحِدٍ دَأْبُهُ التَّضْـ ـلِيلُ بَغْياً على احْتِرَامِ الحُدُودِ

---

(١) المصدر السابق ص: ٥٨٨ - ٥٨٩ .

(٢) المصدر نفسه ص: ٤٢ .

وقوله[١]:

شَــقَّ جُنْحَ اللَّيْلِ عَزْماً ومَضَى ... يَرْكَبُ الهَوْلَ ويُزْجِي ويَقُودُ

يَمْتَطِي طِرْفاً ويَنْضُو صَــارِماً ... مَالَهُ في وَثْبَةِ المَجْدِ حُـدُودُ[٢]

يَقْنُصُ المَجْدَ ويَصْطَادُ العُــلاَ ... والظُّبَا تَلْمَعُ والمَوْتُ رَصِيـدُ

العُلاَ أَبْعَـــدُ شَــيءٍ يَبْتَغِي ... والرَّدَى أَقْرَبُ مَطْلُوبٍ يُرِيدُ

وتتكرر تلك المعاني في مدحه للملك سعود ـ رحمه الله ـ بعد أن سار على نهـج أبيه، مستمداً منه حرصه على تطبيق الشريعة الإسلامية، والسير علـى نهـج الرسـول ـ ﷺ ـ وهديه، في قوله[٣]:

نَـصِيرُ الهُـدَى والله جَلَّ جَلاَلُهُ ... نَصِيرٌ لَهُ من كُلِّ بَاغٍ ونَمْرُودِ[٤]

يُقِيمُ على القُرْآنِ دَسْتُورَ حُكْمِهِ ... ويَقْضِي بِهِ في كُلِّ غَيْبٍ ومَشْهُودِ

ويَبْنِي على نَهْجِ الرَّسُولِ وهَدْيِهِ ... دَعَائِمَ مُلْكٍ من يَقِيْنٍ وتَوْحِــيدِ

ويَعْتَزُّ بِالإِسْلاَمِ مَهْمَــا تَكَاثَرَتْ ... عَلَيْهِ الأَعَادِي دَأْبُ آبَائِهِ الصِّيْدِ[٥]

ومن المعاني الإسلامية التي امتدح بها الملك سعود: العفو عنـد المقـدرة، والحلـم، ورعاية الأيتام والأرامل والطاعنين في السن، والصدق في التعـامل، والكـرم، والغيرة على الأعراض والحرمات، نجد ذلك في قوله[٦]:

وعَفَى العَاهِلُ العَظِيمُ وأَضْفَى ... حِلْمَهُ وَاسِعاً وأَرْخَى السِّــتَارَا

---

(١) المصدر السابق ص: ١٣٩ ـ ١٤٠ .

(٢) طرفاً: الطرف: الكريم العتيق من الخيل، وينضو: يستل .

(٣) مجلة المنهل، المجلد (٢٣)، شعبان ١٣٨٢هـ، ص: ٤٨٦ .

(٤) باغ: البغي: الظلم والفساد، والمراد به هنا: الظالم الخارج عن طاعة الإمام العادل، ونمرود: المراد به هنا: الرجل المتمرد .

(٥) الصيد: الذين يرفعون رؤوسهم كبراً، ولعله أراد بهم هنا: العظام .

(٦) الأعمال الكاملة ص: ٢١١ .

وحَمَى الأَنْفُسَ المُبَاحَةَ لِلسَّيـ ـفِ اقْتِدَاراً وعَفَّ عَنْها اقْتِدَارَا
ورَعَى أَرْمَـلاً وضَمَّ يَتِيْماً وأَغَـاثَ اللَّـهِيفَ والمُخْتَارَا

وقوله(١):

أَضَاءَتْ بِهِ الدُّنْيَا ورَفَّتْ لَهُ المُنَى
وصَحَّتْ بِهِ الرُّؤْيَا بِوَعْدٍ ومَوْعُودِ
مَـلاذٌ لِلَـهْـفَانِ وأَمْـنٌ لِخَائِفٍ
ونَـصْـرٌ لِمَظْلُومٍ وحِصْنٌ لِمَطْرُودِ

وقوله(٢):

ويَسْتَجِيبُ لِدَاعِيْهَا إِذَا صَرَخَتْ
بِالمَالِ والآلِ والأَنْصَارِ والحَشَمِ
ولا يَرَى حَاجَـةً إلاَّ ومَدَّ لَهَا
يَدَاً تَغَارُ على الأَعْرَاضِ والحُرَمِ

ويؤكد السنوسي تلك المعاني والصفات التي اصطبغت بها شخصية الملك سعود الفذة، مشبهاً إياه بالخليفة الراشد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في عبقريته ورشاده(٣):

رَايَةٌ لَمْ تَزَلْ بِكَـفِّ المُفَدَّى أَمَلِ العُرْبِ في الخُطُوبِ الدَّجِيَّهْ
إِرْثُ آبَائِـهِ الكِرَامِ المَغَاوِيـ ـرِ حُمَاةِ الحَقَائِقِ السَّـلَفِيَّهْ(٤)
ضَارِباً حَوْلَهَا نِطَاقاً من الإسْـ ـلامِ حُكْمَـاً ومَنْهَجاً وقَضِيَّهْ

(١) مجلة المنهل، المجلد (٢٣)، شعبان ١٣٨٢هـ، ص/ ٤٨٦ .
(٢) الأعمال الكاملة ص: ٢٩٩ ـ ٣٠٠ .
(٣) المصدر نفسه ص: ٢٢١ ـ ٢٢٢ .
(٤) المغاوير: جمع مغوار، والمغوار: المقاتل الكثير الغارات على أعدائه .

سَارَ في ظِلِّهَا الدُّعَاةُ إِلَى الحَـ ـقِّ نَـقِـيّاً لَمَّا رَأَوهَـا نَـقِـيَّة

إلى أن يقول[١]:

مَلِكٌ في إِهَابِـه عُمَرُ الفَا رُوقِ رَمْزُ الرَّشَـادِ والعَبْقَرِيَّة

ويقف عند شخصية الملك فيصل ـ رحمه الله ـ ومواقفه الشجاعة وقفة تنم عن حب وإعجاب شديدين، برغم قلة قصائده التي أنشأها في مدحه، إلا أنه قد عني فيها بإبراز الجانب المهم في شخصية ذلك الملك العظيم، وهو اهتمامه ـ رحمه الله ـ بشئون الإسلام والمسلمين في كل بقاع العالم، وحرصه على وحدة المسلمين، مضحياً براحته في سبيل تحقيق تلك الغاية وذلك الحلم الجميل .

يقول شاعرنا مادحاً الملك فيصل، ومنوهاً باعتزازه بدينه الإسلامي وقيمه ومبادئه[٢]:

رَائِدُ الأُمَّةِ الَّتِي شَـهِدَ اللَّـ ـهُ بِخَيْرٍ لَهَا على شُـهَدَائِـهْ

قُطْبُ أَقْطَابِ عَـالَمٍ عَرَبِيٍّ وزَعِيمُ الهُدَاةِ من زُعَمَائِـهْ

مُذْ تَجَلَّى ومُذْ تَوَلَّى صَحَا الفِكْـ ـرُ وهَبَّ الشُّعُورُ من إغْفَائِهْ

شَـعَّ في العَالَمِ الكَبِيْرِ ودَوَّى صَوْتُهُ عَالِياً على أَرْجَائِـهْ

وسَـمَا فَوْقَ مِنْبَرٍ عَالَمِيٍّ هَزَّ أَرْكَانَهُ جَهِيرُ نِدَائِـهْ

نَحْنُ شَعْبٌ إِسْـلَامُنَا جَلَّ مَعْنَا هُ سَلَامُ الوَرَى وحُسْنُ إِخَائِهْ

إِنَّهُ الفِطْرَةُ الَّتِي فَـطَرَ اللَّـ ـهُ عَلَيْهَا الحَيَاةَ في أَحْيَائِـهْ

وهْوَ دِينُ السَّـلَامِ والمُثُلِ العُلْـ ـيَا وسِرُّ الوُجُودِ في أَضْوائِـهْ

وحُقُوقُ الإِنْسَانِ يَكْفُلُها الإِسْـ ـلَامُ في ظِلِّ عَدْلِهِ وقَضَـائِـهْ

والضَّعِيْفُ المُحِـقُّ فِيْنَا قَوِيٌّ رَغْمَ أَنْفِ القَوِيِّ من أَعْدَائِهْ

ويشيد بالملك فيصل ودعوته إلى تضامن المسلمين، وسعيه الدؤوب إلى تحقيق

(١) الأعمال الكاملة ص: ٢٢٢ .

(٢) مجلة المنهل، المجلد (٢٩) ، جـ (١١)، ذو القعدة ١٣٨٨هـ، ص: ١٤٧١ ـ ١٤٧٢ .

تلك الدعوة عملياً، دون التفات إلى تخرصات المتقولين، والحانقين على الإسلام والأمة الإسلامية؛ إيماناً منه بضرورة التفاف المسلمين ووحدتهم، ومن ثم وقوفهم كالبنيان المرصوص في وجوه أعدائهم المتربصين بهم ذات اليمين وذات الشمال[1]:

مَبْدَأٌ وَاضِحٌ دَعَوْتَ إِلَيْهِ ... في وُضُوحٍ وقُوَّةٍ وإِرَادَهْ

لَمْ تَجِدْ عَنْهُ شَعْرَةً والمُضَلُّو ... نَ كَثِيرٌ يُرَوِّجُونَ فَسَادَهْ

سِرْتَهُ مُؤْمِناً بِرَبِّكَ لا تَرْ ... جُو سِوَاهُ ولا تَخَافُ عِبَادَهْ

وطَرِيقُ المُجَاهِدِينَ أُولِي العَزْ ... مِ طَوِيلٌ والصَّبْرُ يَطْوِي بُعَادَهْ

فَبَلَغْتَ المَدَى نَجَاحاً أَكِيداً ... والنَّجَاحُ الأَكِيدُ لِلْحَقِّ عَادَهْ

ونختم رحلتنا في شعر المدح عند السنوسي بقوله عن حكام بلاده من (آل سعود) منوهاً بدفاعهم عن الإسلام، ووقوفهم إلى جانب إخوانهم من العرب والمسلمين[2]:

الحَامِلِي عِبْءَ العُرُوبَةِ والهُدَى

والمُسْلِمِينَ بِهِمَّةٍ وصُمُودِ

والذَّائِدِينَ بِمَالِهِمْ وَبِآلِهِمْ

عن بَيْضَةِ الإِسْلَامِ كُلَّ حَقُودِ[3]

---

(١) الأعمال الكاملة ض: ٥٧٥ - ٥٧٦ .

(٢) المصدر السابق ص: ٧٨٢ .

(٣) بيضة الإسلام: جماعتهم .

٢ ـ الرِّثَـاء:

يعد هذا الغرض من أبرز الأغراض الشعرية التي تناولها الشعراء منذ العصر الجاهلي وإلى عصرنا الحديث ، وأصدقها وأعمقها تجربة على الإطلاق ؛ وذلك لانبعاثه من عاطفة مكلومة ، فجعت بفقد قريب ، أو صديق ، أو ملك استطاع من خلال أعماله الجليلة أن ينفذ إلى أعماق رعيته ، أو وطن تهاوى بعد أن كان شامخاً.

ولارتباط هذا الفن بحقيقة الموت التي لا يتقبلها الإنسان ؛ لولعه بالحياة ، وتشبثه بها إلى جانب من يحب ويهوى ، ولأن الشعراء من أكثر الناس حساسية ، فقد اختلفت مواقفهم من تلك الحقيقة الحتمية ، وأفصحت عن ذلك تجاربهم الشعرية منذ القدم ، فمظاهر السخط والتبرم تطل برأسها في كثير من تجارب الشعراء في رحلة هذا الغرض التي قطعها وصولاً إلينا . وتبقى تجربة الشاعر المسلم ، عميق العقيدة ، غنية بمواقف صاحبها تجاه هذه القضية الحتمية ، سواء أكان الفقيد قريباً أم بعيداً ، حيث تلمس فيها الطمأنينة ، والتسليم بقضاء الله وقدره ؛ لأنه يدرك أنها سنة من سنن الله في هذا الوجود ، أكدها الله ـ سبحانه وتعالى ـ في مواطن كثيرة في كتابه العزيز . قال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾[2] .

وبالإضافة إلى إيمانه العميق بحقيقة الموت ، فقد آمن أيضاً بأن هناك حياة أخرى يكتب له فيها الخلود الدائم في أحد الدارين : إما الجنة ، وإما النار ، وقد بين الله ـ سبحانه وتعالى ـ له الطريق المؤدي إلى كل دار منهما ، فنتج عن ذلك الإحساس

---

(١) سورة العنكبوت ، الآية : ٥٧ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ٧٨ .

بالطمأنينة عند الإنسان المسلم إزاء هاتين الحقيقتين : حقيقة الموت ، وحقيقة البعث.

ولو عدنا إلى تجارب شاعرنا التي تنضوي تحت هذا الإطار لوجدناه في كثير منها يتجاوز وصف آلامه وأحزانه - التي ولدها في عالمه فراق ذلك الشخص المرثي ، والإشادة بأعماله ومناقبه وسجاياه - إلى تأكيد قضية الموت ، والتسليم بقضاء الله وقدره ، والدعوة إلى الأعمال الصالحة ؛ استعداداً لحياة دائمة ، يخلد فيها الإنسان في أحد الدارين ، مؤكداً أن الحياة مسافة سيقطعها الإنسان عاجلاً أو آجلاً.

وعسى أن أوفق في رحلتي مع بعض قصائد الرثاء عند شاعرنا في تجلية تلك الحقائق ، سواء أكانت متعلقة بتأكيده لتلك القضايا الإيمانية العميقة أم بغيرها ، كإبراز الأثر الإسلامي في قصيدة الرثاء عنده ، من خلال ذكر المناقب ، والأعمال للأشخاص الذين رثاهم .

ولنبدأ رحلتنا مع قصيدته في رثاء أبيه ، فقد بدأها بتجليته لحقيقة الموت ، في وقفات تأملية وجدانية ، مستعيناً ببعض الظواهر الكونية في تأكيد تلك الحقيقة ، حاثاً العقل على التدبر والتفكير العميق في مخلوقات الله.

يقول السنوسي مؤكداً تلك الحقيقة ، ومبيناً أنها سنة الله في خلقه ، مبدياً رضاه التام بقضاء الله وقدره[1]:

كُلُّنَا رَائِحٌ على الموْتِ غَادِي وعُيونُ القَضَاءِ بِالمِرْصَادِ[2]

ومَجَازٌ هِيَ الحَيَاةُ فَسِيَّا نَ مُخِبٌّ أَوْ سَائِرٌ في اتِّئَادِ[3]

سَائِقُ الرَّكْبِ غَيْرُ نَاءٍ عن الرَّكْبِ ولا حَائِدٌ عن الرَّكْبِ حَادِ

(١) شعراء الجنوب ، تأليف محمد بن علي السنوسي ، محمد بن أحمد عيسى ، مطبعة الكمال عدن ، بدون تاريخ، ص٩٦ .

(٢) المرصاد : الطريق والمكان يرصد فيه العدو .

(٣) مخب : أي مسرع في سيره .

نَحْـنُ والـدَّهْـرُ والمَقَادِيرُ والأَيَّـــامُ أَنْضَاءُ حَلْبَةٍ وطِــــرَادِ[١]

سُـنَّةٌ لَمْ تَـدَعْ لِقَلْبِ مَرِيـضٍ   شُــبَهاً في حَقِيقَةِ المِيعَـادِ

أَيُّهَا المُطْلِقُ النُّـهَى مُسْـتَشِـفَّاً   ما وَرَاءَ السُّـتُـورِ والآبَـادِ

قِفْ على شَـاطِئِ الحَيَاةِ وحَـاوِلْ   خَوْضَ عُمْـقِ المُحِيطِ والمَوْجُ هَـادِ

وَتأَمَّلْ مَـظَاهِـرَ الشَّـطِّ وابْعَثْ   قَبَسَــاً من ذَكَائِكَ الوَقَّـادِ

وارْسِـلِ الطَّرْفَ رَائِداً يَرْجِعُ الطَّرْ   فُ حَسِـيراً ولَـنْ تَرَى غَيْرَ بَـادِ

قَدْ لَعَمْرِي جَمَحْتَ واسْتَرْسَلَ الفِكْـ   ـرُ ضَلَالاً وعُـدْتَ خَابِي الزِّنَـادِ[٢]

كُـلُّ مَا في يَدَيْكَ جَهْلٌ ومَا ازْدَدْ   تَ من الجَهْلِ غَيْرَ طَيْشِ الضَّـادِ[٣]

نَمْ فَـإِنَّ الصَّبَاحَ من ذَلِكَ اللَّيـ   ـلِ رَهِينٌ بِهَجْعَـةٍ من رُقَــادِ

واتَّخِذْ من تَـرَدُّدِ النَّفَسِ الجَا   رِي دَلِيلاً ومن سُـرَى الرُّوحِ هَادِ

أَلْجَمَتْ هَــذِهِ الحَقِيْقَةُ أَلْبَا   باً وأَعْيَتْ عُقُولَ قَـوْمٍ شِـدَادِ[٤]

ثم يأخذ السنوسي في وصف وقع المصاب الجلل على نفسه ، في لغة رقيقة ، موحية بالحزن العميق الذي عانق عالمه الوجداني ، مستعيناً بالطبيعة في رسم أبعاد ذلك المصاب ، وتلك الفاجعة . حيث يقول[٥]:

حَـاطَنِي يا أَبِي بِفَـقْدِكَ لَيْلٌ   آدَنِي طُولُهُ وأَعْيَا سُــهَادِ[٦]

---

(١) أنضاء : الواحدة نضو، وهي : الدابة التي أهزلتها الأسفار ، وحلبة : المكان الذي تجمع فيه الخيل للسباق .

(٢) جمح : الجموح من الرجال : الذي يركب هواه ، فلا يمكن رده .الزناد : جمع زند وهوالعود التي تقدح به النار .

(٣) الضاد : الغاضب .

(٤) شعراء الجنوب ، ٩٦ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٩٦ .

(٦) آدني : أثقلني وشق عليَّ .

سَلَبَ النَّوْمَ من جُفُوني وأَوْرَى ... بِفُؤَادِي جَمْرَ الغَضَا والقَتَادِ[1]

أَبَتِي أَيْنَ مِنْكَ طَرْفٌ بَعَثْتَ النُّورَ مِنْهُ في مُهْجَتِي وفُؤَادِي؟

صُوَرٌ تَبْعَثُ الأَسَى وعُهُودٌ ... أَنَا مِنْهَا في حُرْقَةٍ واتِّقَادِ

رَدَّدَتْ صَوْتِيَ السَّمَاءُ ولَمْ أَسْـ ... ـمَعْ جَوَابًا فَمَنْ تُرَاني أُنَادِ؟

ومَلأْتُ الفَضَاءَ جَهْشَةَ بَاكٍ ... رَجَّعَتْهَا الرِّيَاحُ في كُلِّ وَادِ

رَحِمَتْ مُهْجَتِي غِلَاظُ الصُّخُورِ الصُّمِّ واسْتَعْطَفَتْ فُؤَادَ الجَمَادِ

وسَرَى عَاصِفُ الرِّيَاحِ يَبُثُّ الـ ... ـليلَ شَجْوِي وزَفْرَتِي ونِهَادِ

وتَدَجَّى الدُّجَى الكَثِيفُ بِجِلْبَا ... بِ التَّيَاعِي وسَابِغَاتِ حِدَادِ[2]

ويشرع في ذكر مناقب والده ، والأعمال التي اضطلع بحملها فأداها على أكمل وجه ، وأهمها اضطلاعه بأعباء القضاء بين الناس ، والفصل بينهم في الخصومات بالحق ، مهتدياً في أحكامه بما جاء في الكتاب والسنة النبوية الشريفة ؛ ناشداً العدل في أحكامه .

أَيْنَ يا مَجْلِسَ القَضَاءِ فُؤَادٌ ... أَرْهَقَتْ مَتْنَهُ شُئُونُ العِبَادِ؟

قَدْ خَلَا مِنْكَ مَجْلِسٌ كَانَ بِالأَمْـ ... ـسِ رَفِيعَ الذُّرَى سَمِيكَ العِمَادِ

وأَجَابَ النِّدَاءَ مَنْ كَانَ لِلْحَـ ... ـقِّ لِسَانًا مُجَلْجِلًا في البِلَادِ

يَقِفُ الخَصْمُ والجَلَالُ عَلَيْهِ ... حَارِسٌ من شَرَاسَةٍ وعِنَادِ

في شُعَاعٍ من الحَنِيفِيَّةِ الغَرَّاءِ والعَدْلِ والهُدَى والرَّشَادِ[3]

ويختم مرثيته بالدعاء لأبيه بالرحمة والجنة[4]:

---

(١) الغضا : شجر عظيم حسن النار ، والقتاد : شجر له شوك مثل الإبر .

(٢) شعراء الجنوب ، ص ٩٧

(٣) المصدر نفسه ، ص٩٧

(٤) المصدر نفسه ، ص ٩٨

يا أَبِي جَادَ قَبْرَكَ الغَيْثُ وانْهَلَّـــــتْ على رَمْسِكَ الحَبِيْبِ الغَوادِي[١]
وأَظَلَّتْ ثَـرَاكَ أَجْنِحَةُ الرَّضْـــوَانِ خَـفَّـاقَةً عَلَيْكَ نَـوادِ
وهَفَتْ حَوْلَكَ الصَّبَا وسَجَى النُّوْرُ ورَفَّ الـنَّدَى وغَـرَّدَ شَادٍ[٢]

وتتجلى النزعة الإسلامية في وصفه للحياة الدنيا ، وبسط موقف الإنسان منها ، ونظرته إليها في حالتيها ، ساخراً من بعض الناس الذين يتهافتون على تفاهاتها ، وينغمسون في طلب ملذاتها ، ناسين أو متناسين أنهم راحلون عنها ، حاثاً إياهم على الإقلاع عن ذلك التهافت ، والإكثار من الأعمال الصالحة التي يستعدون بها للقاء خالقهم .

نقف على ذلك في رثائه لصديقه الأديب ضياء الدين رجب ، حيث يقول[٣]:

عَجَبٌ هَذِي الدُّنَا عَجَبُ ياضِيَاءَ الدِّيْنِ يا رَجَبُ
حِيْنَ تَأْتِينَا سَخَائِفُهَا يَزْدَهِينا البِشْرُ والطَّرَبُ
وإِذَا جَاءَتْ حَقَائِقُهَا يَعْتَرِينَا الحُزْنُ والوَصَبُ
مَالَنَا لا نَسْتَعِدُّ لَهَا وهْيَ حَقٌّ مَابِهِ كَذِبُ
أَبَدًا نَحْيَا على غِـرَرٍ و نَعِيشُ العُمْرَ نَنْتَهِبُ
في سَخِيفٍ من مَفَاتِنِها تَغْرَقُ الأَقْلامُ والكُتُبُ
جَلَّ شَأْنُ المَوْتِ من بَطَلٍ يَدُهُ الأَبْطَالَ تَنْتَخِبُ

ثم يأخذ في ذكر المناقب والمحامد ، والصفات النبيلة التي احتوتها شخصية صديقه الراحل . يقول السنوسي ذاكراً بعض تلك الصفات[٤]:

---

(١) رمسك: قبرك.
(٢) سجى : سكن ودام .
(٣) الأعمال الكاملة : ص ٧٤٣ - ٧٤٤
(٤) المصدر نفسه ، ص ٧٤٤ - ٧٤٥

ما عَرَفْتُ البِشْرَ في رَجُلٍ وَجْهُـــهُ من بِشْـرِهِ ذَهَــبُ
كَمُحَيَّـــاهُ وقَدْ لَمَعَتْ فِيهِ من إِشْــــرَاقِهِ شُــهُبُ
حِيْنَ أَلْقَاهُ فَيَغْمُـــرُني بِاللِّقَاءِ العَــذْبِ مِـنـــهُ أَبُ
ضَـــاحِكٌ في وَجْهِهِ أَلَقٌ من صَفَاءِ النَّفْسِ يَنْسَكِبُ[1]

ثم يدعو لصديقه بالمغفرة والعفو[2] :

جَـــادَكَ الـــرَّحْمَنُ مَغْفِرَةً بِالرِّضَى والعَــفْوِ تَنْسَــكِبُ

ويعود السنوسي ليؤكد حقيقة الموت مرة أخرى في رثائه لصديقه الأستاذ محمد سرور صبان ، قائلاً[3]:

أَبَا حَسَنٍ لا الحُزْنُ يُجْدِي ولا الدَّمْعُ
وإِنْ كَانَ في قَلْبي لِوَقْدِهِمَا لَـــذْعُ[4]
تَصَامَمْتُ لَمَّا قِيلَ مَاتَ مُحَمَّـــدٌ
سُرُورُ قُلُوبٍ كَمْ بِهِ جُبِرَ الصَّـــدْعُ
فَلَمَّا تَبَيَّنْتُ الحَقِيقَةَ لَمْ أَجِـــد
مَلاَذاً سِوَى مَا سَنَّهُ اللهُ والشَّـــرْعُ
إِلى اللهِ إِنَّا رَاجِعُونَ وَكُلُّـــنَـــا
سَيَذْهَبُ لا فَرْدٌ سَيَبْقَى ولا جَمْـــعُ
أَبَا حَسَنٍ ماالعُمْرُ إِلاَّ مَسَـــافَةٌ
من المَهْدِ حَتَّى اللَّحْدِ غَايَتُهَا القَطْعُ

---

(١) الألق : الضياء .
(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٧٤٦
(٣) المصدر السابق ، ص ٦٠٠
(٤) اللذع : حرقة كحرقة النار .

مَشَـــيْتَ إِلَيْهَا في أَنَاةٍ وحِكْمَةٍ
بِخَطْوٍ رَصِينٍ لا غُبَارٌ ولا نَقْــعُ
وكُنْتَ المُحَلِّي سِــيرَةً وشَمَائِلاً
يَهِيمُ بِهَا الرَّائِي ويَعْشَقُهَا السَّمْعُ

ثم ينوه بخدمته للإسلام والمسلمين من خلال اضطلاعه بأعباء أمانة رابطة العالم الإسلامي ، ويذكر بعض الصفات والمحامد التي احتوتها شخصيته ، كإخلاصه للدين والهدى ، ودماثة أخلاقه ، وكرمه الفياض[1]:

عَرَفْتُكَ عِرْفَانَ الأَدِيبِ لِفَاضِلٍ
أَدِيبٍ تُزِينُ الفِكْرَ أَخْلَاقُهُ النُّصْعُ
فَأَحْلَلْتَنِي من صَرْحِ نُبْلِكَ مَنْزِلاً
جَذَبْتَ بِهِ ضَبْعِي فَحَقَّ لَهَا الرَّفْعُ[2]
وأَنْتَ امْرُؤٌ تُولِي المَكَارِمَ أَهْلَهَا
سَجِيَّةُ طَبْعٍ مَا لِثَابِتَةٍ نَزْعُ

وعن إخلاصه لدينه ، وخدمته لأمته الإسلامية يقول :

أَبَا حَسَنٍ أَخْلَصْتَ لِلدِّينِ والهُدَى
جُهُوداً فما يُثْنِيكَ ضُرٌّ ولا نَفْعُ
فَكُنْتَ الأَمِينَ المُرْتَضَى لِرِسَالَةٍ
لَكَ اخْتَارَهَا الفَيْصَلُ البَطَلُ السَّبْعُ
رَآكَ لَهَا أَهْلاً فَوَلَّاكَ أَمْرَهَا
وثُوقاً من الدَّاعِي إِلَيْكَ بِمَا يَدْعُو

---

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٦٠٢ - ٦٠٣

(٢) ضبعي: الضبع : العضد : وجذبت ضبعي : أي أنهضتني من عثرتي .

تَحَمَّلْتَهَا فِي قُوَّةٍ وَصَلَابَـــــــــــةٍ

وَلَمْ يَنْثَنِ مِن عِبْئِهَا عُـــــودُكَ النَّبْعُ[١]

فَكُنْتَ لِسَــــــــــــاناً عَبْقَرِيّاً لِدَعْوَةٍ

هِيَ الحِصْنُ لِلْإِسْلَامِ وَالسَّيْفُ وَالدِّرْعُ[٢]

ويختم شاعرنا مرثيته تلك بالدعوة للفقيد قائلاً [٣]:

أَبَــا حَسَــنٍ رَوَّى ثَرَاكَ وَجَادَهُ

سَحَابٌ مِنَ الغُفْرَانِ صَيِّبُهُ شَفْعُ

وَلَا زَالَ مُنْهَلّاً بِذِكْرَاكَ عَاطِــرٌ

يَفِيضُ بِهِ النَّادِي وَيَحْتَفِلُ الجَمْعُ

وفي رثاء الشاعر لبعض حكام بلاده من (آل سعود) نجده يتجاوز وصف آلامه ، وأحزانه ، إلى وصف أحزان أبناء وطنه وأمته الإسلامية ، وذلك لمكانتهم العالية والعظيمة في نفوس أبناء وطنهم وأمتهم ، والتي جاءت كثمرة طيبة لمواقفهم المشرفة ـ منذ اضطلاعهم بأعباء الحكم في بلدهم ـ مع إخوانهم المسلمين ، وتحقيقهم لأبناء وطنهم الكثير من رغباتهم ، وطموحاتهم ، إضافة إلى حسن تعاملهم معهم .

ولتلك الأسباب نجد أن وفاة أحدهم يعد جرحاً دامياً لا لأبناء وطنهم فحسب، وإنما لأبناء الأمة الإسلامية من أقصاها إلى أقصاها .

وهذا الشعور والإحساس هو المهيمن على قصائد رثاء شاعرنا لهم .

---

(١) النبع : شجر من أشجار الجبال تتخذ منه القسي .

(٢) الأعمال الكاملة : ص ٦٠٣ - ٦٠٤

(٣) المصدر نفسه : ص ٦٠٤ .

نلمس ذلك في رثائه للملك عبد العزيز - رحمه الله - حيث يقول[١] :

صَقْرُ الجَزِيرَةِ عَاهِلُ الإِسْلَامِ ... مَنْ ذا يُكَافِحُ عَنْهُمَا ويُحَامِي

ضَجَّتْ شُعُوبُ الأَرْضِ لَمَّا قِيلَ قَدْ ... أَوْدَى المُنَاضِلُ عن حِمَاهَا الـرَّامِي

رِيعَتْ لِمَصْرَعِكَ النُّفُوسُ وزُلْزِلَتْ ... قِمَمُ النُّهَى وشَوَامِخُ الأَحْلَامِ

تَتَقَلَّبُ الأَكْبَادُ مِنْهُ على لَظًى ... أَلِمٍ كَوَخْزِ ظُبًى ورَشْقِ سِهَامِ

يَشْتَدُّ لَاعِجُهَا الوَقِيذُ وَتَلْتَظِي ... شُعَلاً تَطَايَرَ في لَهِيبِ ضِرَامِ[٢]

ذَابَتْ حَنَايَاهَا وَأَلْهَبَهَا أَسًى ... خَطْبٌ أَصَمَّ مَسَامِعَ الأَفْهَامِ

تَأْبَى على حَقِّ القَضَاءِ وصِدْقِهِ ... وتَلُوذُ بِالأَحْلَامِ والأَوْهَامِ

وتَشِيحُ عن وَجْهِ الحَقِيقَةِ رَهْبَةً ... وجَوًى تَنَظَّرُ من وَرَاءِ لِثَامِ[٣]

فالسنوسي في هذه الأبيات يصف وقع نبأ وفاة الملك عبد العزيز على أبناء أمته الإسلامية ، ويطلعنا على عمق حزنهم لرحيله المفاجئ عنهم ، في وقت هم في أمس

---

(١) مجلة المنهل ، المجلد (١٤) ربيع الأول عام ١٣٧٣ هـ ، ص ٢٠٨

(٢) لا عجها : ألمها ، الوقيذ : المحزن .

(٣) جوى : الجوى : الحرقة وشدة الوجد من عشق أو حزن .

الحاجة إلى قائد إسلامي مثله ، يعول عليه حين يحزبهم الضر ، وتتغشاهم أعاصير المحن[(١)]:

فَقَدَتْكَ في حَلَكِ الخُطُوبِ وقَدْ دَحَتْ
طَخْيَاءُ تَعْصِفُ كَالخِضَمِّ الطَّامِي[(٢)]
ذَكَرَتْ مَوَاقِفَكَ العَظِيْمَةَ كَيْفَ لاَ
والبَدْرُ يُذْكَرُ عِنْدَ كُلِّ ظَلاَمِ[(٣)]

وفي نهاية مرثيته يذكر بعض الخلال والصفات الحميدة التي توافرت في شخصه، وأهمها ذوده عن الدين ، ونصرته له ، والعمل بما جاء فيه ، إضافة إلى التقى والصلاح :

لَبَّى نِدَاءَ الحَقِّ مَوْفُورَ الهُدَى ... ومَضَى نَقِيَّ الذَّيْلِ والأَكْمَامِ
وأَجَابَ دَعْوَةَ رَبِّهِ مَنْ كَانَ في ... نَصْرِ الإِلَهِ مُظَفَّرَ الأَعْلاَمِ
يَمْضِي على سُنَنِ الرَّشَادِ وهَدْيِهِ ... وَيَذُودُ عن أَحْوَاضِهِ ويُحَامِي
لِلهِ غَضْبَتُهُ وفِيْهِ رِضَاؤُهُ ... صَعْبٌ على العُذَّالِ واللُّوَّامِ[(٤)]

ويصله نبأ استشهاد الملك فيصل بن عبد العزيز - رحمه الله - عن طريق المذياع، فيرثيه بقصيدة تعد من أقوى وأصدق القصائد التي رثي بها ذلك الملك العظيم ؛

(١) مجلة المنهل ، المجلد (١٤) ربيع الأول عام ١٣٧٣هـ ، ص ٢٠٩

(٢) الخضم : البحر لكثرة مائه وخيره . والطامي : العالي . دحت : بسطت ، طخياء : الليلة الشديدة الظلمة و استعارها الشاعر هنا للنازلة والملمة .

(٣) هذا البيت تضمين لبيت أبي فراس الحمداني الآتي :

سيذكرني قومي إذا جد جدهم
وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

ديوان أبي فراس الحمداني ، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي ، ص ٦٦ .

(٤) مجلة المنهل ، المجلد (١٤) ربيع الأول عام ١٣٧٣ هـ ، ص ٢٠٩

لتصويرها شدة مصابه ، ومصاب الأمة الإسلامية في فقدها لأحد أبنائها الأوفياء ، في صور تنبض بالحزن ، والأسى العميق الذي عانق عالمه الوجداني .

يقول السنوسي وقد فوجئ بذلك الخبر الذي أراقه في سمعه المذياع واصفاً ذلك الصوت(١):

رَنَّ في سَمْعِي فَكَذَّبْتُ صَدَاهُ نَبَأٌ رَوَّعَ قَلْبِي وشَجَاهْ

مَا لِهَذَا الصَّوْتِ كَابٍ لَوْنُهُ قَاتِمِ النَّبْرَةِ مَرْعُوبٌ نِدَاهْ ؟(٢)

مَا لَهُ مَاذَا عَرَاهُ مَا الَّذِي هَزَّهُ مَاذَا دَهَاهُ مَنْ نَعَاهْ ؟

وتهدأ عاطفة الشاعر المتأججة عند إدراكه لصحة ذلك الخبر الذي حمله المذياع، فيعزي نفسه ببقاء الملك فيصل حياً، وإن توارى جسده فأعماله الجليلة التي نهض بها ستخلد ذكره مهما طال الزمن ، فقد وعتها أفئدة أبناء وطنه ، وأبناء أمته العربية والإسلامية .

يقول السنوسي مؤكداً ذلك(٣):

فَيْصَلٌ مَاتَ ولَكِنْ ذِكْرُهُ يَغْمُرُ العَالَمَ والدُّنْيَا شَذَاهْ

مَاتَ جِسْماً وتَوَارَى هَيْكَلاً وهْوَ حَيٌّ في قُلُوبٍ وشِفَاهْ

رُوحُهُ فِينَا وفي أَرْوَاحِنَا تَتَهَادَى كالسَّنَا مِنْكَ ضُحَاهْ

تَرَكَ العَرْشَ ولَكِنْ لَمْ يَغِبْ هو مَا زَالَ يَرَانَا ونَرَاهْ

في أَيَادِيهِ الَّتِي خَلَّدَهَا تَغْمُرُ الشَّعْبَ بِفَيْضٍ من نَدَاهْ

ومَسَاعِيهِ الَّتِي قَلَّدَهَا أُمَّةَ الإِسْلَامِ في أَقْصَى مَدَاهْ

ومَعَانِيهِ الَّتِي رَدَّدَهَا لِبَنِي العُرْبِ جَمِيعاً في حُدَاهْ

---

(١) الأعمال الكاملة : ص ٥٩٥

(٢) كاب: أي أسود .

(٣) الأعمال الكاملة : ص ٥٩٦ - ٥٩٧

ومَبَادِيـــــــهِ الَّتِي أَعْلَنَهَا   عَالِيَ الصَّوْتِ ، فَخَافَتْهَا عِدَاهْ

فالسنوسي في هذه الأبيات يشير إلى بعض مواقف وأعمال الملك فيصل - رحمه الله - التي ستخلد ذكره ، وتكفل له البقاء في ضمائر الناس ووجداناتهم مهما طال بهم العمر ، وقد تجاوزت تلك الأعمال والمواقف أبناء وطنه ومجتمعه ، إلى أبناء أمته العربية والإسلامية ، سواء من خلال وقوفه إلى جانبهم في محنهم ومآسيهم - كوقفته إلى جانب إخوانه في فلسطين ومصر ، وسائر الدول العربية والإسلامية المتضررة من ويلات المستعمر الغادر - أو في دعوته إلى تضامن المسلمين واتحادهم ، وسعيه إلى تحقيق تلك الغاية ، وذلك الهدف النبيل ، الذي سيكفل لأمته في ظله العزة والمنعة التي افتقدتها بسبب تفرق أبنائها .

ثم يختم قصيدته تلك بالدعاء للملك الشهيد قائلاً[١] :

وسَقَى الرَّحْمَنُ قَبْراً طَاهِراً   مُرِّغَتْ فِيهِ أُنُوفٌ وجِبَاهْ

وتتكرر هذه المعاني في رثائه للملك خالد - رحمه الله - بعد تأكيده لحقيقة الموت وحتميته:

لَمْ يَمُتْ خَــــالِدُ العُلَى والمآثِرْ
فَهْوَ مِلْءُ النُّهَى وَمِلْءُ البَصَائِرْ
إنَّمَــا قَدْ أَجَابَ والحَــقُّ دَاعٍ
فَأَجَــابَ الدُّعَاءَ شَأْنَ الأَكَابِرْ[٢]

ثم يورد جملة من الصفات الحميدة التي كان يتمتع بها الفقيد ، ويصف عمق حب أبناء وطنه له الذي جاء نتيجة لحسن رعايته لهم ورقة تعامله معهم :

مَلِكٌ يَأْسِرُ القُلُوبَ بِتَقْــــوَا   هُ وسِيْمَاهُ لا بِزَهْوِ المَــظَاهِرْ

---

(١) المصدر السابق : ص ٥٩٩

(٢) جريدة البلاد ، العدد (٧٠٧١) في ٢٨ / ٨ / ١٤٠٢هـ

حَمَلَ الشَّعْبَ قَبْلَ أَنْ يَحْمِلَ التَّا ج بِقَلْبٍ كَرِقَّةِ الزَّهْـرِ طَاهِرْ
ورَعَـــاهُ رِعَايَةَ الأَبِ يَرْعَى ابْنَهُ الفَرْدَ وهْوَ مَا زَالَ قَاصِرْ
وحَمَـــاهُ من الأَسَى والمَآسِي ووَقــاهُ من اللَّظَى والهَوَاجِرْ
وبَنَى حُكْمَهُ عَلى الحُبِّ والإِيْـ ـمَـانِ بِا للهِ في خَفِيٍّ وظَاهِرْ
وأَحَــاطَ الحِمَى بِقَلْبٍ كَبِيْرٍ بِعَطَـــــاءٍ من المَحَبَّةِ غَامِرْ[1]

ويصف حال أبناء وطنه وأمته عند سماعهم لنبأ وفاته ، معللاً ذلك باهتمامه ـ رحمه الله ـ بشئونهم ....

يَا (أَبَا بَنْدَرٍ) عَلَيْكَ سَلاَمُ الـ ـلَّهِ تَشْـدُو بِهِ إِلَيْكَ الحَنَاجِرْ
تَتَـهَادَى بِهِ المَحَارِيْبُ والسَّـا حَاتُ في كُلِّ مَسْجِدٍ ومَنَابِرْ
وتُنَاجِيْكَ بالدُّعَاءِ قُلُوبُ الـــ ـعُرْبِ والمُسْلِمِيْنَ بَادٍ وحَاضِرْ
فَلَقَـدْ كُنْتَ لِلْعُرُوبَةِ والإِسْــ ـلَامِ والمُسْـلِمِيْنَ حَامٍ ونَاصِرْ
تَلْتَقِي في حِمَاكَ إِنْ حَزَبَ الأَمْـ ـرُ شُعُوبٌ إلى حِمَاكَ نَوَاضِرْ[2]
فَتُلاَقِيْكَ حَاضِراً مُسْــــتَعِدّاً لِلْمُهِمَّاتِ لا تُبَالِي المَخَاطِرْ
وتَرَى فِيْكَ إِنْ رَأَتْكَ شَـقِيْـقاً وصَدِيْقاً في كُلِّ شَأْنٍ مُبَادِرْ
خُلُقُ المُسْلِمِ الغَيُورِ على الإِسْـ ـلَامِ سَمْتاً وفِطْرَةً وشَــعَائِرْ

ثم يدعو له بالرحمة والمغفرة ولمن جاء بعده بالحفظ والرعاية :

رَحِمَ اللهُ (خَالِداً) ورَعَى (فَهْـ ـداً) وأَبْقَاهُ لِلْمَسِيرَةِ سَائِرْ[3]

(١) المصدر السابق في ١٤٠٢/٨/٢٨هـ .

(٢) حزبهم الأمر : أي نابهم واشتد عليهم .

(٣) جريدة البلاد ، العدد (٧٠٧١) في ٢٨ / ٨ / ١٤٠٢ هـ .

٣ ـ الغزل :

الغزل « من أقدم الأغراض الشعرية وأبرزها ؛ يقوم على عاطفة الحب الفطرية بين الرجل والمرأة ، عرف واشتهر في الشعر الجاهلي ، لكنه نما وتغيرت بعض جوانبه في الإسلام »[1] فقد سما الإسلام بهذه العاطفة ، وطامن من كبريائها وإسرافها في الجاهلية ... واشترط بعد ذلك أن تظل هذه العاطفة في نطاقها الفردي ، وأن يظل شرها أو خيرها ، انفعالها أو هدوؤها ، ثورتها أو حركتها ، في نطاق هذه الحياة الفردية، فلا تتجاوز ذلك إلى المساس بحياة الآخرين من مثل حياة الأسرة وحياة المجتمع[2].

« وعلى هذا النحو الاجتماعي ربط الإسلام بين الحب والعفة ، وجعل من هذين المفهومين مفهوماً واحداً فكل خفقة من خفقات هذا الحب يتحقق لها سموها في إطار هذه العفة الزاهي »[3] .

ولأن المرأة ـ غالباً ـ هي الباعث لقصيدة الغزل ، فقد اختلف الشعراء ـ منذ القدم ـ في نظرتهم إليها ، تفصح عن ذلك تجاربهم الشعرية فيه .

والمتأمل في ثروتنا العظيمة من شعر الغزل ـ على امتداد عصورنا الأدبية ـ يجد عدداً كبيراً من التجارب ركزت على جمال المرأة الجسدي ، حيث أغرق أصحابها في وصف ذلك الجمال وصفاً فاضحاً يدعو إلى التقرز والاشمئزاز ، متجاوزين ـ في

---

(١) التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول ، د . مجاهد مصطفى بهجت ، ص ٢٩٤ .

(٢) تطور الغزل في الجاهلية والإسلام من امرىء القيس إلى ابن أبي ربيعة ، د. شكري فيصل ، ط (٦) ١٩٨٢م، ص ٢١٢ - ٢١٤ « بتصرف» .

(٣) المرجع نفسه ص ٢١٤ .

أغلبها ـ ذلك الجمال إلى تصوير العلاقة التي تربطهم بفتياتهم[١] .

وهناك تجارب أخرى جمع فيها شعراؤها بين جمال المرأة الجسدي ، وجمالها المعنوي ، وأهم ما يميز تجارب هؤلاء الشعراء : نزوعهم فيها إلى العفة ، ومجانبة الفحش في تصوير علاقاتهم بمن أحبوا من النساء . والذي يؤخذ على بعض أصحاب هذه التجارب أنهم لم يستطيعوا ضبط عواطفهم ؛ فوقعوا في خطر عظيم ، وهو: « (الفناء) أي فناء العاشق في سبيل المعشوق ، وفناء المعشوق في سبيل العاشق ، فيذهبان معاً ضحية للحب العذري .. »[٢] وقد عرف بهذا الاتجاه في الغزل عدد من الشعراء ، منهم : قيس بن ذريح ، وعروة بن حزام ، وجميل بن معمر، وغيرهم[٣] .

والغزل الموجه إلى جمال المرأة الجسدي والحسي وكذلك العذري « كلاهما مسرف في اتجاهه .

فالأول : مسرف في الجانب الحسي المرذول المبتذل .

والثاني : مسرف في الجانب المجرد الذي يؤدي إلى الفناء .

وكلاهما أيضاً بعيد كل البعد عن الاتزان الاسلامي في معالجة عاطفة الحب ، وضبط شهوات النفس ، لتنسجم مع الفطرة السليمة ، في معالجة هذا البناء الاجتماعي عند الفرد »[٤] .

ولو عدنا إلى غزل شاعرنا لوجدناه لا ينتمي إلى أيٍّ منهما انتماءً كاملاً ، وإنما

---

(١) يمثل هذا الاتجاه امرؤ القيس وعمر بن أبي ربيعة ، وغيرهم في شعرنا العربي القديم ، ونزار قباني ، ومن اقتفى أثره في شعرنا العربي المعاصر .

(٢) المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية ، د. علي علي مصطفى صبح ، ط (١) سنة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤/ ، ص ٩٣ .

(٣) العصر الإسلامي د. شوقي ضيف ، ط (٧) دار المعارف بمصر ، ص ٣٥٩ - ٣٦٩ .

(٤) المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة ، ص ٩٣ .

هو مزيج من الروحانية والحسية ، صادر عن « وجدان شاعر استغرق في تأملاته العاطفية ، بلا هبوط ولا إسراف ، بل في اتزان الشاعر المسلم ، الذي يعبر عن وجدانه في صدق فني ، وترفع عن الصغائر الحيوانية الصرفة وعن الإسراف البالغ»[١] تقربه من النفوس تلك العفة الزاهية التي كانت سمة بارزة في كل تجاربه الشعرية في هذا الغرض .

ومن نماذج شعره الغزلي قوله في قصيدته (أخت القمر)[٢] :

يا فِتْنَةَ القَلْبِ ومَهْوَى البَصَرْ ... جَاوَزْتِ مِقْيَاسَ جَمَالِ البَشَرْ
كَأَنَّمَا خُيِّرْتِ أَنْ تُخْلَقِي ... فَاخْتَرْتِ أَحْلَى وأَرَقَّ الصُّوَرْ
سُبْحَانَ مَنْ أَبْدَعَ هَذَا الصِّبَا ... وجَلَّ مَنْ نَسَّقَ هَذَا الحَوَرْ
أَسْهَبَ في شَعْرِكِ حَتَّى انْتَهَى ... إلى الرُّبَى مُسْتَرْسِلاً وانْحَدَرْ
ورَقَّ في خَصْرِكِ حَتَّى اسْتَوَى ... إيجَازُهُ في قَدِّكِ المُخْتَصَرْ
والغَيَدُ النَّشْوَانُ في سَالِفٍ ... رَيَّانَ يَسْتَهْوِي شِفَاهَ الزَّهَرْ[٣]
والخَفَرُ النَّعْسَانُ في مُقْلَةٍ ... تَكَادُ تَسْتَصْبِي فُؤَادَ الحَجَرْ
حَلَوْتِ حَتَّى كِدْتِ أَنْ تُرْشَفِي ... رَشْفاً وأَنْ يَحْسُو صِبَاكِ النَّظَرْ

ثم يصف أثر ذلك الجمال الآسر على نفسه[٤] :

أَطْبَقْتُ جَفْنَيَّ على نَظْرَةٍ ... رَفَّتْ على قَلْبِي رَفِيفَ المَطَرْ
أَحْيَتْ بِأَحْشَائِي مَوَاتَ الهَوَى ... وجَدَّدَتْ ذِكْرَى زَمَانٍ غَبَرْ
أَيَّامَ أَيَّامِي كَقَطْرِ النَّدَى ... صَفْواً وأَحْلَامِي كَلَحْنِ الوَتَرْ

---

(١) المرجع السابق ، ص ٩٤ .
(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٤٦٦ - ٤٦٧ .
(٣) الغيد : النعومة ، والسالف : أعلى العنق .
(٤) الأعمال الكاملة ، ص ٤٦٧ - ٤٦٨ .

فالسنوسي - في هذه الأبيات - جلى محاسن فتاة أحلامه ، ولكن في إطار من الحشمة والعفة، فأنت لا تكاد تقع فيها على معنى فاحش ، أو صورة فاضحة بذيئة، و لم يدفعه ذلك الجمال إلى سلوك أو عمل يتنافى مع مبادئ وقيم العقيدة التي يعتنقها ، بل دفعه إلى تذكر مانحها إياه ، فشرع يلهج بتسبيحه قائلاً :

سبحان من أبدع هذا الصبا — وجل من نسق هذا الحور (١)

ويصبح ذلك الحب الذي يكنه السنوسي لفتاته بعد توالي السنين مجرد ذكرى جميلة ، تثيرها لحظات الخلوة والانفراد بالنفس(٢) :

فِي لَحْظَةٍ من لَحَظَاتِ الهَوَى — والنَّفْسُ فِي فِرْدَوْسِ أَحْلَامِهَا
تَهْتَزُّ أَشْجَاناً وتَهْفُو جَوًى — على لَيَالِيهَا وأَيَّامِهَا
تَلَوَّذَ المَاضِي بِهَا وانْزَوَى — فِي صُوَرِ الذِّكْرَى و (أَفْلَامِهَا)
مَاضٍ بِرَغْمِي قَدْ مَضَى وانْطَوَى — بِلَحْنِ أَيَّامِي وأَنْغَامِهَا
لَاحَ لِعَيْنَيَّ وفي نَاظِرِي — ظِلَالُ أَيَّامٍ يَرَاهَا الضَّنَى
وفي سَمَاءِ الفِكْرِ من خَاطِرِي — أَضْوَاءُ حُبٍّ قِرْمِزِيِّ السَّنَا(٣)
أَحْيَا بِهِ فِي عَالَمٍ سَاحِرٍ — وَرْدِيَّةٌ أَحْلَامُهُ والمُنَى
صَبَابَةٌ من حُلُمٍ عَابِرٍ — رَنَا كَلَمْحِ البَرْقِ ثُمَّ انْثَنَى(٤)

ويصف أثر تلك العودة لماضيه الجميل في صورة الذكرى ، مؤكداً عفته في هواه ذاك(٥) :

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٦٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٧ – ٤٩ .

(٣) قرمزي : القرمز : صبغ أرمني أحمر يقال إنه من عصارة دود يكون في آجامهم .

(٤) صبابة : بقية .

(٥) الأعمال الكاملة ، ص ٥٤ .

هَيَّجْتَ قَلْبَـــاً لَجَّ في كِبْرِهِ جَفَا الهَوَى والنَّفْسُ تَشْتَاقُــهُ
صَدَّ وَمِلْءُ الكَفِّ من بَذْرِهِ ما يَسْتَثِيرُ القَلْبَ إشْرَاقُـــهُ
مَالَ وقَدْ مَالَتْ على صَدْرِهِ أَغْصَانُهُ خُضْراً وأَوْرَاقُـــهُ
إِذَا هَفَا يَوْمَاً إِلى زَهْـــرِهِ أَبَتْ مَعَانِيهِ وأَخْلاَقُـــهُ

فالسنوسي في هذه الأبيات يتأمل « في أعماق نفسه عن وجدان يلتهب في ذكريات الماضي ، فيعيد صورها ويستعرض (أفلامها) على حد تعبيره من غير ابتذال في وصف حسي للمحبوب ولا تفاني[1] في سبيله حتى التبتل والرهبة لا هذا ولا ذاك ، وإنما هي هبوب عاصفة الذكريات الماضية لتؤجج نار الوجدان بمقدار عبورها، ليعود كما كان ، بل أكثر ثباتاً واتزاناً ، لأن قلبه الذي يضم وجدانه لج في كبره ، وعاف الهوى ، ومع غريزة الشوق في النفس كفطرة إنسانية ، فالقلب والوجدان ثابت لا يذل للحب والهوى ، ولا تستثيره جمراته ، لأن المعاني السامية والأخلاق الفاضلة هي التي تضبط الوجدان ، وتسمو بالقلب والعاطفة في اتزان خلق المسلم كما ينبغي أن يكون »[2] .

والسنوسي - كما تفصح تجاربه في هذا الغرض - شديد التعلق بماضيه ؛ ولهذا نراه عندما تسرف ذكرياته في غيابها ، يحث نفسه على إثارتها واستعراضها ، وفي ذلك يقول[3]:

أَعِيـــدِي إِلى سَمْعِي حَدِيْثَ شَبَابِي
وَرُدِّي إِلى قَـلْبِي لَـــــذِيْذَ رِغَابِي

(١) كذا ، والصواب : تفانٍ .
(٢) المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة ، ص ٩٥
(٣) الأعمال الكاملة ، ص ٧٠٠

وطوفي بإحساسي على نبع صبوةٍ
وفِردوسِ حُبٍّ كالخِضَمِّ عُبَابِي[١]
هَوًى أخضرُ الآمالِ ريّانُ بالمنى
رقيقُ الحواشي من جوًى وعِتابِ
تدفّقَ في نفسي ورفّتْ زهورُهُ
وفاحَ شذاهُ في دمي وإهابِي[٢]

فالأبيات التي أمامنا تحمل روح الشاعر المتألمة على ماضٍ عذب الرؤى، فر من بين يديها ، وفي ذات الوقت تطلعنا على حنين الشاعر لذلك الماضي ، بآماله الخضر، وما يدور فيه من عتاب رقيق بين المحبين .

وينقلنا السنوسي إلى زمن ذلك الحب ، فيقول[٣]:

نَعِمْتُ بِهِ عَهْدَ الصِّبا والصِّبا رُؤًى
كرَنّةِ أوتارٍ وعَزْفِ رَبابِ
مَضَى والصَّدَى بَاقٍ تلوحُ طيوفُهُ
كلَمْعِ المعَاني في سُطورِ كِتابِ

ويتوق إلى ذلك الحب - الذي حفل به الماضي - بما فيه من رقة الأشواق وعذوبة الأحلام ، ومرارة السهد ، وعذاب الانتظار[٤]:

---

(١) عبابي : العباب كثرة الماء ، وقيل العباب : الموج .

(٢) إهابي : الإهاب : الجلد .

(٣) الأعمال الكاملة ، ص ٧٠١ .

(٤) االمصدر نفسه ، ص ٧٠١ - ٧٠٢

أَعِيدِي فَدَتْكِ النَّفْسُ ذِكْــرَى صَبَابَةٍ
وأَحْــلامَ وَجْــدٍ كَالسَّرحِيقِ عِذَابِ[(١)]

وقُولِي فَإِنَّ النَّــفْسَ عَــطْشَى إِلَى فَــمٍ
يُحَــــدِّثُنِي عـــن سِــحْرِهَا وعَذَابِي

عن السُّــهْدِ في لَيْلِي عن النَّارِ في دَمِي
عـــن الــبَذْرِ يُحْصِي جِيئَــتِي وذِهَابِي

عن الوَعْدِ لَمْ يَصْدُقْ عن السَّعْدِ لَمْ يَرُقْ
عـــن الكَأْسِ لَمْ تَطْفَحْ بِغَيْرِ سَرَابِ[(٢)]

وهذا النص ـ كسابقه ـ رحلة عميقة في أجواء الماضي بأحلامه وأمانيه وآلامه ، ابتعد فيه الشاعر عن الفحش في المعاني ، كما أنك لا تلمس فيه « وصفاً حسياً ، ولا تطلع على أوصاف جسدية ، فالشاعر عف اللسان، طاهر القلب »[(٣)] .

وفي قصيدته (شد الحزام) تتأكد لنا عفته في حبه ، وحرصه على عدم إباحة حرمات الآخرين ، حيث يقول متغزلاً في مضيفة الطائرة[(٤)]:

رَسَمَتْ على الشَّفَتَيْنِ بَسْمَةْ ... جَذَّابَةً كَشُعَاعِ نَجْمَــــةْ
ورَنَــتْ رُنُوَّ الظَّبْيِ أَبْــــ ... ـصَرَ في يَدِ القَنَّاصِ سَــهْمَهْ
تَتَزَاحَمُ الأَلْفَاظُ حَـــــوْ ... لَ لِحَاظِهَا والحُسْنُ زَحْمَــهْ
ومَشَــتْ فَمَا مَشْيُ القَطَــا ... ةِ ومَا الحَمَامُ يَهُزُّ جِسْمَهْ

---

(١) صبابة : الصبابة : رقة الشوق وحرارته .

(٢) تطفح : أي تمتلئ وتفيض .

(٣) شعر الغزل في المملكة العربية السعودية ، علي المصري ، ط(١) عام ١٤٠١هـ ١٩٨١م ، ص ١١٦ .

(٤) الأعمال الكاملة ، ص ٦٤٤ .

تَنْـدَاحُ أَعْطَافاً وتُغْــــ ... ـري لَفْتَةٌ وتَــرِقُّ خِـدْمَةْ

وتَكَلَّمَتْ فَسَــمِعْتُ أَرْ ... خَــــمَ نَبْرَةٍ وأَرَقَّ نَغْمَةْ

تَتَسَاقَطُ الأَلْفَاظُ تَــحْـ ... ـتَ لِسَانِـهَا كَعَصِيْرِ كَرْمَةْ

شُدَّ الحِزَامَ تَقُــولُهَـا ... وأَقُولُ : لَسْتُ أُجِيْدُ حَزْمَةْ

أَنَا خَصْمُ كُل يَدٍ سِــوَا ... كِ تَشُدُّهُ وتَفُضُّ خَتْمَــةْ

مَدَّتْ أَنَامِلَهَا تُزِيْـــ ... ـحُ خَصَائِلاً كَاللَّيْلِ ظُلْمَةْ

فَبَدَا ضِيَاءُ الفَجْرِ فَــوْ ... قَ جَبِيْنِهَا نُورَاً ونَسْـمَةْ

قَلْبِي يُحِبُّ وإنَّــمَــا ... فِي حُبِّهِ خُلُقٌ وحِشْـمَةْ

ويَهِيْمُ بِالغِيْدِ الحِسَــا ... نِ ولا يُبِيْحُ لَهُنَّ حُـرْمَةْ

فهذه الأبيات تحمل إعجاب الشاعر بجمال مضيفة الطائرة ، فوصف ذلك الجمال وصفاً حسياً مبرزاً مفاتنها ، إلا أنه أفصح في نهايتها « عن مدى سيطرة النزعة الإسلامية عليه ..... فهو يعترف بأنه يحب لكن طابع حبه الخلق والحشمة اللذان يمنعان من التبذل ، وإنه يهيم بالغيد الحسان ، ولكنه لا يجرؤ على حرماتهن، والابتعاد عن التبذل ـ في الحب ـ وعدم إباحة حرمات الآخرين ، سمة من سمات الشاعر المسلم المدرك لحقيقة إسلامه »[١] .

---

(١) الاتجاه الإسلامي في الشعر السعودي الحديث قيمه في موازين النقد ، محمد عبده الشبيلي ، الرياض ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م ، ص ٥٢ - ٥٣ .

٤ ـ الوصف:

يعد الوصف من الأغراض الشعرية التي حظيت باهتمام واضح من قبل السنوسي ، فما يكاد يخلو ديوان من دواوينه من قصائد تتعلق بهذا الجانب .

وأقصد بشعر الوصف في دراستي ذلك الشعر الذي تناول فيه الشاعر الطبيعة بنوعيها : الصامت(١) منها والمتحرك(٢) .

« وجمال الطبيعة من أروع ألوان الجمال التي تهش لها النفس ، وتستجيب لها في فرحة وانطلاق »(٣) وقد « هام الإنسان بالطبيعة منذ أن فتح عينه على محاسنها ، وتطلع بحب إلى جمال روضها ورونق سمائها . وقد وجد فيها الشاعر والكاتب ، منذ القديم ، مرتعاً لخياله ، ومقيلاً لأفكاره ، تنشيه باهتزاز أزهارها وانسياب جداولها ، وتلألؤ طلها ، وهدوء ظلها ، فيعود بالكلم الخالد واللوحة الناطقة »(٤) .

والشعراء في إحساسهم بالطبيعة وتأثرهم بها مختلفون ، « فمنهم من يقف عند حد المرئيات ، أو السمعيات ، ينقل إليك ما في الطبيعة ملوناً تلويناً خفيفاً بشعوره ، ومنهم من يشخصها ويخلع الحياة عليها ، وينفذ ببصيرته الملهمة إلى سرها المغلق ، ويهيم في أودية الخيال يغترف من ينابيعها ، ويقتطف من أزهارها ، وتنعكس نفسه على ما وصل إليه ، وتشع بإشعاعات مختلفة فإذا الذي يلهج به لسانه أجمل من

---

(١) الطبيعة الصامتة تشمل : الأرض ، والسماء ، والشمس ، والقمر ، والكواكب ، والجبال ، والوهاد ، والسهول ، والهضاب ، والحدائق ، والبحار ، والأنهار ، والرياح ، والنسيم ، والليل والنهار ، والصباح والمساء ، والصيف والشتاء ، والربيع والخريف ... الخ .

(٢) الطبيعة المتحركة تشمل : كل المخلوقات الحية مثل : النبات ، والحيوان ، والطير .

(٣) منهج الفن الإسلامي ، محمد قطب ، ط(٨) ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م) ، ص ١٤٣ .

(٤) الطبيعة في الشعر الأندلسي ، د. جودة الركابي ، ط (٢) ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م ، ص ٩ .

الطبيعة ، وأوفى مقصداً ؛ لأنه فسرها ، وشرح آياتها ومعجزاتها ، ونقله إليك صورة خلابة تزيده بهاء ورواء »[١] .

والشاعر المسلم حين يعرض للطبيعة في شعره يتخطى الوصف المجرد ، متيحاً لنفسه التأمل في صنع الله ، الذي أتقن كل شيء ... ينظر إليها وفي ذهنه معلومة سابقة بأن ما من شيء في الحياة والكون إلا يسبح بحمد الله ، وإن لم نفقه من ذلك شيئاً ﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ﴾[٢] فهو الذي صب الماء ، وشق الأرض ، ومدها ، وبارك فيها وجعلها فجاجاً وسبلاً ، وجعل الشمس ضياءً ، والقمر نوراً ، وأخرج من البحر لحماً طرياً ، وحلية ، وأمسك الطير أن تقع على الأرض ، وأنشأ السحاب الثقال ، وأشع البرق ، والرعد ، خوفاً وطمعاً . كل هذه الأشياء يستحضرها الشاعر المسلم وهو يناجي الطبيعة[٣] « ناظراً إليها في صلاتها المختلفة : صلتها بفاطرها وبارئها ، وفي صلتها بالكون ومفرداته من حولها ، وفي صلتها بعضها ببعض ، وصلتها ببني الإنسان »[٤] .

وشاعرنا واحد من أولئك الشعراء الذين احتفوا بالطبيعة ، ورأوا فيها أدلة عميقة ، تشهد بوحدانية خالقها ، وبديع صنعه .

والمتأمل في مجموعته الشعرية يجد عدداً من القصائد البديعة في وصف الطبيعة ، أظهر فيها الشاعر ولعه بمشاهدها ، فأخذ يجلي محاسنها ، ويستلهم مفاتنها ، ثم

---

(١) وصف الطبيعة وتطوره في الشعر العربي ، للسباعي بيومي وآخرين ، نقلاً عن « حسن كامل الصيرفي وتيارات التجديد في شعره » د. محمد سعد فشوان ، ط(١) ١٤٠٥هـ ١٩٨٥/ ، ص ١٥٣ .

(٢) سورةالإسراء: الآية: ٤٤ .

(٣) مجلة الفيصل ، العدد (١٠٩) مقالة للدكتور حسن بن فهد الهويمل ، عن « الحس الإسلامي في شعر الطبيعة السعودي » ص ٤٨ « بتصرف » .

(٤) من قضايا الأدب الإسلامي ، د. صالح آدم بيلو ، ط (١) ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥/ ، ص ٦٠ .

يصورها في لوحات شعرية أنيقة ، بعد أن أطلق لحواسه العنان لتحلق في تلك الآفاق الرحبة ، وتتأمل فيما أبدع الله ، ثم يسلط شاعريته ؛ لتجمع تلك الرؤى، وتصفها بأجمل الأوصاف[1] .

ومن قصائده التي بدا فيها تعلقه بجمال الطبيعة قصيدة (جبل فيفاء) فقد أبدع شاعرنا في وصفه لذلك الجبل ، وأجاد في رسم مظاهر الجمال التي يحتويها .

يقول السنوسي واصفاً شموخ ذلك الجبل ، وتباهيه بما ألبسه الله من حلل جمالية تسلب اللب ، وتستحوذ على المشاعر والأحاسيس[2] :

مُتْحَفٌ من أَشِعَّةٍ وظِلَالِ ... في إِطَارٍ من نُضْرَةٍ واخْضِلَالِ
سَابِحٌ في الفَضَاءِ يَغْمُرُهُ النُّو ... رُ بِفَيْضٍ من السَّنَا والجَلَالِ
يَتَحَدَّى الذُّرَى ويَخْتَرِقُ السُّحْـ ... ـبَ ويَزْهُو في عِزَّةٍ واخْتِيَالِ
صَنْعَةُ المُبْدِعِ المُصَوِّرِ جَلَّ الـ ... ـلَّهُ رَبِّي رَبُّ العُلَا والكَمَالِ
جَبَلٌ تَعْشَقُ النُّجُومُ مَجَالِيـ ... ـهِ وتَصْبُو إلى ذُرَاهُ العَوَالِي
يَزْحَمُ النَّيِّرَاتِ مَنْكِبُهُ الضَّخْـ ... ـمُ ويَحْتَكُّ بالسُّهَا والهِلَالِ[3]
مُشْرَئِبٌّ إلى السَّمَاءِ بِرَأْسٍ ... صَلِفٍ في شُمُوخِهِ مُتَعَالِ[4]
أَخْضَرُ السَّفْحِ أَزْهَرُ السَّطْحِ مَصْقُو ... لُ الحَوَاشِي زَاهِي الرُّبَى والتِّلَالِ

ثم ينتقل إلى وصف المناظر الطبيعية الخلابة التي تزين سفحه ، وتتهادى في

---

(١) من أعلام الشعر السعودي ، د. بدوي طبانه ، ط(١) ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ص ٣٤٩ ((بتصرف)).

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٣٤٠ - ٣٤١

(٣) السها : كويكب صغير خفي الضوء في بنات نعش الكبرى .

(٤) مشرئب : رافع رأسه ، صلف : الصلف : هوالغلو في الظرف والزيادة على المقدار مع تكبر.

جنباته وبين شعابه ، فيقول[١]:

يا لَتِلْكَ الذُّرَى المُوَشَّاةِ بالزَّهْـ ـرِ نَضِيْرًا وبالثِّمَارِ حَوَالِ !

أَوَلَتِلْكَ الرُّبَى يَرِفُّ شَذَاهَا بِعَبِيْرِ الصَّبَا ونَفْحِ الشَّمَالِ !

وَلِذَاكَ السَّحَابِ والمَاءُ يَجْرِي من خِلَالِ الصُّخُورِ جَرْيَ الصِّلَالِ[٢]!

والوُجُوهِ الصِّبَاحِ والمُقَلِ النَّشْـ ـوَى بِسُكْرِ الصِّبَا وسِحْرِ الدَّلَالِ[٣]!

والرِّيَاضِ المُنَسَّقَاتِ صُفُوفاً في عَلَالٍ كَأَنَّهُنَّ لآلِ[٤]

ويصف أثر تلك المناظر الجميلة على نفسيته[٥]:

حَيْثُ عَاشَتْ أَرْواحُنا وأَمَانِيـ ـنَا حَيَاةً مَوْصُولَةً بِالمَعَالِي

ونَعِمْنَا ولا نَزَالُ بِدُنْيَا مِن فُتُونٍ وعَالَمٍ من جَمَالِ

وسَكَبْنَا على الوُجُودِ غِنَاءً صَافِيَ النَّبْعِ كَوْثَرِيَّ الزُّلَالِ

ولا يفوت السنوسي أن يصف الصعوبات التي تقف حائلاً بين الإنسان ورغبته في التمتع بمشاهد ذلك الجبل الخلابة عن قرب ، وإصراره على قهر الصعوبات التي تزدحم بها الطريق إليه ، يعينه في مغامرته تلك ولعه بالسمو الذي يوحي به ذلك الجبل الأشم[٦]:

---

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٣٤٢ - ٣٤٣ .

(٢) الصلال : الحيات .

(٣) الصباح : أي الوجوه الجميلة .

(٤) علال : المراد بها هنا الحباب الذي يظهر فوق الماء من وقع المطر .

(٥) الأعمال الكاملة ، ص ٣٤٢ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٣٤٤

دُونَ إِدْرَاكِهَا شِعَافٌ وَصَخْرٌ خَطِرُ المُرْتَقَى بَعِيدُ المَنَالِ[(١)]
شَاقَنِي ذَلِكَ السُّمُوُّ وَلِي قَلْبٌ وَلُوعٌ بِكُلِّ سَامٍ وَعَالِ
كَلِفٌ بالسُّمُوِّ أَنَّى تَجَلَّى شَامِخًا في الجِبَالِ أَوْ في الرِّجَالِ[(٢)]
فَتَصَعَّدْتُهُ وَيَمَّمْتُ وَجْهِي شَطْرَهُ في تَقَدُّمٍ ونِضَالِ
ورَكِبْتُ الصِّعَابَ وانْتَصَرَ الشَّوْقُ بِقَلْبِي على الوَنَى والكَلَالِ[(٣)]
ذَاكَ دَأْبِي ودَأْبُ قَوْمِي مَدَى الدَّهْرِ صِرَاعُ الرَّدَى وقَهْرُ المُحَالِ

والسنوسي - في وقفته أمام جبل فيفاء بطبيعته الخلابة - لم ينس من وراء ذلك الجمال الأخاذ بمشاهده الكثيرة ، فجميعها تشهد بوحدانية الله واتقانه لصنعه[(٤)]:

صَنْعَةُ المُبْدِعِ المُصَوِّرِ جَلَّ اللهُ رَبِّي رَبُّ العُلَا والكَمَالِ

ويقف السنوسي في قصيدة أخرى أمام (فيفاء) منبهراً بما حباها الله من جمال أخاذ ، يدخل البهجة إلى النفس .

فهي معرض للجمال الحسي والمعنوي المتمثل في : جبلها المتعالي ، ورباها السندسية ، وسمائها التي لا تبرحها الغيوم ، وسحبها السخية ، وطيبة أهلها ، وصفاء نفوسهم .

يقول السنوسي واصفاً (فيفاء) ، ومجلياً مظاهر جمالها ، متخذاً من ذلك الجمال دليلاً على حسن صنع الله[(٥)] :

---

(١) شعاف : شعف كل شيء أعلاه ، وشعفة الجبل رأسه .
(٢) كلف : محب
(٣) الونى : الضعف والفتور والكلال والإعياء .
(٤) الأعمال الكاملة ، ص ٣٤٠ .
(٥) المصدر السابق : ص ٣٩٨ - ٣٩٩

لَسْـــتِ فَيْفَا أَنْتِ جَنَّةْ تُلْـهِمُ الشَّـــاعِرَ فَنَّهْ[(١)]

من رَوَابِي الخُلْـدِ لَوْنٌ ومن الِفرْدَوسِ سَحْنَهْ[(٢)]

عَالَمٌ يَزْهَرُ بِالبِشْــــــرِ ودُنْيَا مُطْمَئِنَّـــةْ

ونُفُوسٌ كالنَّدَى طُهْــراً وكَالإِشْعَاعِ فِطْنَةْ

وسَـــــمَاءٌ تَتَنَدَّى مُزْنَةً في إِثْرِ مُزْنَـــةْ

وغُيُومٌ تَنْثُـــرُ اللُّؤْ لُؤَ صُبْحاً ودُجُنَّـــةْ

وعُلُوٌّ يَلْثِمُ النَّجْــــمُ لَهُ خَدّاً ووَجْنَـــةْ[(٣)]

عَرَضَتْ فِيهِ اللَّيَـالِي زَهْوَهَا والبَدْرُ حُسْنَهْ

أَنْتِ يـــا فَيْفَاءُ هَيْفَا ءُ لَهَا سِـــحْرٌ وفِتْنَهْ

ثم يعلن عجزه عن الاحاطة بكل مظاهر الجمال التي تحتويها (فيفاء) ويشيد بمن وهبها ذلك الجمال الآسر[(٤)] :

إِنَّهُ فَـــوْقَ بَيَانِي جَلَّ مَنْ أَبْدَعَ فَنَّـهْ

كُلُّ شَيءٍ فِيْكِ حُلْوٌ أَنْتِ يَـــا فَيْفَاءُ جَنَّهْ

وفي قصيدته (موكب السحاب) يتضح لنا مدى تفاعله مع جمال الطبيعة ، وقدرته العجيبة على التحليق في أجوائها ، وتحسيسنا بذلك الجمال المتضوع من كل مشهد من مشاهدها ، حاثاً إيانا على التأمل العميق فيها ، سعياً وراء الراحة التي تحسها النفس وهي تعب من ذلك الجمال الآسر .

يقول السنوسي واصفاً ذلك السحاب الذي نشر رواقه على صفحة الكون ،

---

(١) فيفا : الفيف والفيفاة : المفازة لا ماء فيها ، والفيفاء : الصحراء الملساء .

(٢) سحنه : لين البشرة والنعمة ، وقيل : الهيئة واللون والحال .

(٣) يلثم : يقبل .

(٤) الأعمال الكاملة ، ص ٤٠٠

وما تخلل ذلك المشهد من أصوات ، وحركات ، حيث صوت الرعد ، وزفيف الرياح ، و إيماء النجوم ، وابتسام البرق ، حاملين البشارة للأرض بهطول الغيث من السماء[١] :

شَاقَهُ مَوْكِبُ السَّحَابِ وقَدْ سَا ... رَ على الأُفْـقِ نَاشِـراً أَعْـلَامَهْ

وزَفِيفُ الـرِّيَـاحِ يَخْتَرِقُ الجَـ ... ـوَّ صَفِيراً والبَرْقُ يَجْلُو حُسَامَهْ[٢]

وازْدَهَـتْهُ الرُّعُودُ تَخْتَلِبُ النَّفْـ ... ـسَ جَلَالاً وتَـطَّبِيْهَا فَـخَامَهْ[٣]

مُشْمَخِرُّ الذُّرَى رَقِيقُ الحَوَاشِي ... سَـابِغُ الذَّيْلِ مُسْبِلاً أَكْمَامَهْ[٤]

عَيْلَمٌ تَسْبَحُ الكواكِبُ فِيـهِ ... وتَشُقُّ الدُّجَى بِـهِ عَـوَّامَـهْ[٥]

ويصف انهمار الغيث ـ الذي حمله ذلك السحاب ـ على الأرض[٦]:

ضَـرَبَتْهُ الرِّيَاحُ فاسْتَقْبَلَ الأَرْ ... ضَ حَثِيثـاً يَبُثُّهَا آلَامَـهْ

ثَائِرٌ والسُّكُونُ يُضْفِي على الكَوْ ... نِ جَلَالاً واللَّيلُ يَرْعَى نِيَامَهْ

جَلَّلَ الأَرْضَ والسَّـمَاءَ وأَعْيَا ... صَائِلَ الرَّعْدِ أَنْ يَـدُكَّ رُكَامَهْ[٧]

ويجسد لنا فرحة المخلوقات ، ومظاهر الجمال الذي حفل به أوسع مسرح للطبيعة بنوعيها قائلاً[٨] :

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٢٦ - ١٢٧

(٢) زفيف الرياح : شدة هبوب الرياح وسرعتها .

(٣) تطبيها : تسحرها

(٤) مشمخر : مرتفع . سابغ : أي دان إلى الأرض وممتد .

(٥) عيلم : بحر .

(٦) الأعمال الكاملة : ص ١٢٧

(٧) صائل : صوت الرعد ، ركامه : السحاب المتراكم بعضه فوق بعض .

(٨) الأعمال الكاملة ، ص ١٢٩ - ١٣٠

دَوْحَةٌ عِـــنْدَ جَـــدْوَلٍ وغَدِيْرٍ عِنْدَ عُشْبٍ وظَبْيَةٍ وبَشَــامَــةْ[1]

ومُـــــرُوجٌ تَهَـــدَّلَتْ تَمْلأُ الوَا دِي وتَسْتَوْقِفُ النَّسِــيْمَ سَلاَمَهْ[2]

سَطَعَتْ في ظِـــلاَلِهَا لَمَعُ الشَّمْـ ـسِ ورَقَّتْ بِهَا دُمُــوعُ الغَمَامَــهْ

ومَشَتْ حَوْلَهَا المَهَا تَقْطِفُ الزَّهْـ ـرَ وتَحْسُو النَّدَى وتَــرْعَى الخُزَامَهْ

وشَدَا في الفُرُوعِ صَـــادِحُ أَيْكٍ جَاوَبَتْ لَحْنَهُ الرَّقِيْـقَ حَمَامَـــــهْ

ونَضَا الفَجْرُ فَوْقَـهَا ضَــوءَهُ الزَّا هِي وأَلْقَى على الــرِّيَاضِ لِثَامَــهْ

وجَلاَهَا أَزَاهِراً كالشِّـــفَــاهِ اللُّعْـــــسِ حَارَتْ على لَمَاهَا ابْتِسَامَهْ[3]

في هذه الأبيات عرض مدهش ومثير لجمال الطبيعة بعد أن عانق الغيث عطش الأرض ، فربت وازينت ، وأسفرت عن وجهها بعد طول احتجاب ، فإذا هي مصدر إلهام ، ومبعث سعادة وراحة ، وإحساس بالحياة وجمالها .

وقد كان خيال الشاعر الخلاق وراء تلك اللوحة البديعة ، التي حوت كل تلك المشاهد في إطار واحد ، يرفد كل مشهد فيها المشهد الآخر ، فجاءت لوحته الطبيعية تلك غنية بالحركة ، مزدانة بالألوان والأصوات ، ناقلة ذلك التواصل العجيب بين مخلوقات الله ، والألفة والمحبة السائدة بينها ، فالمروج الخضر تهدلت على جنبات الوادي منتظرة مرور النسيم ؛ لتحظى بسلامه ، والحمامة بصوتها الرخيم تبادل صادح الأيك تحاياه ، وتباشيرالفجر تزيح عن الرياض الجميلة لثامها ، والمها تتهادى في مشيتها تقطف الزهر تارة وتحسو نداه ، وأخرى تطبع قبلاتها على نبت الخزامى .

تلك اللوحة البديعة التي رسمها لنا خيال السنوسي ، وألف بينها بعد تنافر ، من

---

(١) بشامه : شجر طيب الرائحة والطعم يستاك به .

(٢) تهدلت : تدلت .

(٣) اللعس : اللعس : لون الشفة إذا كانت تضرب إلى السواد قليلاً .

شأنها أن تذكي في النفس روح التطلع إلى بارئها وخالقها ، وتحملها على استشراف أفق ذلك الجمال الآسر ، الذي يساعدها على جلاء سأمها وأوصابها .

يقول السنوسي واصفاً أثر تلك المناظر في نفسيته[1] :

صُــــوَرٌ يَرْقُصُ الخَيَالُ عَلَيْهَا وتَطِـــيْرُ المُنَى بِهَا حَوَّامَهْ

وَرُؤًى تَسْـــتَفِزُّ عَاطِفَةَ القَلْـ ـبِ وتَسْتَهْبِطُ النُّهَى إلْهَامَهْ

نَبَّهَتْ خَاطِرِي الكَئِيبَ وأذْكَتْ في فُـــؤَادِي غَرَامَهُ وهُيَامَهْ

وجَلَتْ مِلْءَ نَاظِـــرَيَّ وقَلْبِي بَهْجَةً تَدْفَعُ الأَسَى والسَّآمَةْ

ويتوقف الشاعر عند مشهد من مشاهد الطبيعة المتحركة في قصيدته (اللحن السجين) فيطلعنا على خبايا روح ذلك الطائر السجين ، بعد تتبعه للفتاة الوجلة ، وتطلعه المتوثب إلى العالم من حوله ؛ ليصل في نهاية المطاف إلى رغبة ذلك الطائر في التحرر والانطلاق إلى عالم النور .

وهذه الخطرات التي حملتها لنا تلك القصيدة خطرات شاعر مرهف الحس جياش العاطفة[2]، يحنو على مخلوقات الله ويتعاطف معها .

يقول السنوسي بعد أن أرّقه تغريد ذلك الطائر في دجى الليل ، فراعه وأفزعه[3]:

(غَرِدٌ) غَـــنَّى فَأَرَّقَنِي . والدُّجَى يَجْلُو سَنَا قَمَــرِهْ

رَاعَنِي لَيْلاً وقَدْ خَفَقَتْ مُهْجَتِي عَطْفًا على سَهَــرِهْ

يَسْكُبُ الأَلْحَانَ صَافِيَةً كَصَفَاءِ المُزْنِ في قِطَـــرِهْ

---

(١) الأعمال الكاملة ، ص ١٣٠ - ١٣١

(٢) في الأدب الحديث ، د. عمر الدسوقي ، ج(١) ط (٨) دار الفكر ، ص ٢٥٤ - ٢٥٥ « بتصرف » .

(٣) الأعمال الكاملة ، ص ٩٥ - ٩٦ .

ويُــدِيرُ الــرَّاحَ في نَغَمٍ نَغَمَاتُ السِّحْرِ في وَتَــرِهْ
هَزَّ إِحْسَاسِي على زَجَلٍ طَابَ لَيْلُ الشِّعْرِ في سَمَرِهْ

ثم يبدأ شاعرنا في تتبع ذلك الطائر ، مهتماً باستكناه لفتاته العجلة ، وتطلعه الدائم إلى العالم من حوله ، محاولاً - عن طريقهــا ــ النفـاذ إلى وجدانـه ، والوصـول لمعرفة غاياته التي يرنو إليها ، وأمانيه التي يتشوق لتحقيقها(١) :

يـا جَنَاحــاً ضَمَّهُ قَــفَصٌ ضَمَّةَ المُشْتَاقِ في حَــــذَرِهْ(٢)
بَـاتَ نِـضْواً تَسْـتَطِيْرُ بِـهِ شُعَلٌ كَالْبَرْقِ في شَــــــرَرِهْ
يَتَــنَزَّى في لَظَى شَــجَنٍ مَدَّ طُولُ اللَّيْلِ من قِصَــــرِهْ(٣)
ذَائِبٌ في قَـــلْــبِـــهِ أَلَمٌ شَـفَّ عَنْهُ الذُّعْرُ في بَـــصَـرِهْ
حَنَّ لِلأَيْكِ الَّـــذِي نَبَتَتْ عَذَبَاتُ الرِّيْشِ في وَكْــرِهْ (٤)
رَفْرَفَتْ فِيْهِ قَوَادِمُـــــــهُ وزَقَا لِلْفَجْـــرِ في طُـرَرِهْ(٥)
وهَفَا شَوْقًا إِلَى نُـــطَــفٍ في شِعَافِ الصَّخْرِ أَوْ نُقَرِهْ(٦)
وانْطِلَاقُ الرُّوحِ في يَـفَـعٍ خَضِـــلٍ يَخْتَالُ في حِبَرِهْ(٧)

---

(١) المصدر السابق ، ص ٩٦ - ٩٧ .

(٢) خدره : الخدر : ستر يمد للجارية في ناحية البيت ثم صار كل ما واراك من بيت ونحوه خدراً .

(٣) يتنزى : أي كثير الحركة ، فهو لا يستقر في مكان .

(٤) عذبات الريش : أطرافه .

(٥) قوادمه : القـوادم : أربع ريشات في مقدم الجناح . وزقا : غرد . والطرر : الواحدة طره ، الناصية، والمقدمة من كل شيء .

(٦) نقره : النقرة : الوهدة : المستديرة من الأرض .

(٧) يفع : هو المكان المرتفع من الأرض ، خضل : النبات الناعم ، وكل شيء يترشش من نداه فهو خضل ، حبره : الحَبَرة ، والحِبَرَة : ضرب من برود اليمن منمر ، والحبير من البرود : ما كان موشياً مخططاً .

واسْتِبَاقٌ لِلنُّمَيْرِ جَـرَى في الهَوَاءِ الطَّـلْقِ من بُكَـرِهْ
يَتَغَنَّى في جَـداوِلـهِ ويَشِيْعُ الصَّفْوَ في كَـدَرِهْ
لُغَةٌ تَشْـدُو وأَجْنِحَـةٌ كَحَفِيْفِ الرَّوْضِ أَوْ هَذَرِهْ[1]

ويهتدي الشاعر بعد رحلته مع ذلك الطائر إلى أن الجمال هـو العامل المشترك بين ما يحدث الآن لهذا الطائر ، وما حدث بـالأمس البعيـد لسيدنا يوسـف ـ عليه السلام ـ حين قاده جماله إلى السجن .

و لم ينس الشاعر أن يربط ـ في نهاية قصيدته ـ ما حدث ليوسف ـ عليه السـلام ـ ولذلك الطائر با لله ـ سبحانه وتعالى ـ فهو الذي قدر عليهما ما أصابهما ، إذ هـو وحده الذي بيده كل شيء . وفي ذلك يقول[2]:

يا سَجِيْناً ما جَنَتْ يَـدُهُ لا وَلَمْ يَجْرَحْ شَبَا ظُفُـرِهْ[3]
كَانَ من حُسْنِ الغِنَاءِ لَهُ سَـبَبٌ لِلأَسْرِ عن زُمَـرِهْ
شِرْعَةُ الـدُّنْيَا ورُبَّتَـما كَانَ حُسْنُ الشَّيءِ من ضَرَرِهْ[4]
يُوسُفُ كَـانَ الجَمَالُ لَهُ مِحْنَةً والطُّـهْـرُ في أُزُرِهْ
وهْيَ دُنْيَا شَـأْنُهَا عَجَبٌ في سَجَايَا المَـرْءِ أَوْ فِطَـرِهْ
أَنْتَ لا تَـنْفَكُّ من شَجَنٍ وهو لا يَسْلُو هَـوَى وَطَـرِهْ
وكِـلَا هَذَيْنِ في قَفَصٍ من قَـضَـاءِ ا للهِ أَوْ قَـدَرِهْ

---

(١) حفيف الروض : صوته حين تحركه الرياح . وهذره : الهذر : الكلام الذي لا يعبأ .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٩٧ .

(٣) شبا : شباة كل شيء : حدُّ طرفه ، وقيل حده .

(٤) شرعة : الشرعة ما سن ا لله من الدين وأمر به . ولعل المراد هنا : حكمتها .

بعد هذه الجولة في شعر السنوسي الذي خص به الطبيعة بنوعيها ، نستطيع أن نقول : إن للسنوسي قدرة بارعة على تأليف الصور التي تتتابع في شعره حتى كأنها تفيض من نبع مستفيض ، ومن مورد لا ينضب ، بعد أن وعاها حسه ، ودبجها خياله الخصب ، لترى فيها الخيال الحركي ، الذي يخلع الحياة على الموات ، ويهب الحركة للجماد...[١] تلمس ذلك في جبل (فيفاء) الذي استحال إلى إنسان يزاحم النيرات منكبه الضخم ، متعالياً على الناس من حوله في صلف وغرور ، وفي السحاب العاشق وقد تهاوى على معشوقته الأرض ، ليبثها أشواقه وآلامه ، وفي المروج الخضر المتهدلة على جنبات الوادي منتظرة عبور النسيم ، لتحظى بسلامه...

كل تلك المشاهد التي استحضرها خيال الشاعر ، وبث فيها الحركة ، والحياة ، تشهد بوحدانية الله ، واتقانه لصنعه ، سواء ألمح الشاعر إلى ذلك أو لم يلمح ، فقد تلقاها حسه ، وتفاعلت معها عواطفه ومشاعره، وعبر عنها وهو يدرك أن من ورائها يد الله وقدرته ، وإن في كل جزئية من جزئياتها نوع حياة . وقد أبدى الشاعر تعاطفه مع بعض معالمها ، كما هو حاله مع ذلك الطائر الذي فقد حريته وظل يشتاق إليها ، آخذاً في اعتباره الآية الكريمة : ﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ﴾[٢].

---

(١) من أعلام الشعر السعودي ، د. بدوي طبانه ، ص ٣٥٠ « بتصرف » .

(٢) سورة الأنعام: الآية: ٣٨ .

٥ ـ الشعر الاجتماعي :

هو من الأغراض الشعرية المستحدثة في شعرنا العربي المعاصر ، وإن كانت له إرهاصات في شعرنا العربي القديم ، إلا أنها لم تستطع النهوض به حتى يكون غرضًا مستقلاً له كينونته الخاصة به ، وذلك لأن مجتمعنا الإسلامي ـ قديماً ـ لم تكن له قضايا اجتماعية ظاهرة تقلق الشعراء كما هو الحال في عصرنا الحديث الذي ظهرت فيه العديد من المشكلات الاجتماعية .

ويكتسب هذا الغرض الشعري جدته من قضاياه التي يعالجها ، فقضايا عصرنا الحديث التي نعيشها تختلف عن القضايا المعاشة في عصورنا السابقة ، كما أن قضايا كل بيئة ومجتمع تختلف عن قضايا البيئات والمجتمعات الأخرى .

ومجتمعنا الإسلامي ـ من أقصاه إلى أقصاه ـ في أشد الحاجة إلى هذا اللون من الشعر ، فقد غصّ بالمدنية الوافدة التي سلبت عقول الكثير من أبنائه ، ونالت استحسانهم ، فانجرفوا في متاهاتها ، ساعين وراء بهرجها الزائف ، متحللين من القيم والمبادىء التي أرستها تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف ، غير آبهين بما قد يترتب على ذلك التحلل من نتائج وعواقب وخيمة ، تتجاوز الفرد إلى المجتمع ، والمجتمع إلى الأمة .

ومن هنا كانت مشاركة الشعراء في هذا المجال ضرورية ، وذلك لأن « الإصلاح الاجتماعي مطلب إسلامي ، وإسهام الشاعر في الإصلاح من خلال تصور إسلامي مقتضى لا محيد عنه ، إذ لا بد من أن يقدم لأمته ومجتمعه ما تتطلع إليه . وليس هناك أهم من تعقب الإثم والحمل على المفاسد والتواصي بالبر والعمل والدعوة إلى العطف والإحسان والمساواة ، وتحمل عبء الدعوة إلى الطريق السوي،

وتحذير الأمة من التقليد المشين »[١].

ولشاعرنا مشاركاته الشعرية في هذا المجال ، وله وقفات مع كثير من الأدواء التي تفشت في مجتمعنا الإسلامي ؛ نتيجة لضعف الوازع الديني ، أو لتأثر أبنائه ببعض مظاهر المدنية الحديثة الوافدة إليه من دول الغرب . وله نصائحه وتوجيهاته التي تعدت المواطن إلى المسئول . تقوده رغبة جامحة في إيجاد مجتمع مثالي ، يستمد مثاليته تلك من عقيدته الإسلامية بمثلها وقيمها ومبادئها . وهذا ما أكده بقوله[٢]:

لَنَا مُثُلٌ نَسْمُو إِلَيْهَا وغَايَةٌ
وَسَائِلُهَا دِيْنٌ وخُلْقٌ وعِرْفَانُ

ولَيْسَ لَنَا أَنْ نَبْتَغِيْهَا وكُلُّنَا
بِأَطْيَافِ أَحْلَامِ الأَمَانِيِّ وَلْهَانُ

وإِنَّ على أَعْنَاقِنَا وقُلُوبِنَا
حُقُوقاً تَقَاضَاهَا شُعُوبٌ وأَوْطَانُ

وقد تعددت طرق شاعرنا في شعره الاجتماعي، فتارة يميل إلى الأسلوب المباشر، إما ساخراً ومتهكماً كما فعل مع النفاق والمنافقين ، أوناصحاً كما فعل مع أبناء مجتمعه في حثه لهم على التزود بالعلم النافع .

وتارة يلجأ إلى الأساليب غير المباشرة ، القادرة على إحداث التأثير المراد ، كالمفارقة التصويرية ، والحكاية ، والحوار ، والرمز . ولعل أول ما يصادفنا من شعره الاجتماعي ، قوله حاملاً على النفاق والمنافقين ، مبدياً سخطه وسخريته من أحد

---

(١) النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر ، د. حسن بن فهد الهويمل ، الرياض ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، ص ٣٢٧

(٢) شعراء الجنوب ، ص ٨٩ .

المتزيين بـه ، واصفـاً ذلـك الشـخص وقـد دأب علـى اصطنـاع البسـمات الملونـة ، وإظهار مشاعر التقدير والاحترام لرئيسه ؛ ليصل إلى غاياته عن طريق حيله المصطنعة تلك(١):

أَصْدِقَائِي أَمْ أَصْدِقَاءُ الوَظِيْفَةْ أَنْتُمُ ياذَوِي النُّفُوسِ الضَّعِيْفَهْ
الأُولِي تَهْـزَأُونَ بِالْمُثُلِ العُلْـ ـيَا وَتَلْهُونَ بِالْمَعَانِي الشَّرِيْفَهْ
بِسَـمَاتٌ مُلَوَّنَاتٌ وأَخْلَا قٌ وصُولِيَّةٌ غِلَاظٌ سَـخِيْفَهْ
ونِفَاقٌ مُلَوَّنٌ تَخْجَلُ الحِـرْ بَاءُ مِنْهُ فَتَنْثَنِي مَكْسُـوفَهْ

ويواصل الشاعر رحلته مع ذلك المنافق ؛ ليكشف لنا سرّ تغيره ، ويبدي موقفه تجاهه(٢):

فَإِذَا وَلَّتِ الوَظِيْفَةُ ولَّـوْا وأَثَارُوا عَلَيْكَ حَرْباً عَنِيْفَـهْ
خُلُقٌ يَشْمَئِزُّ مِنْهُ كَرِيْمُ النَّـ ـفْسِ والطَّبْعِ والخِصَالِ المُنِيْفَهْ(٣)

ثم يفصح عن ألمه وحزنه الذي ولدته في عالمه تلك المشاهد المنفرة ، واصفاً أثر ذلك الداء ، منفراً من المصابين به ، ومحذراً من الاختلاط بهم . في قوله(٤):

يالِنَفْسِي من أَنْفُسٍ تَقْذِفُ الحِبْـ ـرَ عَدَاءً على الثِّيَابِ النَّظِيْفَهْ!
وعلى كُـلِّ جَانِبٍ من قَذَاهَا قَذَرٌ يَزْكُمُ الأُنُوفَ وجَيْفَـهْ
أَوْجُهٌ كالْبَلَاطِ لا تُنْبِتُ الزَّهْـ ـرَ وإِنْ كَانَتِ المِيَاهُ كَثِيْفَـهْ
وقُلُوبٌ مِثْلُ الكُهُوفِ ظَلَاماً والضُّحَى يَغْمُرُ الوُجُودَ مُخِيْفَهْ

---

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٤٣٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٣٩

(٣) يشمئز : أي ينفر منه ويكرهه ، والخصال المنيفة : الخلال الحسنة الشريفة .

(٤) الأعمال الكاملة ، ص ٤٣٩ - ٤٤٠

ويحمل شاعرنا في نص آخر على مرض اجتماعي لا يقل خطره عن سابقه ، بل ربما تعداه في الخطر ، وهذا الداء هو الكبرياء والتعالي على الناس . وهو في حمله على هذا الداء يسعى إلى إيجاد ضده ، وهو التواضع ذلك الخلق الإسلامي الرفيع . يقول شاعرنا في ذلك[1] :

يَــرْفُــضُ القَلْبُ إِذَا كَـانَ كَبِيْرًا

عُــقَــدَ النَّقْصِ سُلُوكًا وشُعُورَا

ويَــرَاهَا دَنَسًــا مُسْــتَقْذَرًا

تَأْلَفُ القَزْمَ وتَسْتَهْوِي الصَّغِيرَا[2]

يَحْجُــبُ النَّاقِصُ سُفْلَى نَفْسِهِ

بِتَعَالِيــهِ على النَّــاسِ غُرُورَا

وَرَمُ الأَنْفِ دَلِيــلٌ وَاضِــحٌ

أَنَّ في النَّفْسِ جُرُوحًا وبُثُورَا[3]

وكَبِيــرُ القَلْبِ تَلْـقَــاهُ عــلى

كُلِّ حَــالَيْــهِ عَظِيمًا وخَـطِيرَا

هُوَ كَالبَــحْرِ جَلَالًا رَائِــعًــا

وهْــوَ كَالرَّوْضِ زُهُورًا وعَبِـيرَا

نَفْسُــهُ في يَدِهِ مَبْسُــوطَــةٌ

تَــزْرَعُ الخَــيرَ وتَــبْنِيهِ قُصُورَا

وضِــيَــاءُ البِشْــرِ في غُــرَّتِهِ

خُلُقًا سَمْحًا وإيمَــانًا غَزِيـرَا

---

(١) المصدر السابق ، ص ٧١٥ - ٧١٦

(٢) القزم : اللئيم الدنيء الصغير الجثة الذي لا غناء عنده .

(٣) بثورا : البثر : مثل الجدري يقع على الوجه وغيره من بدن الإنسان .

يَــرْفُـــضُ العُجْبَ وإنَّ هَشَّ لَهُ
مَبْسَــمُ الدَّهْرِ نَعِيْماً وسُرُورَا[١]

وشاعرنا ـ كما هو ملاحظ ـ في تنفيره من الكبر ، ودعوته إلى التواضع ، قد سلك مسلكاً غير مباشر ، فهو لم يوجه اللوم لذلك الإنسان المتعالي ، وإنما جاء به في صورة تدعو إلى ذلك النفور . فهو إنسان مريض ، يحاول بتعاليه حجب إحساسه الباطن بالدونيه والنقص . ولم يقم بإطراءذلك الإنسان المتواضع ، وإنما قدمه لنا في صورة تدعونا إلى الإعجاب به ، والتقرب منه . وبهذه المفارقة التصويرية نجح شاعرنا في تنفيره من ذلك الداء الخطير ، كما نجح في الترغيب لتلك القيمة الخلقية الرفيعة . ويسلك الشاعر هذا المسلك غير المباشر في نعيه على الإنسان سخريته من أخيه الإنسان ، في قصيدته (هوية الإنسان) التي يدعو فيها إلىالرحمة ، والشفقة ، ومد يد العون لمن هم في أشد الحاجة لمدها ، من خلال تشخيصه لحالة شيخ طاعن في السن ، قد افتقد من يعوله ويهون عليه مصاعب الحياة ، ويزينها في نظره .

يقول السنوسي واصفاً أثر الشيخوخة والفقر المدقع على ذلك الإنسان[٢]:

خَارَتْ قُواهُ وخَانَهُ جَلَدُهْ وانْهَارَ من آلاَمِهِ جَسَــدُهْ
شَــيْخٌ يَجُرُّ وَرَاءَ مَنْكِبِهِ عُمْراً تَكَادُ خُطَاهُ تَفْتَقِـدُهْ
في مُقْلَتَيْــهِ وفي مَلاَمِحِهِ صُوَرٌ يَخُطُّ رُسُومَهَا نَكَـدُهْ
البُؤْسُ مَائِجَــةٌ غَوَارِبُهُ في شَيْبِهِ مُتَدَفِّقٌ زَبَــدُهْ[٣]
والفَقْرُ هَائِجَةٌ عَــواصِفُهُ في وجْهِهِ مُتَرَبِّدٌ لَبَــدُهْ[٤]

ويمضي في وصفه لذلك الشيخ ، محاولاً استدرار مشاعر الشفقة والرحمة في

---

(١) العجب : الزهو .
(٢) المصدر السابق ، ص ٣٧٨ - ٣٧٩
(٣) غواربه : الغارب : أعلى الموج .
(٤) متربد: أي متجمع، ولبده: لبد الشيء بالشيء يلبد إذا ركب بعضه بعضاً، ولصق به .

نفوس أبناء مجتمعه . فيقول[١]:

أَبْصَرْتُهُ يَمْشِي وقَدْ شَخَصَتْ عَيْنَاهُ واعْتَمَدَتْ عَصَاهُ يَدُهْ[٢]

تَهْوِي بِهِ رِجْلاَهُ حَيْثُ هَوَتْ والــدَّرْبُ يَلْفُظُهُ ويَزْدَرِدُهْ[٣]

في كُــــلِّ زَاوِيَةٍ لَهُ أَمَلٌ يَقْتَادُهُ من مُحْسِــــنٍ يَجِدُهْ

ثم ينتقل ليصف لنا موقف فئة من الناس اعتادت التلذذ بمثل هذه المشاهد ، وملاحقة أمثال ذلك الشيخ ؛ ليسكبوا في أسماعهم سخرياتهم اللاذعة ، متناسين تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف ونهيه عن السخرية:

حَقَرُوهُ فَانْتَهَرُوهُ وابْتَدَعُوا رَأْياً هُدَى الإِسْلاَمِ يَنْتَقِدُهْ

سَأَلُوهُ في زَهْوٍ وغَطْرَسَةٍ مَاذَا هَوِيَّتُهُ وما بَلَــدُهْ؟[٤]

ويجيبهم الشيخ ـ على لسان السنوسي ـ مذكراً إياهم بإنسانيته التي توجب عليهم احترام مشاعره كإنسان يشاطرهم العيش في هذه الحياة ، قائلاً[٥]:

بَشَــرِيَّتِي بَلَدِي وكُلُّ ثَرًى في الأَرْضِ يَــغْذُونِي أَنَا وَلَدُهْ

وهَـوِيَّتِي الإِنْسَانُ ما خَفَقَتْ أَحْشَــاؤُهُ وتَحَرَّكَتْ غُدَدُهْ[٦]

وانْــهَارَ من أَلَمٍ ومن نَصَبٍ فَصَحَا النُّهَى وتَحَلَّلَتْ عُقَدُهْ[٧]

---

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٣٧٩ .

(٢) شخصت : أي فتح عينيه وجعل لا يطرف .

(٣) يزدرده : يبتلعه .

(٤) الأعمال الكاملة ، ص ٣٨٠ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٣٨٠ .

(٦) غدده : الغدة والغددة : كل عقدة في جسد الإنسان أطاف بها شحم .

(٧) نصب : النصب : الإعياء والتعب . والنهى : العقل، وتحللت عقده : أي انفتحت وانتقضت .

فالسنوسي - في نصه هذا - يحث أبناء مجتمعه على مد يد العون لمن يستحق ذلك من الآباء الطاعنين في السن ، ويدعو مجتمعه لاتخاذ وسيلة يساعد بها أولئك الناس دون أن يراق ماء وجوههم . ولكن ذلك الحث، وتلك الدعوة ، لم تأت مباشرة ، وإنما عمد إلى وصف ذلك الشيخ الطاعن وصفاً يهيج الشفقة في النفس ، ويدفعها إلى التعاطف مع ذلك الشيخ ، ويدعوها لتقديم المساعدة له ولمن هم على شاكلته .

ويقف السنوسي في قصيدته (الحصان المقيد) ساخطاً على بعض المسئولين في مجتمعه ؛ بسبب ظلمهم ، وحرمانهم لبعض أصحاب الكفاءات العالية من أبناء مجتمعهم من بعض الفرص الوظيفية التي تتلاءم مع مؤهلاتهم ، وإعطاء تلك الفرص لمن لا يستحقها عن طريق المجاملات .

يقول السنوسي في ذلك متخذاً من الأسلوب الرمزي وسيلة لمعالجة ذلك الداء[1]:

لِيَدَيْهِ صَلْصَلَةٌ وفِيْهِ صَهِيْلُ ... طِرْفٌ كَأَكْرَمِ مَا يَكُونُ أَصِيلُ

شَدَّتْ إِرَادَتَهُ القُيودُ وكَبَّلَتْ ... قَدَمَيْهِ وهْوَ على القُيودِ يَصُولُ

يَهْتَزُّ من مَرَحِ الفُتُوَّةِ جِسْمُهُ ... ويَدُورُ رَغْمَ قُيودِهِ ويَمِيلُ

مُتَحَفِّزٌ لِلْعَدْوِ مِلْءُ إِهَابِهِ ... ثِقَةُ السُّيوفِ وعَزْمُهُ المَأْمُولُ

شَاهَدْتُهُ والقَيْدُ يَضْغَطُ سَاقَهُ ... وَيَدَيْهِ وهْوَ مُكَبَّلٌ مَغْلُولُ

والحَبْلُ من حَرَكَاتِهِ مُتَحَرِّكٌ ... فَتَرَاهُ يَقْصُرُ تَارَةً ويَطُولُ

والخَيْلُ بَيْنَ يَدَيْهِ مُطْلَقَةُ الخُطَى ... تَلْهُو وتَلْعَبُ ماَلَهُنَّ كُبُولُ[2]

---

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٥٠٧ – ٥٠٨

(٢) كبول : جمع كبل وهوالقيد الضخم .

من كُلِّ خَوَّارِ القَوَائِمِ واهِـــنٌ يَكْبُـو إِذَا طَالَ المَدَى وَيبُولُ[١]
فَأَسِفْتُ لِلْفَرَسِ الأَصِيْلِ مُقَيَّداً وعَجِبْتُ لِلْفَرَسِ الـهَزِيلِ يَجُولُ
ورَجَـعْتُ أَتَّهِمُ الحَيَـاةَ كَأَنَّنِي عن كُلِّ مَهْزَلَةٍ بها مَسْـــئُولُ

فالحصان المقيد رمز به الشاعر لذلك الشاب المؤهل علمياً لأداء أية مهمة توكل إليه إن منح الفرصة . أما الحصان الهزيل فقد رمز به لذلك الشاب الذي جومل بمنحه تلك الفرصة التي لا يستحقها .

وشاعرنا يسعى - عن طريق نقده الهادف هذا - إلى معالجة ذلك الداء المتفشي في مجتمعه ؛ لمنافاته لمبدأ العدل الذي حث على تحريه ديننا الإسلامي الحنيف في كل معاملاتنا .

ويقف السنوسي في قصيدته (القرد الفنان) ساخراً ومتهكماً من بعض شباب مجتمعه المأخوذين ببعض مظاهر المدنيــة الوافـدة ، المتمثلـة في تقليـد أولئك الشباب للغربيين في أزيـائهم ، وفي طريقـة سيرهم . وفي ذلـك يقـول بعـد أن رأى واحـداً منهم[٢]:

رَأَيْتُهُ وهـــــو يَمْشِي مَشْيَ فَنَّانِ
كَـــأَنَّهُ فَـــارِسٌ في وَسْطِ مَيْدَانِ
يَهُزُّ عِطْفَيْهِ إِعْجَـــابًا بِحُلَّتِـــــهِ
ويَمْسَــحُ الشَّعْرَ من آنٍ إلى آنِ[٣]
في (بَدْلَةٍ) تُبْرِزُ الأَعْطَافَ مَاثِلَـــةً
أَرْكَانُـهَا وزَوَايَاهَا (كَفُسْـــتَانِ)

---

(١) خوار : الضعيف الذي لا بقاء له على الشدة .
(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٤٠٩ .
(٣) حلته: الحلة: كل ثوب جيد جديد تلبسه، غليظ أو رقيق، ولا يكون إلا ذا ثوبين .

فَقُلْتُ مَاذَا أَرَى يَا قَوْمُ هَلْ مُسِخَتْ

طِبَاعُ صَحْبِي وإِخْوَانِي وأَقْرَانِي؟

إِنِّي أَرَى بَيْنَكُمْ قِرْدَاً فَكَيْفَ أَتَى

وكَيْفَ أَلْبَسْتُمُوهُ لِبْسَ إِنْسَانِ ؟

وتتواصل عطاءات شاعرنا في مجال الإصلاح الاجتماعي ، متجاوزاً — في قصيدته (صورة شعرية) - المواطن إلى المسئول ، حيث يقول[١]:

يا مَعَالِي الوَزِيرِ إِنَّ الوِزَارَهْ ... عَلَمٌ رَائِعُ السَّنَابِلْ مَنَارَهْ

يَرْقُبُ الشَّعْبُ نُورَهَا وصَدَاهَا ... أَيْنَمَا حَلَّ لَيْلَهُ ونَهَارَهْ

مِثْلَ مَا تَرْقُبُ المَرَاصِدُ نَجْمَاً ... تَجْتَلِي نُورَهُ وتَرْعَى مَدَارَهْ

ومِنَ الشَّعْبِ تُسْتَمَدُّ المَعَالِي ... مَالَهَا من جَلالَةٍ ونَظَارَهْ

ويرسم صورة الوزير المثالي الذي يطمح إليه المجتمع ، محفزاً إياه على أن يكون هو ذلك الوزير الذي ينتظر تواجده أبناء مجتمعه[٢]:

والوَزِيرُ العَظِيمُ يَحْتَضِنُ الشَّعْـ ... ـبَ وآمَالَهُ ويُلْقِي دِثَارَهْ[٣]

يَتَبَنَّى أَحْلامَهُ وأَمَانِيـ ... ـهِ بِرُوحٍ قَوِيَّةٍ جَبَّارَهْ

يَسْهَرُ اللَّيلَ كَيْ يُحَقِّقَ رُؤْيَا ... قَوْمِهِ في تَقَدُّمٍ وحَضَارَهْ

وَاضِعَاً عَيْنَهُ على كُلِّ فَرْعٍ ... وجِهَازٍ وشُعْبَةٍ وإِدَارَهْ

يَتَقَصَّى ويَسْتَحِثُّ ويُوصِي ... ويَهُزُّ الكَرَاسِيَ الدَّوَّارَهْ

ويَمُدُّ المُوَظَّفِينَ بِرُوحٍ ... منه وَهَّاجَةٍ تَشِعُّ حَرَارَهْ

---

(١) الأعمال الكاملة ص: ٣٥٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٦٠ - ٣٦١

(٣) يلقى دثاره : أي يلقي كسل الشعب وخموله .

فالسنوسي - في هذا النص - يقدم لنا الصورة المثالية التي ينبغي أن يكـون عليهـا كل مسئول ووزير في أي مجتمع من المجتمعات .

وفي ذات الوقت يطلع ذلك المسئول أو الوزير على الآمـال والطموحـات الـتي ينتظر أبناء مجتمعه تحققها على يديه ، ومن ثـم يبصـره بحجـم المسئولية الملقـاة علـى عاتقه تجاههم .

وهذا التصوير كما يرى الدكتور علي علي مصطفى صبح :« تصوير اجتمـاعي لكل وزير ، بل لكل مسئول في أي موقع من مواقع العمـل والانتـاج ، في أي بقعة من بقاع العالم »[1] ولأجل ذلك احتل شعر شاعرنا الاجتماعي مركـزاً عالمياً ؛ لأنه « شعر إنساني عالمي بروح إسلامية عالمية ، تحب الخير للإنسان في أي مكان »[2] .

---

(١) المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية ، ص ١١٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١١٤ .

٦ - الشعر الوطني:

« الوطنية روح تتمثل في حب الوطن ، والافتتان به ، والعمل له ، والذود عنه ، والحفاظ عليه ، تسري في النفوس فتحبب إليها البذل والفداء ، والتضحية والإيثار، وترتفع بها إلى مصاف الأبرار ، ومراتب الأبطال ، حين يحز الوطن الضر ، ويحيق به الشر ، فتسترخص الدم الزكي يروي ثراه الحبيب ، وتستعذب الشهادة رضية قريرة العين في غير من ولا خيلاء »[١] .

وقد هام الشعراء - منذ القدم - بأوطانهم ، يتغنون بأمجادها ، ويسرون إليها بآمالهم وأحلامهم ، ويبثونها آلامهم وأحزانهم ، ولا يتورعون لحظة في الذود عنها أمام كل من يحاول النيل منها والمساس بها .

والشعر الوطني في العصر الحديث اتخذ « مسارين متمايزين : أحدهما إقليمي قومي غذته ورفدته عوامل عدة أهمها : الاستعمار ، والتخلف ، والغربة ، والآخر وطني إسلامي يربط الوطن بالدين »[٢] .

وقد سلم (وطن) شاعرنا من نير الاستعمار الذي تجاوز مده الأراضي التي وطأتها أقدامه إلى عقول أبنائها ، حيث عمل على إفسادها وبلبلتها ؛ ليصل إلى غاياته البعيدة التي دأب على تحقيقها منذ البدايات . أضف إلى ذلك أن أبناء وطنه - بدءاً بحكامهم - قد اتخذوا الشريعة الإسلامية بتعاليمها منهجاً لهم في حياتهم ، يأتمرون بأوامرها ، وينتهون بنواهيها ، ويصدرون عنها في كل ما يصدرون ، من قولٍ، أو فعلٍ، أو عمل. ولعل هذه العوامل والمؤثرات - مجتمعة - كان لها أثرها في

---

(١) دراسات أدبية ، د. عمر الدسوقي ، ج(١) ص ١١٩

(٢) النزعة الإسلامية في الشعر السعودي ، ص ٢٢٣

توجيه شعره الوطني وجهة إسلامية لا تغفلها العين المتأملة ، وخير دليل على ذلك ربطه الجميل بين حاضر وطنه الزاهي ، وماضيه المشرق الجميل ، فمن صحرائه انبثقت أنوار الرسالة الإسلامية ، وعلى أديمه سار ، سيد البشرية ، وصحبه الكرام ، وتحت سمائه مقدسات المسلمين ، ومشاعرهم التي يهفو إليها كل فؤاد وتشتاق إليها كل مقلة .

واهتمام شاعرنا بوطنه واعتزازه به ـ كما تفصح تجاربه ـ ليس ناتجاً عن نزعة عصبية يحسها فيريقها في شعره، وإنما كان مرده ذلك الدور العظيم الذي ينهض به أبناؤه في خدمة الإسلام والمسلمين ، وشروعهم في تبليغ الرسالة التي انبثقت أنوارها من أراضيهم بوسائلهم المختلفة ، وشعوره الجميل بأن وطنه وطن للجميع من عرب ومسلمين ، وخير دليل على هذا الشعور السامي قوله في قصيدته (الكيان الكبير)[1] :

فِي كَيَانٍ مُوَحَّدٍ صَاغَهُ العِمْـ	ـلَاقُ عَبْدُ العَزِيزِ ذُو الإِقْدَامِ
صَاغَـهُ من يَقِينِهِ وبَنَاهُ	عَبْقَرِيًّا لِلْعُرْبِ والإِسْلَامِ
فَهْوَ صَرْحٌ بِهِ الجَزِيرَةُ تَسْمُو	بِبَنِيهَا إلى أَعَزِّ مَقَامِ

والمتأمل في شعر شاعرنا الوطني يجده ذا شقين :

الشق الأول : اهتم فيه بوطنه الذي حوته أرضه ، وأظلته سماؤه ، منذ بداياته إلى أن غادره .حيث تغنى بماضيه المشرق ، وحاضره الزاهي وغده المرتقب ، وافتخر بمواقف أبنائه الجميلة بدءًا بحكامه من آل سعود،وانتهاءًا بافراده . ودافع عن مقدساته الإسلامية ، ووقف في وجه كل من حاول النيل من أراضيه ، أوعمل على الإخلال بالأمن الذي ينعم به أبناؤه . وهام بمدنه ، وبما حباه ا لله من جمال الطبيعة ومظاهرها .

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٥٨٦

وشاعرنا في كثير من قصائده الوطنية يستدعي الماضي البعيد بما فيه من نضارة وإشراق ، رابطاً إياه بالحاضر الزاهي الذي يعيشه وطنه .

فهو دائم التذكر للأمجاد الإسلامية التي شهدت ولادتها أراضي وطنه ولمن أرسوا دعائم تلك الأمجاد . نستمع إلى ذلك في قوله[1]:

جَزِيـــرَتي أَنْتِ مَأْوَى أُمَّةٍ سَمَقَتْ
أَخْلاقُهَا الغُرُّ واسْتَعْلَتْ عن الوَحَلِ[2]
على تُرَابِكِ أَنْفَاسٌ مُعَطَّرَةٌ
من السَّمَاءِ ونُورٌ غَيْرُ مُنْفَصِلِ
إِذْ كَانَ أَوَّلَ بَيْتٍ لِلْهُدَى وُضِعَتْ
أَرْكَانُهُ في ثَرَاكِ الطَّاهِرِ النَّهِلِ

ويواصل استدعاءه لذلك الماضي البعيد ، فيذكر عدداً من الذين أظلتهم سماء وطنه ، واحتوتهم بعض أراضيه، قائلاً[3] :

فَفِي رِمَالِكِ سَمْرَاءِ الجَبِيْنِ مَشَى ... مُحمدٌ مُنْقِذُ الدُّنْيَا من الخَطَلِ[4]
وطَلْحَةٌ وأَبُو بَكْرٍ وَصَاحِبُهُ ... وذُو الضِّيَائَيْنِ عُثْمَانٌ وشَبَّ عَلِي
نُجُومُ هَدْيٍ تَعَالَى اللهُ خَالِقُهُمْ ... أَئِمَّةُ الدِّيْنِ والدُّنْيَا بِلَا جَدَلِ[5]

ويلتفت إلى حاضره فيراه زاهياً مشرقاً بقادته من (آل سعود) الذين نذروا

(١) المصدر السابق ، ص ٦٨١

(٢) سمقت : أي ارتفعت وعلت ، والوحل : الطين الذي ترتطم فيه الدواب .

(٣) الأعمال الكاملة : ص ٦٨٢ .

(٤) الخطل ، المنطق الفاسد .

(٥) جدل : أي شدة الخصومة .

أنفسهم لخدمة الرسالة الإسلامية ، وإحياء معالمها ، ومن ثم نشرها في الآفاق بوسائلهم المختلفة ، حيث يقول عنهم[1]:

أَبْطَالُ مَعْرَكَةِ الإِسْلَامِ فِي زَمَنٍ
مُضَرَّجٍ بِالضَّحَايَا والقَرَابِيْنْ[2]
الخَائِضِيْنَ الوَغَى والكَوْنُ مَعْمَعَةٌ
من الكَوارِثِ يَرْمِي بِالبَرَاكِيْنْ[3]
المُصْلِحِيْنَ المَغَاوِيْرَ الَّذِيْنَ قَضَوْا
عَلَى الأَسَاطِيْرِ من تَارِيخِنَا الدِّيني[4]

إلى أن يقول :

بِعَرْشِهِمْ رَفَعَ الإِسْلَامُ رَايَتَهُ
على الجَزِيْرَةِ خَضْرَاءَ الأَفَانِيْنِ
وأَشْرَقَ الحَقُّ كالصُّبْحِ المُبِيْنِ سَناً
وأَصْبَحَ العَدْلُ مَضْبُوطَ المَوَازِيْنِ[5]

ويواصل شاعرنا في قصيدته (قطوف وأصداء) الإشادة بوطنه ، مبيناً الأسس التي قام عليها ، والسياسة الحكيمة التي يسير على هدى منها في طريقه إلى الرقي والتقدم في كل المجالات ، قائلاً[6]:

---

(١) الأعمال الكاملة : ص ١٦٥ - ١٦٦

(٢) مضرج : أي ملطخ بالدماء .

(٣) معمعة : حكاية صوت لهب النار إذا شبت بالضرام .

(٤) الأساطير : الأباطيل .

(٥) الأعمال الكاملة ، ص ١٦٧ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٤٣ - ٤٤ .

تَلْتقِي حَوْلَهُ البُعُوثُ ويَشْتَدُّ على سُوحِهِ ازْدِحَامُ الوُفُودِ

جَبَلٌ رَاسِخُ القَوَاعِدِ تَنْقَدُّ على صَخْرِهِ غِلَاظُ القُيُودِ[١]

وشِهَابٌ لَهُ على كُلِّ أُفْقٍ قَبَسٌ يَهْتِكُ الظَّلَامَ ويُودِي

في حَيَاةٍ طَلِيقَةِ الخَطْوِ لَكِنْ في حُدُودِ الرَّشَادِ والتَّوْحِيدِ

سَايَرَتْ مَوْكِبَ الحَضَارَةِ واخْتَارَتْ سَبِيلاً من السِّبَاقِ الرَّشِيدِ

وتَسَامَتْ عن الزَّخَارِفِ واسْتَعْلَتْ عن التُّرَّهَاتِ والتَّقْلِيدِ[٢]

تَتَوَخَّى الصَّلَاحَ والخَيْرَ والحَقَّ وتَسْعَى لِكُلِّ أَمْرٍ مُفِيدِ

ضَرَبَتْ في ذُرَى النُّهُوضِ بِسَهْمٍ ومَشَتْ نَحْوَهُ بِخَطْوٍ سَدِيدِ

ويتوجه إلى أبناء وطنه حاثاً إياهم على العمل المثمر ، والسعي الدؤوب في سبيل الارتقاء بوطنهم إلى المكانة المرموقة التي تليق به ، ناهيًا إياهم عن التواكل والاتكال على الماضي وما حفل به من مفاخر دون عمل للحاضر ، مؤكداً لهم أن الحياة لا تعطي الإنسان ما يصبو إليه إلا إذا عمل وأجاد في عمله[٣] :

بَنِي وَطَنِي إِنَّا على فَجْرِ نَهْضَةٍ
تَصُدُّ الدُّجَى أَنَّى تَدَجَّى وتَصْدَعُ

ولِلْفَجْرِ في وَجْهِ الحَيَاةِ أَشِعَّةٌ
تُذِيبُ الكَرَى عن نَاظِرَيْهَا وتَدْفَعُ

وإِنِّي لَأَسْتَنْشِي شَذَاهَا وعِطْرَهَا
وأَشْدُو لَهَا من نَشْوَةٍ وأُوَقِّعُ

---

(١) راسخ : ثابت في موضعه ، وتنقد : تنقطع .

(٢) الترهات : الأباطيل .

(٣) الأعمال الكاملة ، ص ١٢ - ١٣ .

بَكَيْنَا على المَاضِي كَثِيرًا وإنْ يَكُــــنْ
خَطِيرًا فَمَا يُجْـــــدِي البُكَا والتَّفَجُّعُ
مَضَى السَّـــــلَفُ الأَبْرَارُ يَعْبَقُ ذِكْرُهُمْ
فَسِيرُوا كَمَا سَارُوا على الدَّهْرِ واصْنَعُوا
وما الفَخْرُ بِالمَاضِي إِذَا لَمْ يَكُنْ لَــــهُ
مِـــنَ الحَاضِرِ الزَّاهِي بِنَاءٌ مُرَفَّــــعُ
خُـــذُوا بِأَكُفِّ الأُسْدِ من أَسْهُمِ العُلَى
نَصِيـــبَاً فَإِنَّ الحَاضِرَ اليَوْمَ أَوْسَــــعُ
يَدُ الدَّهْـــرِ لاَ تَسْــخُو بِمَجْدٍ لِعَاجِزٍ
ضَعِيْــفٍ ولَا تَـــنْـــدَى ولاَ تَتَبَرَّعُ
لَقَدْ أَفْصَـــحَتْ عن سِرِّهَا لَوْ تَـكَلَّمَتْ
حَيَـــاةٌ بِقَدْرِ السَّــــعْيِ تُعْطِي وتَمْنَعُ
ومَا قِيمَـــةُ الأَوْطَـــانِ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا
رِجَـــــالٌ يَلَـذُّونَ الشَّقَاءَ لِيَنْفَعُـوا[1]

وعندما يتوجه إلى مظاهر الجمال في وطنه ، ومصادر الرزق والعطاء ، يستحضر عظمة الله ـ سبحانه وتعالى ـ ويشرع في التسبيح له ، فهو الذي أنعم على وطنه ، وأمده بخيراته . نسمع ذلك في قصيدته (الجنوب الخصيب) وهو يصف بعض أراضي وطنه بعد نزول الغيث ، وتدفق السيول عليها ، متمنياً من المسئولين إقامة سد يحجز المياه خلفه ؛ للاستفادة منها في شئون الزراعة ، حيث يقول[2]:

إِذَا لَمَــعَ البَرِيقُ على سَمَاهَــا ... جَرَى الوَادِي وسَالَ بِهَا شِعَابَاً

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٣ - ١٤ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٣٩ - ٢٤٠

وإنْ رَعَدَ السَّحَابُ على ذُرَاهَا سَرَى الحَادِي يَهُزُّ بِهِ الرِّكَابَا[١]
حُـقُـولٌ سَمْحَةٌ وثَرًى غَنِيٌّ يَغِـلُّ الفَصْلُ أَرْبَعَةً نِصَابَا[٢]
يَـدٌ لِلهِ خَصَّ بِهَا بِلَادِي فَسُبْحَانَ الَّذِي أَعْطَى وحَابَا

وللبقاع المقدسة - في وطنه - نصيب من شعره ، ففي قصيدته (طيبة) يظهر لنا مدى تعلقه بتلك البقعة التي شهدت انبثاق نور الرسالة الإسلامية بعد أن أشرعت أحضانها للرسول - صلى الله عليه وسلم - ولصحابته من المهاجرين ، ومن على أديمها انطلقت قوافل المجاهدين والدعاة إلى اعتناق الرسالة الإسلامية .

يقول السنوسي محيياً طيبة ، سارداً ذكرياتها الجميلة في حياة الإسلام والمسلمين[٣]:

مَنْزِلُ الوَحْيِ والمَلَائِكِ والأَنْـ ـصَارِ والطَّيِّبِينَ جِيْلاً فَجِيْلا
ومَـلَاذُ المُهَاجِرِيْنَ إِلَى اللَّـ ـهِ شَبَابًا وصِبْيَةً وكُهُولا
هَبَّ مِنْهَا الهُدَاةُ وانْطَلَقَ الإِيْـ ـمَانُ والمُؤْمِنُونَ صَفًّا طَوِيْلا
ومَشَى في ظِلَالِهَا مَوْكِبُ الحَـ ـقِّ إلى العَالَمِيْنَ يَهْدِي السَّبِيْلا
حَيِّهَا حَيِّهَا وحَيِّ رَوَابِيْـ ـهَا وحَيِّ العَقِيْقَ والعَاقُولا[٤]
وتَنَشَّقْ عَبِيْرَ أَرْضٍ ثَرَاهَا يَسْتَحِقُّ العِنَاقَ والتَّقْبِيْلا
إِنَّ في عَرْفِهَا أَرِيْجًا سَمَاوِيًّـ ـا ونُوراً مَلَائِكِيًّا جَلِيْلا[٥]

---

(١) الحادي : الذي يسوق الإبل بالغناء .
(٢) من خصائص منطقة الجنوب الزراعية أن الأرض لديهم تعطي أربعة محاصيل من بذرة واحدة ، ومطرة واحدة ، وتلك نعمة من النعم .
(٣) الأعمال الكاملة ص: ٣١٦ - ٣١٨ .
(٤) العقيق والعاقولا : موضعان بالمدينة المنورة .
(٥) عرفها : العرف : الريح ، طيبة كانت أو خبيثة .

أَنْتَ فِي رَوْضَةٍ من القَبْرِ والمِنْـ ـبَرِ وَضَّــاءَةٍ تُنِيرُ العُقُــولَا

أَشْرَقَتْ بالهُدَى مُنِيرًا وبالخَيْـ ـرِ غَزِيرًا وبالنَّدَى سَلْسَـبِيْلَا

عَبَّ من فَيْضِهَا الوُجُودُ جَمَالاً وَجَلَالاً وحِكْمَةً وأُصُــولَا[1]

كَادَ قَلْبِي فِي جَوِّهَا يَسْتَعِيدُ الـ ـوَحْيَ غَضًّا وَيَسْمَعُ التَّرْتِيْلَا

ويحمل في قصيدته (عصبة السفاح) على الشرذمة الباغية التي انتهكت قدسية الحرم المكي الشريف ، وعملت على ترويع مرتاديه ، وإزهاق أرواحهم البريئة ، مستنكراً ذلك الحدث المشين ، وساخراً من ادعاءاتهم وافتراءاتهم[2] .

يقول السنوسي واصفاً ذلك الحدث الشنيع مؤكداً ضلال فاعليه[3]:

لَعْلَعَتْ فَجْأَةً تَشُقُّ طُمَأْنِيـ ـنَةَ الأَرْوَاحِ أَصْوَاتُ مُجْرِمِيْنَ وِقَاحِ

وأَزِيْزُ الرَّصَاصِ فِي حَرَمِ اللَّـ ـهِ يُدَوِّي على الـــرُّبَى والبِطَاحِ

عُصْبَةٌ ضَلَّتِ الهُدَى وأَضَلَّتْ وَبِهِ تَسْـــــتَبِيْحُ غَيْرَ المُبَاحِ

ويواصل استنكاره عن طريق إطلاق أسئلة تغلفها السخرية ، وتنضح بالألم المر؛ لما أحدثته تلك الشرذمة في حرم الله الآمن ، موضحاً عن طريقها حقيقة الدين الذي تزيوا به وهو منهم براء :

مَنْ أَحَـلَّ الـــدَّمَ الحَرَامَ وَأَفْتَا كُــمْ بِقَتْلِ النُّفُوسِ والأَرْوَاحِ؟

ومَتَى كَـــانَتِ الهِــدَايَةُ إِزْهَا قًا لأَرْوَاحِ مُؤْمِنِيْنَ صِحَـــاحِ؟

---

(١) عبَّ : شرب .

(٢) حدث ذلك بعد صلاة الفجر من يوم الثلاثاء الموافق ١ / ١ / ١٤٠٠ هـ ، حيث قامت جماعة مسلحة باقتحام المسجد الحرام ، وأعلنوا عبر مكبرات الصوت خروج المهدي ، وطالبوا بمبايعته ، ثم أغلقوا الأبواب ، واحتلوا المواقع للمقاومة ، وباشرت الدولة تطهير المسجد الحرام ، وتمكنت من ذلك بعد مضي أكثر من نصف شهر على اقتحامه .

(٣) جريدة الندوة ، العدد (٦٤٠٨) في ١٤ / ١ / ١٤٠٠ هـ .

أَيُّهَا المَارِقُونَ من رِبْقَةِ الدِّيـ ـنِ لَقَدْ جِئْتُمُو بِكُفْرٍ بَوَاحِ[١]

وَيْحَكُمْ ما الَّذِي تُرِيدُونَ مَاذَا قَدْ دَهَاكُمْ يَا عُصْبَةَ السَّفَّاحِ؟

أَكَذَا تَفْهَمُونَ دِينَ السَّلَامِ الـ حَقِّ دِينَ الهُدَى ودِينَ السَّمَاحِ؟

بِئْسَمَا تَفْهَمُونَ يَاطُغْمَةَ الشَّـ ـرِّ وَيَا زُمْرَةَ الضَّلَالِ الصُّرَاحِ[٢]!

وأكثر ما تتجلى النزعة الإسلامية في شعره الوطني ـ الذي خص به وطنه الذي نشأ فيه وترعرع ـ في أناشيده الحماسية ، ومنها (نشيد الحرس الوطني) حيث يقول فيها على لسان أحد جنود الحرس الوطني[٣]:

أَنَـا أَعْتَـزُّ بِقَوْمِي وبِلَادِي

وبِإِيمَانِي بِرَبِّي وجِهَـادِي

في سَبِيْلِ الحَقِّ سَيْفِي وعَتَادِي

أَنَـا جُنْدِيُّ الهُدَى في وَطَنِي

* * *

لِلْعُلَى سَيْرِي ولِلْحَقِّ شُعُورِي

وإِلَى المَجْدِ غُدُوِّي وبُكُـورِي

أَنَا من نَسْـلِ عَلِيٍّ والزُّبَيْرْ

أَنَـا جُنْـدِيُّ الهُدَى في وَطَنِي

* * *

(١) ربقة الدين : الربقة في الأصل : عروة في حبل تجعل في عنق البهيمة أو يدها تمسكها ، فاستعارها للدين ، يعني ما يشد المسلم به نفسه من عرى الإسلام أي حدوده وأحكامه وأوامره ونواهيه . وبواح : ظاهر .

(٢) طغمة : الطغمة : أوغاد الناس وأرذالهم ، والصراح : المحض الخالص من كل شيء .

(٣) الأعمال الكاملة ، ص ٦٦٠ ، ٦٦١

مِن سَـنَـا بَدْرٍ وأَضْوَاءِ حُنَيْنِ
لَمْ يَزَلْ مِـنْها شُعَاعٌ في جَبِيْنِي
مِلْءُ قَلْبِي مِلْءُ رُوحِي ويَقِيْنِي
أَنَا جُنْـدِيُّ الهُدَى في وَطَنِي

أما الشق الثاني من شعره الوطني : فقد اهتم فيه السنوسي بقضايا وطنه العربي والإسلامي ، بعد أن تكالبت على كثير من أقطاره قوى الاستعمار الشرسة ، فعاثت فيها تخريباً ، وقتلاً ، وتشريداً .

تدفعه إلى ذلك الاهتمام « روح وطنية لحمتها العروبة والإسلام »[١] .

وتأتي قضية فلسطين في مقدمة تلك القضايا التي شغلت حيزاً كبيراً من شعره الوطني ، ولعل ذلك راجع لأهمية ذلك القطر في حياة الإسلام والمسلمين ، فعلى ثراه القدس ، والمسجد الأقصى ، أضف إلى ذلك أن أبناءه مسلمون عرب .

والناظر في شعر السنوسي المتعلق بهذه القضية يقف على إحاطته بكل التطورات التي شهدتها ، فقد تحدث عن احتلال القدس ، وحريق المسجد الأقصى ، ورفض مبدأ التقسيم الذي نادت به هيئة الأمم المتحدة ، وسخر من دعوات السلام المزيفة ، واستبعد الصلح مع الاسرائيليين ، وصور حال اللاجئين المشردين ، وأشاد بالحركات الفدائية ، ورثى شهداءها .

يقول السنوسي على لسان أحد اللاجئين الفلسطينين معرفاً بالقدس ، وباعثاً ذكرياتها المزدانة بأنبياء الله ورسله ، وبعض قادة المسلمين[٢]:

أَيَّامَ أَسْـتَقْبِلُ الأَعْيَادَ في بَلَدِي
أَرْضِ النَّبِيِّنَ من قَـوْمِي وأَجْدَادِي

---

(١) شعراء من أرض عبقر ، محمد العبد الخطراوي ، ج(٢) ، دار الأصفهاني للطباعة ، جدة ، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي ص ١٦٠ .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٤٧٨ - ٤٧٩

فِي (القُدْسِ) والقُدْسُ مَهْوَى كُلِّ جَانِحَةٍ
مِنِّي وَمَجْلَى أَحَاسِيْسِي وأَمْجَادِي

مِيْلَادُ (عِيسى) ومَسْرَى (أَحْمَدٍ) وهُدَى
(مُوسَى) ومَجْمَعُ خَطَّابِي[1] ومِقْدَادِي[2]
تَرَى تَوَدُّ الدَّرَارِي أَنَّهَا قِمَمٌ
فِيْهِ وتَرْجُو الثُّرَيَّا أَنَّهَا وَادِي

وسرعان ما يتلاشى أثر تلك الذكريات الجميلة من نفس ذلك اللاجئ ، ويخيم الحزن عليه وهو يعانق حاضر ذلك المكان المعفر بأريج الأنبياء والرسل[3]:

أَضْحَى لِنَسْلِ (الأَفَاعِي) مَحْجَراً وغَدَا
مَبَاءَةً لِصَهَايِيْنٍ وأَوْغَادِ[4]

وحينما سعت هيئة الأمم المتحدة إلى إقرار وتنفيذ مبدأ التقسيم ، الذي يقضي بأن تكون فلسطين العربية المسلمة وطناً لليهود ولأبنائها على السواء ، جوبه ذلك المبدأ بالرفض من قبل السنوسي ، وسخر من الداعين إليه[5]:

مَاذَا هُوَ التَّقْسِيْمُ تِلْكَ حُبَالَةٌ ... حِيكَتْ لِتَجْرِبَةِ المَصَائِبِ فِيْنَا[6]
قَلَبَتْ لَنَا ظَهْرَ المِجَنِّ سِيَاسَةٌ ... نُصِبَتْ لِكَي تَكُ لِلضَّعِيفِ مُعِيْنَا[7]

---

(١) خطابي : نسبه إلى : عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – .
(٢) مقدادي : نسبة إلى : المقداد بن الأسود – رضي الله عنه – .
(٣) الأعمال الكاملة ، ص ٤٧٩ .
(٤) محجراً : أي حديقة ، ومباءة : منزلاً .
(٥) شعراء الجنوب ، ص ١٠٤
(٦) حباله : المصيدة مما كانت .
(٧) المجن : الترس .

فَتَكَشَّفَ الزَّمَنُ الجَرِيءُ وَقَدْ بَدَتْ جَمْعِيَّةُ الأُمَمِ الـغَـدَاةَ كَمِيْنَا

ثم يأخذ في حث إخوانه في فلسطين على التضحية والفداء ، وامتطاء صهوة الجهاد ، ويشعل فتيل الثورة في حنايا أبناء أمته العربية والإسلامية القاعدين عن خوض غمار الحرب إلى جانب إخوانهم في فلسطين ؛ عن طريق تذكيرهم بتاريخ اليهود ، وعرض بعض المشاهد والصور الدامية التي اقترفوها في حاضرهم في موطن القداسات ، حيث يقول[1]:

كَيْفَ يُرْجَى رُجُوعُ صَهْيونَ لِلْحَـ ـقِّ وتَارِيخُهُمْ يَفِيْضُ فَسَادَا
قَـتَلُوا الأَنْبياءَ من قَبْلُ والأَحْـ ـبَارَ والصَّالِحِيْنَ والزُّهَّادَا
وتَمَادَوا فَأَحْرَقُوا المَسْجِدَ الأَقْصَـ ـى عُتُوّاً والرُّكَّع السُّجَّادَا[2]
وأَبَادُوا الشَّبَابَ والشِّيْبَ عُدْوا نَاً وبَغْياً وشَرَّدُوا الأَوْلاَدَا

وعندما تتساقط أرواح أولئك الأبطال في ميدان المعارك الدائرة رحاها بين أبناء فلسطين وأعدائهم في سبيل استعادة حريتهم ، وحرية وطنهم الغالي ؛ يتوجه إليهم الشاعر بالتحية ، مهنئاً إياهم بالشهادة التي نالوها ، ومفتخراً ببطولاتهم وتضحياتهم قائلاً[3] :

أَفْدِي الأُلى بَذَلُوا الأَرْوَاحَ خَالِصَةً
لِلهِ لِلْوَطَنِ المَنْكُوبِ لِلشَّرَفِ
دَارَتْ كُؤُوسُ المَنَايَا الزُّرْقُ فَائِضَةً
فَعَبَّ كُلُّ كَرِيْمٍ مَاجِدٍ أَنِفِ
وما بَنَى المَجْدَ إِلاَّ كُلُّ مُقْتَحِمٍ
بِنَفْسِهِ غَمَرَاتِ البَأْسِ والتَّلَفِ

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٤٨٨ - ٤٨٩
(٢) عتواً : العتو : التجبر والتكبر .
(٣) شعراء الجنوب ص: ٧٨ .

إلى أن يقول[1]:

سَمَتْ بِكُمْ هَـامَةُ التَّـأْرِيْخِ أَفْئِـدَةٌ
هَبَّتْ تُنَاهِضُ بَغْيَ الغَاصِبِ السَّـرِفِ
نَبَّاضَةٌ بِـدَمِ الإِيْمَـــانِ أَزْعَجَهَا
صَوْتُ الضَّعِيْفِ بِكَفِّ الخَانِقِ العَنِفِ[2]

ويقف السنوسي إلى جانب إخوانه في الجزائر في معركتهم الضروس ضد المستعمرين الفرنسيين الذين سعوا إلى سلخ قيمهم ومثلهم ، وامتهان كرامتهم ، وامتصاص خيراتهم ، وتنصيرهم ، « وفرنستهم » لغة وعادة ... داعياً إخوانه ــ في العروبة والإسلام ــ إلى الوقوف إلى جانب الجزائريين ومد يد العون لهم حتى يواصلوا صمودهم ، مذكراً إياهم بالعقيدة التي يعتنقها أبناء الجزائر[3] :

أَخِـي إِنَّهَا أَرْضِي وأَرْضُكَ أَشْرَقَتْ ... بِـآبَــائِنَا طُوبَى لَهُمْ ومَآبُ
فَكُلُّ (رِيَالٍ) مِـن يَدَيْكَ رَصَاصَةٌ ... لِكُلِّ (فَرَنْسِيٍّ) طَغَى وعَذَابُ
أَتُسْلَخُ من جِسْمِي وجِسْمِكَ عَنْوَةً ... (بِلَادٌ) عَلَيْهَا لِلدِّمَاءِ خِضَابُ

ويواصل حثه لأبناء أمته ، مشعلاً في حناياهم فتيل الثورة ، وساخراً من ادعاءات الفرنسيين الجوفاء :

مَتَى كَانَتِ (الأُورَاسُ) للسِّــيْنِ مَنْبَعاً
وأَنَّى الْتَـقَـى لِلـضِّـفَّـتَـيْنِ حَبَـابُ؟[4]

---

(١) شعراء الجنوب ، ص: ٧٩ .

(٢) الخانق : الخناق : الحبل الذي يختنق به ، والخانق : نعت لمن يكون ذلك شأنه وفعله بالناس ، والعنف : العنف : الخرق بالأمر وقلة الرفق به .

(٣) الأعمال الكاملة : ص ١٩٦ .

(٤) حباب: حباب الماء: موجه الذي يتبع بعضه بعضاً .

وَهَلْ كَانَ (جي مُولِيه)[1] من نَسْلِ طَارِقٍ
أَوْ ابْنِ (نُصَيْرٍ) يَا لَـذَاكَ عُجَابُ؟!
أَجَلْ إِنَّهَا أَرْضِي وأَرْضُـكَ يَا أَخِي
فَكَيْفَ يَطِيبُ النَّوْمُ وهْيَ خَـرَابُ؟!
أَنَـتْرُكُـهَـا نَـهْـبَـاً ولِلضَّادِ ذِمَّـةٌ
ولِلدِّينِ حَقٌّ (والجِهَادُ) نِـصَـابُ[2]؟

وعندما هب أبناؤها في وجه عدوهم يذيقونه ويلات الذل والانكسار ، كاتبين حريتها بدمائهم الزكية ، شاركهم الشاعر فرحتهم ، وأعلن سعادته بعودة أراضيهم، وببقائها عربية إسلامية قائلاً[3]:

غَـضِـبُـوا غَضْبَةَ الرِّجَالِ وقَادُوا
(ثَـوْرَةً) في نِضَالِهَا عَبْقَرِيَّـةْ
كُـلَّ شِبْرٍ من أَرْضِـهِمْ كُلَّ فِتْرٍ
مـن ذُرَاهـمْ مُعَسْكَرٌ أَوْ خَلِيَّةْ[4]
في رُؤُوسِ الجِبَالِ تَحْتَ رُبَى الأَشْـ
ـجَارِ فَوْقَ الذُّرَى خِلَالَ الثَّـنِـيَّةْ
كَـالأَعَاصِيرِ كَالسُّيولِ انْدِفَاعَاً
في سَـبِيلِ المَطَالِبِ الوَطَنِـيَّـةْ

---

(١) رئيس وزراء فرنسا ، راجع ذلك في كتاب ثورة الجزائر ، تأليف : جوان جليبي ، ترجمة عبدالرحمن صدقي أبو طالب ، مراجعة : د. راشد البراوي ، ص ١٧١ .
(٢) الأعمال الكاملة ، ص ١٩٧ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٣١ - ٣٣٢ .
(٤) فتر : الفتر : ما بين طرف الإبهام والسَّبابة إذا افتحتها .

أَلْهَبُوهَــا على المُغِيْرِيْنَ نَـــارًا

تَـــتَلَظَّى وأَشْـــعَلُوهَا حَمِيَّةْ

ويلتفت إلى ماضي أمتنا المشرق وما كان فيه من أمجاد ، رابطاً إياه بما تحقق في حاضرها على أيدي الجزائريين[1]:

يَا لَهَـــا أُمَّـــةٌ أَعَادَتْ إِلَيْنَا

ذِكْـــرَيَاتِ اليَرْمُوكِ والقَادِسِيَّةْ

فَرَضَتْ نَفْسَهَا على الظُّلْمِ فَرْضَاً

وأَطَـــاحَتْ بِكُلِّ دَعْوَى دَعِيَّةْ

أَخَذَتْ حَقَّهَا السَّـــلِيْبَ غِلَابَاً

واغْـتِصَـاباً ولَمْ تَنَلْهُ عَـطِيَّـــةْ

ويشارك إخوانه في مصر فرحتهم بتأميم قناة السويس وطرد البريطانيين منها،ويحتفل بعروبة تلك القناة قائلاً[2]:

وعَلَتْ (رَايَةُ العُرُوبَةِ) شَمَّا ... ءَ يَزِيْنُ السَّمَاءَ مِنْهَا وِشَـــاحُ

عَالَجَتْ جُرْحَهَا أُسَـــاةُ بَنِيْهَا ... وانْتَهَى من عِلَاجِهِ الجَـــرَّاحُ

وسَقَاهَا دَم الحَيَاةِ شَـــبَابٌ ... دَمُهُ في تُـرَابِهَـــا نَضَّـــاحُ

وَدِمَاءُ الشَّبَابِ نُـورٌ ونَـــارٌ ... ومُنَاهَا تَوَثُّبٌ وجِمَـــــاحُ

عَبَّرُوا عن مُرَادِهِمْ في (جَلَاءٍ) ... يَدْعَمُ الحَقَّ في سَنَاهُ الكِـفَاحُ

طَلَبُوا المَوْتَ في ثَرَاهَا فَفَازُوا ... بِحَيَـــاةٍ كَـرِيمَةٍ لا تُتَاحُ

ونختم وقفتنا مع شعر السنوسي الوطني بمشاركته لإخوانه في اليمن فرحتهم بانطفاء نيران الحروب الداخلية بينهم ، حيث يقول مصوراً فرحته بروح الأخوة

---

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٣٣٣ - ٣٣٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٨ - ٢٩ .

الصادقة التي سادت بين اليمنيين بعد انشقاق مرير[١]:

قــرَّتْ قلوبُ الأمْنياتِ ... وزهَتْ أسَــارِيرُ الحَيَاةِ
وتَنَاثـرَتْ فوْقَ الجبَـا ... لِ الشُّمِّ أنْـغـامُ الحُدَاةِ
وتَجَاوَبَــتْ بِالْبُشْــرَيا ... تِ الغُرِّ ألْسِــنَةُ الرُّعَاةِ
ومَضَتْ تُقَبِّلُ (إبْنَهَا) ... فرَحاً وتَهْـتِـفُ لِلْبَنَاتِ
(أمٌّ) وقلْبُ الأمِّ أعْــ ... ـرَفُ بالحَيَـاةِ وبالمَمَاتِ
يا لِلسَّــلَامِ يَهُزُّ بالـــ ... أَلْحَانِ أعْطَافَ المَوَاتِ

ويشير إلى المكان الذي احتضن تلك الخطوة الجميلة[٢]:

وعلى رِحَابِ النُّورِ من ... أرْضِ الهُدَى والمَكْرُمَاتِ
نَحَرُوا خِــلَافَاتِ الهوَى ... وسَمَوْا إلى أسْمَى الصِّفَاتِ

(١) المصدر السابق ، ص ٥٠٣ - ٥٠٤ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٠٥ .

الفصل الثاني

موضوعات الشعر الإسلامي

١ - الشعر المتصل بالعقيدة الإسلامية

العقيدة الإسلامية تتمثل في سلامة أقوال الإنسان وأفعاله ، وخلوص تلك الأقوال والأفعال من شوائب الشرك والإلحاد ، والزيغ والضلال ، وصدور الإنسان في كل ما يأتي ويذر عن عقيدة خالصة بالتوحيد لله ، والإيمان المطلق بقضائه وقدره...[١] وهي بهذا المفهوم تتسم بالوضوح الشديد ، إذ لا تعقيد فيها ولا غموض يجعل من محاولة فهمها ، والتعمق فيها أمراً صعباً أو مستحيلاً ؛ بل هي في متناول الإنسان - أياً كان - متى ما أشرع لها قلبه وعقله ، وهي مع سهولتها هذه تعد أضخم الحقائق في حياة الإنسان لأنها « تصل بين الإنسان وبين الحقيقة الكبرى - حقيقة الألوهية - بشتى المشاعر ، من الحب والرهبة والخوف والطمع والأمل والرجاء . وتصل بين الإنسان والكون والحياة بصلات من التعاطف والمودة والقربى، وتصل بينه وبين أخيه الإنسان برباط من الحب المتدفق الفياض، وتربط كيان النفس.... ، وتوحد بين الدنيا والآخرة ، والعمل والعبادة ، والأرض والسماء»[٢] ومنها « تتكون نظرة المؤمن لكل ما يجري حوله. تتكون نظرته للزهرة وقطرة المطر ، وللجبل والسحاب ، للنجوم والكواكب ، لكل ما يقع عليه بصره أو حسه أو إدراكه في السموات والأرض »[٣] .

ولو عدنا إلى شعر شاعرنا لوجدنا فيه عدداً من القصائد التي تخص هذا

---

(١) الاتجاه الإسلامي في الشعر السعودي الحديث « قيمة الفنية في موازين النقد » ، محمد عبده شبيلي الرياض ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م - ص ٥٩ « بتصرف » .

(٢) منهج الفن الإسلامي ، محمد قطب ، ط(٨) ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ، ص ١١٦ .

(٣) الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته ، د. عدنان علي رضا النحوي ، د(١) ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ص ٨١ .

الجانب المهم في حياة كل مؤمن ومؤمنة ، في كل زمان ومكان ؛ إذ تفصح عن عقيدة صافية ، وإحساس عميق بفضلها ، واقتناع تام بها وبتعاليمها .

نلمس في شعره ـ الذي دار حول هذا الجانب ـ إيمانه العميق با لله ، وتوحيده له ، وتسليمه بقضائه وقدره في الرزق والإحياء والإماتة ، وإيمانه باليوم الآخر وما يتعلق به من بعث ونشور ، ومحاسبة على الأعمال .

والسنوسي ـ كما هو ملاحظ ـ في شعره الذي يعنى بهذا الجانب المهم في حياتنا يسعى إلى شيئين مهمين :

أولهما : تذكير المسلمين في كل مكان بأصول عقيدتهم ، عن طريق إحياء معالمها التي درست في نفوسهم من جراء تلك الغفوة التي لازمتهم منذ عصور التخلف والجمود ، إلى قبيل ظهور الحركات الإصلاحية في كافة الأقطار الإسلامية.

وثانيهما : محاولة الدفاع عن العقيدة أمام سيل التهم التي طعنت فيها ، وشككت في صحتها ، بالأدلة التي ساقها ، والتي اتكأ فيها على تأملاته العميقة في الكون ، والحياة ، والأحياء من حوله ، بالإضافة إلى ما توصل إليه العلم في العصر الحديث من مخترعات تحمل أدلة ضمنية على وجود ا لله ـ سبحانه وتعالى ـ .

ولنبدأ وقفتنا عند أبيات للشاعر يتضح لنا فيها عمق إيمانه با لله وحده ؛ إذ يصف فيها السفن وهي تجري في عرض البحر بعد أن سخر ا لله لها الرياح لتدفعها إلى مستقرها ، ويصف الأرض الميتة وقد استحالت إلى روضة غناء ؛ بفعل الغيث الذي أنزله ا لله من السماء ، ليؤكد بعد ذلك أن تلك المشاهد تدل دلالة قطعية على وحدانية ا لله ؛ لأنها ـ جميعاً ـ تنطق وتشهد بذلك .

نلمس ذلك في قوله[1]:

جَلَّ مَنْ سَخَّرَ الرِّيَاحَ فَسَارَتْ تَتَهَادَى رَخِيَّةً بالسَّفَائِنْ
وأَفَاضَ الحَيَا فَأَحْيَا مَوَاتاً وأَهَالَ الرُّبَى فَسَالَتْ مَعَادِنْ
كُلَّمَا في السَّمَاءِ والأَرْضِ مَبْسُو طٌ لِمَنْ يَتَّقِي ويَخْشَى المَلاَعِنْ

ويجد في مصارعة البحارة لأمواج البحر المتلاطمة ؛ سعياً لكسب رزقهم ، معتمدين ومتوكلين على ا لله ـ سبحانه وتعالى ـ دليلاً على وجود ا لله وتوحيده فهو خالق كل شيء[2]:

يَسْتَقْبِلُونَ المَوْجَ صَخَّابَ الرَّدَى والنَّوْءَ في إِعْصَارِهِ العِرْبِيدِ
ويُصَارِعُونَ المَوْتَ في أَعْمَاقِهِ بِسَوَاعِدٍ صَمَّاءَ كالجَلْمُودِ
وثَبَاتِ إِيمَانٍ وصُلْبِ عَقَائِدٍ مَوْصُولَةٍ بِالخَالِقِ المَعْبُودِ
رَبِّ الوُجُودِ بِمَائِهِ وسَمَائِهِ والعَالَمِ المَحْجُوبِ والمَشْهُودِ

وينظر إلى الأرض وقد زينتها الزهور والأشجار في فصل الربيع ، وتضوعت من جنباتها الروائح ، باعثة في النفس النشوة ، مزيلة عنها الكآبة ؛ فيجد في تلك المشاهد دليلاً على وجود ا لله وعلى حسن صنعه[3]:

في كُلِّ رَابِيَةٍ شَذىً من زَهْرَةٍ رَفَّ النَّسِيمُ بِهَا ونَمَّ ونَمْنَمَا[4]
وبِكُلِّ مُنْحَدَرٍ حَياً مُتَرَقْرِقٌ ورُؤًى مُخَضَّبَةُ الأَنَامِلِ واللَّمَى
والأَرْضُ في حُلَلِ الرَّبِيعِ ورَوْضَةٌ تَلْقَاكَ شَاعِرَةً تَهُزُّ الأَبْكَمَا
فَتَّانَةُ القَسَمَاتِ تَحْسَبُ أَنَّهَا نُقِلَتْ من الفِرْدَوسِ رَسْماً مُحْكَمَا
تَلْقَاكَ في نَفَحَاتِها ونَبَاتِهَا فَنّاً إِلَهِيَّ الخُطُوطِ مُنَظَّمَا

---

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٥٤٨ – ٥٤٩ .
(٢) المصدر السابق ، ٧٧٧ .
(٣) الأعمال ص: ٦٠٦ ـ ٦٠٧ .
(٤) نم : أي سطعت رائحته .

تُغْرِي مَفَاتِنهَا القُلُوبَ فَتَنْتَحِي كَالطَّيْرِ أَسْرَاباً تُرَفْرِفُ حُوَّمَا[١]
تَجْلُو بِرُؤْيَتِها النُّفُوسُ هُمُومَها عَنْها وَتَمْتَصُّ الكَآبَةَ والعَمَى

ويظهر توحيده في تضمينه لما ذكره الله ـ سبحانه وتعالى ـ عن كيفية خلق السموات والأرض . نلمس ذلك في قوله[٢]:

ذَاكَ شَيءٌ عَلِمْتُهُ مُذْ وَعَى قَلْبِيَ الفِكَرْ
كَانَتِ الأَرْضُ والسَّمَا ءُ أَمَا تَقْرَأُ السُّوَرْ
فَتَقَ اللهُ رَتْقَهَا فَانْدَحَى الكَوْنُ وانْتَشَرْ[٣]

وييمم وجهه شطر الاختراعات الحديثة التي وصل إليها الإنسان، فيجد فيها دليلاً على وجود الله وعظمته ، فهو الذي أمد العقل الإنساني بالعلم فوصل إلى ما وصل إليه بفضله .

تلمس ذلك في وصفه للطائرة التي أقلته ومجموعة من الأدباء السعوديين إلى بغداد، يقول من قصيدته (على ضفاف دجلة)[٤] :

إِلَيْكِ بَغْدَادُ طَارَتْ بِي مُجَنَّحَةٌ
أَعَرْتُها حَرَّ أَشْوَاقِي وأَكْبَادِي
فَحَمْحَمَتْ ثُمَّ رفتْ ثُمَّتَ انْطَلَقَتْ
كَنَيْزَكٍ فِي سَمَاءِ الأُفْقِ وَقَّادِ[٥]

---

(١) تنتحي : تميل، وحوما : الحومان : دومان الطائر يدوم ويحوم حول الماء .
(٢) الأعمال الكاملة : ص ٤٥٧ .
(٣) رتقها : الرتق : إلحام الفتق وإصلاحه ، وقيل الرتق : الظلمة .
(٤) الأعمال الكاملة ، ص ٧٧١ - ٧٧٢ .
(٥) حمحمت : الحمحمة صوت الفرس إذا طلب العلف ، أو رأى صاحبه الذي كان إلفه فاستأنس إليه ، والمراد بالحمحمة هنا : صوت الطائرة عندما تهم بالتحليق ، والنيزك : الرمح الصغير .

تَهَابُهَا الرِّيحُ أَنْ تَجْـتَـــازَهَا فَرَقاً
وَيَسْـــتَحِي كُلُّ بَـرَّاقٍ وَرَعَّـــادِ

وَنَحْنُ كالـزُّغْبِ في أَحْشَـائِهَا زُمَراً
جَنْبًا لِجَنْبٍ وأَعْـضَـاداً لِأَعْضَـادِ[1]

نَقْضِي السُّوَيْعَاتِ في أَعْمَاقِهَا طَرَباً
قَصْفـاً وَرَشْـفاً إِلَى مَاءٍ إِلَى زَادِ[2]

من عَلَّمَ العَقْلَ هَذَا العِلْمَ فَانْطَلَقَتْ
أَجْسَـــامُنَا عَبْرَ آفَـاقٍ وأَطْـوَادِ

ا للهُ جَـــلَّ جَـلَالُ ا للهِ خَالِقِنا
سُـــبْحَانَهُ رَغْمَ تَجْدِيْفٍ وإِلْحَادِ[3]

وإلى جانب إيمانه بوجود ا لله ووحدانيته ، آمن الشاعر بقضاء ا لله وقدره ، حيث وجد فيه راحة لنفسه من تيهات التخبط والضياع في مهامه الحياة .

وقد كان إيمانه بقضاء ا لله وقدره عميق الأثر في نفسه ، ودليلنا على ذلك دعوته إليه في كثير من المواقف التي تحفل بها الحياة .

و لم يكن ذلك الإيمان المطلق من قبل السنوسي بقضاء ا لله وقدره عن طريق المصادفة ، بل كان نتيجة لإيمانه العميق با لله ، ولتجاربه في الحياة التي رسخت في روحه تلك العقيدة الإيمانية التي يعجز الكثير في إدراكها وتذوقها ؛ لأنها نعمة من ا لله يسبغها على من يشاء من عباده المخلصين .

ولنا أن نلمس أثر ذلك الإيمان في قصيدة له نفذ من خلالها إلى الحياة الدنيا في وقفات تأملية قادته إلى اكتشاف الأدواء المتناثرة على بساط الحياة ، وهدته بصيرته

---

(١) الزغب : الزغب : الشعيرات الصغيرة على ريش الفرخ ، والمراد بها هنا . الفراخ الصغيرة .

(٢) قصفاً: القصوف: الإقامة في الأكل والشرب .

(٣) تجديف: التجديف: هو الكفر بالنعم .

وإيمانه إلى إيجاد الدواء المناسب لها ، حيث رأيناه يدعو إلى العمل الجاد ، وينهى عن التواكل لأنه من الأمور التي تفسد الإيمان في قلب صاحبه ، ويتنافى مع مبدأ التسليم لله والذي يسمى توكلاً لا تواكلاً ، وشتان بين الإثنين .

يقول السنوسي في ذلك[1]:

أَمَامَكَ دُنْيَا تُرْهِقُ القَلْبَ والعَقْلَا فَيَاخَاطِرِي رِفْقًا ويا نَاظِرِي مَهْلاً

تَحَيَّرَ فِيهَا المُصْلِحُونَ وأَعْجَزَتْ نُهَى الفَيْلَسُوفِ الفَذِّ والشَّاعِرَ الفَحْلا

طَلَاسِمُ تُعْي الفِكْرَ فَهْماً فَيَنْحَنِي خُضُوعاً لَهَا مَهْمَا تَكَبَّرَ واسْتَعْلَى

يَعِيشُ بِهَا الإنْسَانُ طِفْلاً وإِنْ بَدَا لِعَيْنَيْهِ كَهْلاً ثُمَّ يَتْرُكُهَا طِفْلا

تَصُدُّ بِلَا ذَنْبٍ وتَدْنُو بِلَا هَوَى فَلا صَدُّهَا صَدّاً ولا وَصْلُهَا وَصْلَا

فهو ــ في هذه الأبيات ــ يقدم لنا صورة للحياة في أحوالها المختلفة ، ووقوف الإنسان عاجزاً في محاولاته المتكررة لفهمها وسبر أغوارها ، فهي سريعة الانفلات من حالة إلى أخرى ، مرتدية لكل حالة لبوسها الملائم ، وهذا يعني تجددها المستمر ، وهذا التجدد يجعل من محاولات الإنسان الدؤوبة لتفسيرها أمراً مستحيلاً، وهذا من شأنه أن يحدث اضطراباً في الرؤية، قد يؤدي بصاحبه إلى مهاوي الضلال. لكن شاعرنا يركن إلى

---

(١) الأعمال الكاملة ص: ٥٥٦ - ٥٥٧ .

الهدوء والطمأنينة ، مسلماً بقضاء الله وقدره ، وداعياً إليه بقوله[1]:

فَـدَعْ عَنْكَ أَوْهَامَ الحَيَاةِ فَإِنَّهَا
تَضِنُّ وتُعْطِي لا سَخَاءً ولا بُخْلا

تَعَوَّدْتُ مِنْها حَرْبَهَا وسَلَامَهَا
ومَارَسْتُ من أَخْلَاقِهَا الجِدَّ والهَزْلا

فَلَمْ يُطْغِنِي نُجْحٌ ولا هَدَّنِي أَسَى
وما نَكَثَتْ كَفِّي نَسِيْجاً ولا غَزْلا[2]

ولخبرة السنوسي بالحياة بعد تجاربه المريرة فيها نجده حريصاً على إفادة أخيه المسلم بحصيلة تجربته ، حتى لا يكون فريسة سهلة لتقلبات الحياة . ولذلك فهو يوجه إليه النصيحة ، حاثاً إياه فيها على العمل الجاد ، وعدم الاستسلام للصعوبات التي قد تواجهه فيها مهما كانت . يقول السنوسي في ذلك[3]:

حَيَاتُكَ أَنْ تَلْقَى الحَيَاةَ بِهِمَّةٍ
تَخُوضُ الخِضَمَّ العَدَّ والثَّمَدَ الضَّحْلا[4]

وتَبَسُّمُ في وجْهِ الزَّمَانِ إِذَا قَسَا
وتَمْشِي ولو كَانَ الثَّرَى زَلَقاً وَحْلا

وإِنْ كَانَ شَوْكٌ في الطَّرِيقِ إلى العُلَا
وحَاوَلْتَ أَنْ تَجْتَازَهُ فَالْبِسِ النَّعْلا

---

(١) المصدر السابق ، ص ٥٥٧ .

(٢) نجح : النجاح ، ونكثت : نقضت .

(٣) الأعمال الكاملة ، ص ٥٥٩ .

(٤) العد : الماء الثابت ، الثمد : الماء القليل .

فَـأَنْكَـــدُ ما يَلْقَاهُ فِكْرٌ مُهَذَّبٌ
غَبَاءٌ قَوِيٌّ يَحْقِرُ العَقْلَ والفَضْـــلاَ
وأَسْـــعَدُ ما تَلْقَاهُ نَفْسٌ من المُنَى
رِضىً بَاسِمٌ يَسْتَعْذِبُ الشَّمْسَ والظِّلاَّ

ويختم السنوسي نصه هذا بالدعوة الجادة إلى الإيمان بقضاء الله وقدره والقناعة بالرزق ، والتمسك بالدين لماله من أثر فعال في تجميل الحياة في عيوننا :

فَـــدَعْ لِيدِ الأَيَّامِ غَرْبَلَةَ القَذَى
فَإِنَّ لَهَا كَفّاً تُـغَــرْبِلُها نَخْـــلاَ[1]
ولُذْ بِحِمَى الإِيْمَانِ وارْضَ بِمَا قَضَى
بِهِ اللهُ واعْلَمْ أَنَّ حِكْـمَتَـهُ أَعْلَى
فَلِلدِّينِ فَضْـــلٌ في الحَيَاةِ لِأَنَّهَا
بِغَيْرِ الهُدَى تَغْدُو جَحِيْمَاً بِهِ نُصْلَى
وثِقْ أَنَّ مَنْ أَعْطَـى الحَيَاةَ جَمَالَهَا
وأَقْواتَها لَمْ يُهْمِلِ الدُّودَ والنَّمْلاَ[2]

وفي نص آخر يعمق الشاعر إيمانه بقضاء الله وقدره ، محاولاً فلسفة قضيتي الفقر والغنى ، ومعرضاً ببعض المذاهب الغربية التي ترى أنها قد حققت المساواة بين الناس في كل الأمور لا سيما الرزق الذي يعتبر الدعامة الأساسية التي قامت عليها تلك المذاهب ، وذلك لارتباطه بقضيتي الفقر

(١) غربلة القذى : أي نخلة ، والقذى ما يقع في العين وما ترمي به .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٥٦٠ .

والغنى بين الناس.

والحقيقة التي لا يأباها العقل المستنير « أن محاولة التسوية بين الناس في كل الأمور من ضروب المستحيل لأن الفوارق بين الناس في نعم الدنيا أمر حتمي وسنة من سنن الوجود ، وطبيعة الخلقة والتكوين ، وأي محاولة تبذل لإيجاد تلك التسوية بأي وسيلة وعن طريق أي مذهب من المذاهب البشرية سيكون مصيرها الفشل الذريع لمعارضتها للسنن الكونية وللنظام الذي اختطه خالق الكون له »[1] .

يقول السنوسي مخاطباً همومه ، ومعرضاً ببعض المذاهب الغربية[2]:

يـا هُـمُومَ الحَيَـاةِ إِنَّ فُؤَادِي ... لا يُبَالِـيْـكِ فَاقْصُرِي أَوْ تَمَادي

إِنَّنِي فِي سَكِيْنَةٍ مِن هُدَى الدِّيْـ ... ـنِ ونُـورُ اليَقِيْنِ ذُخْرِي وزَادِي

كَتَبَ اللهُ لِي حَيَاتِي ورِزْقِي ... فَتَنَحَّي يـا فَلْسَـفَاتِ العِبَادِ

من شُيوعِيَّةٍ يَصِيْرُ بِـهَا الإِنْـ ... ـسَانُ تُرْساً فِي آلَةِ الحَـدَّادِ

رَأْسْمَالِيَّةٍ يَزِيْدُ بِـهَا الإِنْـ ... ـسَانُ بُؤْساً فِي سَعْيِهِ لازْدِيَادِ[3]

ويفصح عن إيمانه با لله ، ويعرض لقضيتي الفقر والغنى ، ليصل في نهاية المطاف إلى حقيقتهما ، فهما امتحان من ا لله لعباده :

أَنَـا آمَنْتُ بِالَّذِي خَلَقَ الكَوْ ... نَ ومَا فِيهِ من هُدًى أَوْ فَسَـادِ

خَالِقُ اللَّيْلِ والنَّهَارِ ومُنْشِي ... نَاضِرَ الزَّهْرِ فِي الصُّخُورِ الصِّلادِ

---

(١) الإسلام في شعر حمام ، د. طاهر عبد اللطيف عوض، ط(١) ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ص ١١٥.

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٧٥٥ - ٧٥٦ .

(٣) جاء هذا البيت في ديوان الشاعر على النحو التالي:

ورأسمالية يزيد بها الإنســ ... ـــان بؤساً في سعيه لازدياد

وبقاء الواو في بداية الشطرالأول يجعل البيت مكسوراً .

ما الَّذي يأْكُلُ الغنيُّ إذَا جا ... عَ سِوَى الخُبْزِ وهْوَ في كُلِّ وَادِ
والغِنَى في يَدِ الغَنِيِّ امْتِحَانٌ ... هو من هَوْ لِهِ على مِيْعَادِ
وكَذَا الفَقْرُ لِلْفقِيْرِ ابْتِلاَءٌ ... سَوْفَ يَجْزِي بِهِ كَرِيمُ الأَيَادِي
فَلِمَاذا هَذَا التَّهَالُكُ والدُّنْـ ... يَا خَيَالٌ أَوْ رُؤْيَةٌ في رُقَادِ[1]

ويتجلى إيمان السنوسي بقضاء الله في تسليمه بحتمية الموت دونما تبرم أو سخط؛ وذلك لعلمه بأن الحياة الدنيا مسافة سيجتازها الإنسان في رحلته فيها، طالت به تلك الرحلة أو قصرت، وأن الموت هو النهاية الحتمية لكل حي في هذا الكون عدا الله ـ سبحانه وتعالى ـ نلمس ذلك في قوله[2]:

كُلُّنَا رَائِحٌ على المَوْتِ غَادِي ... وعُيونُ القَضَاءِ بِالْمِرْصَادِ
ومَجَازٌ هِيَ الحَيَاةُ فَسِيَّا ... نَ مُجِبٌّ أَوْ سَائِرٌ في اتِّئَادِ
سَائِقُ الرَّكْبِ غَيْرُ نَاءٍ عن الرَّكْـ ... ـبِ ولا حَائِدٌ عن الرَّكْبِ حَادِ
نَحْـنُ والدَّهْرُ والمَقَادِيْرُ والأَيَّـ ... ـامُ أَنْضَاءُ حَلْبَةٍ وطِرَادِ
سُنَّةٌ لَمْ تَدَعْ لِقَلْبِ مَرِيْضٍ ... شُبَهاً في حَقِيْقَةِ المِيْعَادِ

ويؤكد إيمانه ذاك بقوله[3]:

فَلَمَّا تَبَيَّنْتُ الحَقِيْقَةَ لَمْ أَجِدْ
مَلاَذاً سِوَى ما سَنَّهُ اللهُ والشَّرْعُ
إلى اللهِ إنَّا رَاجِعُونَ وكُلُّنَا
سَيَذْهَبُ لا فَرْدٌ سَيَبْقَى ولا جَمْعُ
أَبَا حَسَنٍ ماالعُمْرُ إلاَّ مَسَافَةٌ
من المَهْدِ حَتَّى اللَّحْدِ غَايَتُهَا القَطْعُ

---

(١) المصدر السابق، ص ٧٥٦ - ٧٥٧ .
(٢) شعراء الجنوب، ص ٩٦ .
(٣) الأعمال الكاملة، ص ٦٠٠ - ٦٠١ .

فالسنوسي في هذه الأبيات وفي سابقتها يطلعنا على النهاية التي تنتظرنا، فكل حي ـ عدا الله ـ له مدة مقدرة لا يموت حتى يستكملها، وهذه الحقيقة من شأنها أن تعطي « النفس المؤمنة الرضى والطمأنينة ، وتنزع منها روح القلق المزعج والرعب المدمر ، طالما أن الموت أمر قدره الله على الجميع ، لا يستثني من ذلك أحد مهما كان ، وهذا يجعل الإنسان المسلم متصالحاً مع نفسه ومع الحياة ، بل ومع الموت نفسه مادام أنه قانون إلهي أراده الله وقدره »[1].

ومما يتعلق بالعقيدة الإسلامية وأسسها في شعر السنوسي إيمانه باليوم الآخر؛ حيث البعث والنشور والمحاسبة على الأعمال . نلمس ذلك الإيمان في دعوته الموجهة إلى أخيه المسلم، حاثاً إياه على الإكثار من الأعمال الصالحة ، فبها وحدها يتفاضل الناس في ذلك اليوم[2]:

أَخِي إِنَّمَا الإِسْلَامُ بِرٌّ وَرَحْمَةٌ ... وَعَطْفٌ لَهُ فِي رَاحَتَيْكَ عَبِيرُ
وَدُنْيَاكَ جِسْرٌ فِي الطَّرِيقِ إِلَى الهُدَى ... فَفَكِّرْ إِلَى مَاذَا غَداً سَتَصِيرُ
فَقَدِّمْ إِلَى أُخْرَاكَ ما شِئْتَ إِنَّهُ ... لَظًى جَاحِمٌ أَوْ نُضْرَةٌ وسُرُورُ[3]
تُعلِّمُنَا الدُّنيَا فَنَنْسَى دُروسَهَا ... وَنَلْهُو وعِنْدَ الإِمْتِحَانِ نَثُورُ
حَمَاقَةُ طَبْعٍ آدَمِيٍّ وَغَفْلَةٌ ... تَعَاقَبَ أَجْيَالٌ بِهَا وعُصُورُ
مَضَتْ مُنْذُ قَارونٍ بِنَا وحَيَاتُنَا ... تَدُورُ على أَهْوائِهَا وتَسِيرُ
وأَنْتَ مُلَاقٍ كُلَّ شَيءٍ عَمِلْتَهُ ... جَزَاءً وِفَاقاً والحِسَابُ عَسِيرُ
كَأَنَّا نَسِينَا المَوْتَ وهْوَ حَقِيقَةٌ ... لَهَا غَدَوَاتٌ بَيْنَنَا وبُكُورُ

---

(١) الحياة والموت في الشعر الأموي، د.محمد بن حسن الزير،ط(١)١٤١٠هـ – ١٩٨٩م –ص١٠.
(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٥٤١ – ٥٤٢
(٣) حاجم : الشديد الحر .

ونختم وقفتنا مع شعر السنوسي المتعلق بالعقيدة الإسلامية، بإيراد أبيات متفرقة، تفصح عن عمق إيمان السنوسي با لله ، وصلته الوثيقة به عند كل أمر يحزُبه، نلمس ذلك في توجهه إليه دون غيره بالدعاء عندما أسلم للطبيب عينه لمرض أصابها :

يا إلهي أَسْلَمْتُ لِلطِّبِّ عَيْنَـيَّ وأَنْتَ الطَّبِيْبُ فَالْطُفْ بِعَيْنِي[1]

وتوجه إليه بالدعوة ، طالباً منه المغفرة ، وإمداد الحياة بالنور والطهر[2]:

رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَغُفْرَا	نَـكَ رَبِّي إِنِّي مُـقِـرٌّ وذَاعِنْ
رَبِّ إِنَّ الحَيَاةَ زَاغَ بِهَا السَّيْـ	ـرُ وحَادَتْ فَاشْدُدْ عُرَاهَا وطَامِنْ[3]
وأَنِـرْ بالضِّيَاءِ والطُّهْرِ مَسْرَا	هَا وزَحْزِحْ عن سَيْرِها كُلَّ مَائِنْ[4]
فَـلأَنْتَ العَظِيْمُ حَقّاً وصِدْقاً	عَـالِمٌ بِالَّـذِي يَكُونُ وكَائِنْ

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٧٢١ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٤٨ .
(٣) حادت: عدلت، وطامن: سكّن .
(٤) مائن : كاذب .

٢ ـ الشعر المتصل بالإسلام ورسالته:

الدين هو الدينونة والخضوع لذات غيبيـة علويـة مقدسـة ، وشأن المتدين أنه يطلب وراء كل حس معنى يخشع لمعبوده ويسجد لعظمته بحركة نفسية تحمل التقديس والإجابة[١] .

« والإسلام هو الصورة الكاملة للإعتقاد الديني ، فهو إسلام الوجه والضمير لله وحده تعبداً وتلقياً ، وهو منهج حياة كاملة ، شاملة ، نزل به الوحي على قلب النبي محمد ـ صلى ا لله عليه وسلم ـ آيات بينـات أخرجت الجزيرة العربية بعد أن كونت مجتمعها الإسلامي الأول ، من عزلتها وفرقتها ، فحملت رسالة الإسلام إلى العالم فحررت أقطاره من العبودية لغير ا لله وأسقطت عروش الظلم والطغيان ، وركزت قواعد نهضة ربانية ما لبثت أن نشرت ألوية الحضارة والثقافة في أرجاء العالم ، فضمت إلى رسالة الهداية الإلهية رسالة التبشير الحضاري في زمن كان العالم الأوروبي يرزح في ظلام الجهل فاستنار بضياء حضارتنا وتحركت فيه بواعث النهضة بوفود تلامذته على دول الأندلس وبلاد الشرق ، ومن ثم عن طريق الحروب الصليبية والبعثات المختلفة »[٢].

ودار الزمان دورته ، واستنام الشرق وشعوبه الإسلامية إلى ضربات التاريخ العنيفة وتقلبه ، وحكمه ملوك وسلاطين كانوا يمثلون روح التأخر والرجعية والجمود ، فنسي المسلمون مبادئ دينهم الصحيح ، وغشيتهم نعاسة الجهل

---

(١) الدين ، محمد عبدا لله دراز ، القاهرة ، ١٣٧١ هـ ـ ١٩٥٢م ، ص ٣٦ - ٣٧ « بتصرف » .

(٢) أثر الإسلام في الشعر الحديث في سورية ، محمد عادل الهاشمي ، ط(١) ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، ص ١٤٠ .

والجاهلية ، واستباحوا لأنفسهم ألواناً وضروباً من حياة هي أقرب إلى غرائز السائمات وسكونية الجماد ... إلى أن تفتحت العيون ذات صبيحة على شعاع فجر أليم تحت ضربات جيوش الاستعمار وغزواته الحديثة التي أفاق على أثرها وجدان الشعب الإسلامي، وأخذ يتلفت يمنة ويسرة، لكي يرى استباحة الأرض، وإراقة الدماء، واستعباد النفوس[1].

ولم يكتف المستعمرون بذلك ؛ لأن تلك الأمور التي سبق ذكرها لا تعدو أن تكون وسائل لتحقيق هدف أسمى لم يأل الغربيون جهداً في سبيل تحقيقه ، وهو محاولة استئصال العقيدة الإسلامية من جذورها ، وإحلال مذاهبهم وفلسفاتهم الهدامة محلها كبديل صالح للحياة المعاصرة ، وقد وجدت تلك المذاهب والفلسفات الغربية من يروج لها بين ظهرانينا بدعوى أن « الدين يحارب التقدم ويدعو إلى الجمود »[2] متكئين على مقولة ماركس: « الدين أفيون الشعوب»[3] ومقولة لينين : « إن الدين مخدر للشعوب مؤخر لها عن النهوض والكمال »[4].

وهذه المقولة إن صدقت على بعض الديانات التي شهدها العالم فإنها لا تصدق على الإسلام ، ولكنها وجدت المناخ الملائم ، والأرضية الهشة التي ساعدت على احتوائها ، وحتى تعود الأمة الإسلامية إلى رشدها « كان لا بد من حركة إحياء

---

(١) الإسلام في مواجهة تيارات الفكر الغربي المعاصر ، د. محمد علي أبو ريان ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٥م ص ٣ « بتصرف » .

(٢) رسالة الشعر في خدمة الدعوة وحركات الإصلاح ، د. عبد الرحيم محمود زلط ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٣ ص ٢٢٠ .

(٣) الإسلام ومبادىء نظام الحكم في الماركسية والديمقراطية الغربية ، د. عبدالحميد متولي ، الاسكندرية ، منشأة المعارف ، ١٩٧٦م ، ص: ٣٢٢ .

(٤) هذا هو الإسلام ، محمد عبدالقادر العماوي ، القاهرة ، دار الفكر الحديث ، ١٩٧٣م ط(٣) ص ١٣ - ١٤ .

وتوعية لفهم آفاق الدين الإسلامي ورسالته باعتباره المكون لشخصية الأمة والشائد لبنيانها الأصيل »[١] فانطلقت الحركات الإصلاحية لتشمل أقطار العالم الإسلامي ، وواكب الشعر تلك الحركات ، ولم ينقطع مده حتى بعد اختفاء تلك الحركات وانتهائها ، حيث ظل الشعراء الملتزمون يؤدون واجبهم على أكمل وجه ، وسيظلون كذلك ما دامت الخصومة بين الكفر والإيمان قائمة .

ولشاعرنا قصائد عدة في هذا المجال ، تدور أغلبها حول الإشادة بالرسالة الإسلامية ، والدفاع عنها ، والدعوة الجادة إلى اعتناقها، واهتم في بعضها باستطلاع آفاقها العبادية ، ممثلة في بعض الشعائر الإسلامية : كالصلاة، والصوم والحج .

(أ) الرسالة الإسلامية :

أفاض شاعرنا في الإشادة بالرسالة الإسلامية ونورها الذي انبثق عنها ؛ ليهتك أسمال الجاهلية البالية في صورها المتعددة ، معلناً العدالة والرحمة والمساواة ، ودافع عنها أمام كل من حاول النيل منها ، ودعا إليها ؛ لأنها الرسالة الوحيدة التي تسعى لخير الإنسانية جمعاء ، في كل زمان ومكان ، دون التفات إلى لون ، أو جنس ، أو لغة ، أو نسب .

وقد اهتم السنوسي في إشادته بالرسالة الإسلامية ببيان الأثر الذي أحدثه نورها المنبعث من الجزيرة العربية في الحياة بأسرها ، حيث يقول[٢]:

لَمَعَتْ عَلَى الوَادِي المُقَدَّسِ شُعْلَةٌ ... تَرَكَتْ دُجَى الدُّنْيَا نَهَاراً مُسْفِرَا

مَسَّتْ شَرَارَتُهَا الحَيَاةَ فَأَشْعَلَتْ ... مُثُلاً أَشَفَّ سَنَاً وأَكْرَمَ جَوْهَرَا

هَزَمَتْ أَشِعَّتُهَا الظَّلَامَ وَزَلْزَلَتْ ... (كِسْرَى) ورَاءَ الخَافِقَيْنِ و (قَيْصَرَا)

---

(١) أثر الإسلام في الشعر الحديث في سورية ، ص ١٤١ .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ١٦ - ١٧ .

طَلَعَتْ على التَّأْرِيْخِ وهْوَ سَخَافَةٌ كُبْرى تَخُطُّ بِهِ الخُرَافَةُ أَسْطُرَا
العُنْصُرِيَّةُ تَسْتَبِيْحُ كَيَانَهُ وشَوَائِبُ التَّمْيِيزِ تَخْزِمُهُ بُرَى(١)
وشَرِيْعَةُ الغَابَاتِ تَنْتَظِمُ الدُّنَا والحَقُّ مَطْلُولُ الدِّمَاءِ مُهَدَّرَا(٢)

ويواصل الشاعر إشادته بالرسالة الإسلامية وبالدور الذي نهض به مبلغها عن ربه ، حين شرع ـ منذ البدايات ـ يدك صروح الظلم والطغيان بواسطة ذلك النور الذي حمله ودعا إليه ، لتنقشع بفضله الغياهب ، ويهتدي به الضالون في مهامه الحياة ودروبها المظلمة ، محققاً المساواة بين العباد ، فلا رئيس ولا مرؤوس ، ولا سادة ولا عبيد ، ولا غني ولا فقير . فالكل تحت ظلها سواء ، تتم المفاضلة بينهم عن طريق التقوى والأعمال الصالحة ولا شيء سواها .

يقول السنوسي في ذلك(٣):

فَإِذَا ابْنُ عَبْدِ اللهِ يَرْفَعُ صَوْتَهُ
ويَدُكُّ ما شَادَ الضَّلَالُ وسَوَّرَا
في دَعْوَةٍ كالشَّمْسِ سَاطِعَةِ السَّنَا
تَهْدِي الضَّلِيلَ وتُرْشِدُ المُتَحَيِّرَا
الفَضْلُ لِلأَعْمَالِ في دُسْتُورِها
لا لِلْمَنَاصِبِ والمَنَاسِبِ والثَّرَا
وإِذَا البَرِيَّةُ تَحْتَ ظِلِّ لِوَائِهَا
إِسْلَامُهَا القُرْبَى وتَقْوَاهَا العُرَى(٤)
أُمَمٌ تُؤَلِّفُهَا العَقِيدَةُ نِسْبَةً
ومن العَقِيدَةِ ما يَفُوقُ العُنْصُرَا

(١) تخزمه برى : أي تشكه ، والخزامة : بره ، حلقة تجعل في أحد جانبي منخري البعير .
(٢) مطلول : الطل : هدرالدم ؛ وقيل هو : أن لايثأر به أوتقبل ديته .
(٣) الأعمال الكاملة ص : ١٧ - ١٨
(٤) العرى: الواحدة: عروة، وهي ما يوثق به .

ويمضي في حديثه عن الرسالة الإسلامية ، يجلي قيمها ومبادئها التي عملت على إرساء دعائمها وترسيخها ، وهو في ذلك يتجاوز مجرد الإشادة بها ليدفع عنها سيل التهم الموجهة إليها، عن طريق طعنه في المذاهب الغربية الوافدة، التي خططت لهدم العقيدة ومحوها من الوجود .

يقول السنوسي مؤكداً أن الإسلام هو دين العدل والمساواة ، وأنه النظام الأصلح للحياة والأحياء في كل زمان ومكان[1]:

وَالعَدْلُ في نُظُمِ الإِسْلَامِ قَاعِدَةٌ
قَوِيَّةٌ تَتَحَدَّى كُلَّ تَيَّارِ

إِنَّ المَبَادِىءَ والأَهْدَافَ واضِحَةٌ
لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَلَيْسَتْ هَذْرَ مِهْذَارِ

واللهِ لَوْ عَرَفَ الإِسْلَامَ مَعْرِفَةً
نَقِيَّةً من أَضَالِيْلٍ وأَوْضَارِ[2]

لَمَا ارْتَضَى غَيْرَهُ حُكْماً لِدَوْلَتِهِ
مَنْ بَاتَ يَخْبِطُ في ظَلْمَاءِ مِعْصَارِ

وتتضح تلك المبادىء والقيم التي أرسى دعائمها الإسلام أكثر ما تتضح في عالميته التي تجاوزت حدود المكان والزمان ، لتشمل عالمي الجن والإنس ، محققة مبدأ المساواة بينهم . تلمس ذلك في قوله[3]:

رِسَالَةٌ لَمْ تَكُنْ لِلعُرْبِ بَلْ نَزَلَتْ ... لِلْعَالَمِيْنَ بِلَا حَصْرٍ ولا عَدَدِ
فَكُلُّ مَنْ أَعْلَنَ التَّوْحِيْدَ مُعْتَرِفاً ... بِاللهِ رَبَّاً بِلا نِدٍّ ولا وَلَدِ

---

(١) الأعمال الكاملة ص : ٣١٣ .

(٢) أوضار : أوساخ .

(٣) الأعمال الكاملة ص: ٥١٨ .

فَإِنَّمَا هُوَ مِنَّا لا يُفَرِّقُهُ عَنَّا لِسَانٌ ولا لَوْنٌ على جَسَدِ

ويواصل السنوسي دفاعه عن الإسلام ورسالته ، مبيناً حاجة الإنسانية له ؛لأنه بالنسبة لها كالزمام للدابة، حيث يعمل على توجيهها وهديها في دروبها المتشعبة . تجد ذلك في قوله[1]:

هو الزِّمَامُ وما الإِنْسَانُ لَيْسَ لَهُ
دِيْنٌ سِوَى حَيَوانٍ سَائِبٍ سَرِبِ[2]
وَسَوْفَ يَبْقَى هُدَى الإِسْلَامِ مُنْتَصِراً
على الطَّواغِيتِ والإِلْحَادِ والرِّيَبِ
وكُلُّ إِفْكٍ وبُهْتَانٍ يُرَادُ بِهِ
مَحْوَ الحَقِيْقَةِ لا يَنْجُو من العَطَبِ[3]

ويؤكد أن الدين ظل الله في ملكوته ، وأنه من تمام نعم الله على عباده ، وصورة من صور رحمته بهم ، فهو الطريق الموصل لرضائه عنهم ، معرضاً بالماركسيين ومن لف لفهم وسار على دروبهم في افتراءاتهم واتهاماتهم للدين بأنه أفيون الشعوب .

يقول السنوسي في ذلك[4]:

فَالدِّينُ ظِلُّ اللهِ في مَلَكُوتِهِ واللهُ بِالإِنْسَانِ جِدُّ رَؤُوفِ
مَنْ قَالَ إِنَّ الدِّيْنَ أَفْيُونُ الوَرَى فَهْوَ الشَّقِيُّ بِعَقْلِهِ المَخْطُوفِ

---

(١) المصدر السابق ، ص ٥٣١ .

(٢) الزمام : المقود ، وسائب : سيب الشيء : أي تركه يسيب حيث يشاء ، وكل دابة تركتها وسومها ، فهي سائبة . وسرب : السرب : الذاهب الماضي .

(٣) إفك : كذب ، والعطب : الهلاك .

(٤) الأعمال الكاملة ص ٧٠٦ .

ويعرض بهم في نص آخر ، مؤكداً تمسكه بإيمانه بـا لله ، وبدينـه الإسـلامي ، تاركاً لهم تمسكهم بمذهبهم الذي سيؤدي بهم إلى الهلاك .

يقول السنوسي معتزاً بدينه[1]:

فَمَـاذَا يَنْقِمُ الأَعْدَاءُ مِنَّا ومَـاذَا يَدَّعُونَ ويَفْـتَرُونا

سِـوَى إِيْمَانِنا بِا للهِ رَبّاً وبِالإِسْـلَامِ تَشْـرِيْعاً مَتِيْنَا

أَبِالإِسْـلَامِ يَنْبُذُنَا الأَعَادِي كَفَى شَـرَفاً بِذَلِكَ لَوْ يَعُونَـا

لَنَا إِسْـلَامُنَا ولَهُمْ هَوَاهُمْ سَوَاءٌ كَانَ (مَرْكِسَ)[2]أَوْ(لِينِينَا)[3]

ثم يلتفت إلى الدعوة الجادة لاعتناق الدين الإسلامي ، ويحث على العمل بتعاليمه قولاً وفعلاً ، واتخاذه منهاجاً في الحياة ، نقتفي آثاره ، ونهتدي بأنواره .

يقول السنوسي موجهاً دعوته إلى أخيه الإنسان في كل مكان :

يـا خَلِيْـلِي الدِّيْنُ نُورُ القُلُوبِ وَطِيبُ الحَيَـاةِ أَيُّ طَيِـيْـبِ

لاتَـدَعْ لِلأَسَى إِلَى قَلْبِكَ الشَّـفَّـافِ دَرْباً ولاتَـلِنْ لِلْخُطُوبِ

كَـمْ رَأَيْنَا وكَمْ سَمِعْنَا فَدَعْ قَلْـبَكَ يَرْتَـاحُ من عَنَـاءٍ عَجِيْبِ

ودَعِ الفَلْسَفَاتِ واسْتَلْهِمِ الإِيْـمَانَ وانْضَحْ بِهِ جَفَافَ النُّضُوبِ[4]

---

(١) المصدر السابق ، ص ٥٥٤ .

(٢) هو مؤسس « الاشتراكية العلمية » ولد في مدينة ترير سنة ١٨١٨م بألمانيا ، وفي السابعة عشر من عمره دخل جامعة بون الكريسمان وانتقل بعد ذلك إلى جامعة برلين ، ثم حصل على دكتوراة في الفلسفة من جامعة فينا . انظر: الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول ا لله ﷺ أنيس منصور ط (٧) ١٩٨٦م، الزهراء للإعلام العربي من ص ٤٩ ـ ٥١ .

(٣) اسمه فلاد يمير الليتش أوليا نوف ، وأصبحت شهرته لينين . ولد في مدينة سمريسك والتي تسمى الآن أوليا نومسك تيمناً به سنة ١٨٧٠ . بعد المسئول الأول عن قيام الشيوعية في روسيا ، وهوتلميذ كارل ماركس ، يعد من أخطر الرجال أثراً في التاريخ .
انظر ذلك في « الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول ا لله ﷺ من ص ٦٥ ـ ٦٦ .

(٤) الأعمال الكاملة ، ص ٥٥٠ – ٥٥١ .

ويعمق أثر الدين في حياة الإنسان ، مستعيناً في ذلك بمشاهد من الحياة، يحسها الإنسان المدعو ويعيها. نقف على ذلك في قوله[١]:

أَرَأَيْتَ الزُّهُورَ مِنْ غَيْرِ مَاءٍ ... كَيْفَ تَذْوِي وَتَنْتَهِي لِلْفَنَاءِ
أَرَأَيْتَ الحَيَاةَ مِنْ غَيْرِ نُورٍ ... كَيْفَ تَغْدُو فِي ظُلْمَةٍ عَمْيَاءِ
هَكَذَا الدِّينُ إِنَّهُ شُعْلَةُ القَلْـ ... ـبِ وَنَبْعُ الظَّمَاءِ فِي الصَّحْرَاءِ
فَاتَّخِذْهُ رَكِيزَةً وعِمَاداً ... وضِمَاداً لِكُلِّ جُرْحٍ ودَاءِ

(ب) الآفاق العبادية :

لشاعرنا قصائد عدة عبر فيها عن مدى تعلقه بالشعائر الإسلامية، جلى فيها خصائص تلك الشعائر وآفاقها ، ولم يتوقف عند ذلك الحد ؛ بل نراه في كثير منها يتخذها ميداناً لإراقة آلامه ، وبث آماله التي تنآى عن الذاتية وتتوجه إلى الجماعة ، وأعني بالجماعة أمتنا الإسلامية وقد تغشاها السبات العميق ؛ فتأخرت عن الركب ، ومناخاً ملائماً لمعالجة أدواء تفشت في مجتمعنا الإسلامي . وأول ما يصادفنا من تلك القصائد التي تدور حول هذا الجانب قصيدته (أذان الفجر) و « أذان الفجر بعد هدأة الليل يشعل في النفس جذوة الإيمان ويشيع فيهاالاطمئنان ويدفع بالفكر في مسارب الطبيعة لتتأمل صنع الله الذي أتقن كل شيء »[٢].

وهكذا كان السنوسي في وصفه لصوت الأذان، وقد تعالى في هدأة الأسحار، يشق ذلك السكون المطبق علىالكون ، مرددة أصداءه العذبة البطاح والأجواء، زارعاً الطمأنينة في النفوس ، ماسحاً عن القلوب الكئيبة

(١) المصدر السابق ، ص ٥٥٢ .

(٢) النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر ، ص ١١٤ .

عناءها ، ساكبًا الرضا فيها، مشرعاً آفاق الكون لكل ذي لب وبصيرة وإحساس بالجمال ؛ ليتأمل كيف أتقن الله صنعه .

يقول السنوسي واصفاً تلك الدعوة ، وآثارها في أحاسيسه ومشاعره[1]:

ارْتِفَاعُ الأَذَانِ فَوْقَ المآذِنْ   في انْبِلاَجِ الصَّبَاحِ واللَّيلُ سَاكِنْ
دَعْوَةٌ تَحْمِلُ الحيَاةَ إِلَى الكَوْ   نِ وسُكَّانِهِ قُرىً ومَدَائِنْ
ونِدَاءٌ من السَّمَاءِ إلى الأَرْ   ضِ إلى ظَاهِرٍ عَلَيْهَا وبَاطِنْ
ولِقَاءٌ بَيْنَ المَلاَئِكِ والإِيْـ   ـمَانِ والمؤْمِنِيْنَ من غَيْرِ آذِنْ
وانْطِلاَقٌ إلى الفَلاَحِ إلى الخيْـ   ـرِ إلى الحَقِّ والهُدَى والمحَاسِنْ

ويواصل الشاعر رحلته مع ذلك الصوت ، واصفاً آثاره في الطبيعة والنفوس ، متجاوزاً ذلك إلى أثره في الحياة بأسرها[2]:

كُلَّمَا رَدَّدَ المُؤَذِّنُ لَفْظاً   شَعْشَعَ النُّورُ وانْجَلَى كُلُّ غَايِنْ[3]
نَغَمَاتٌ كَأَنَّهَا نَسَمَاتٌ   رَقْرَقَتْهَا خَمَائِلٌ وجَنَائِنْ
تَتَغَذَّى بِهَا النُّفُوسُ وتَرْتَا   حُ ارْتِيَاحَ الرُّبَى بِقَطْرِ الهوَاتِنْ
تَمْسَحُ الأَرْضَ من غُبَارِ الملاَهِي   ودُخَانِ الهَوَى ولَهْوِ المفَاتِنْ
كُلُّ حَرْفٍ من لَفْظِهِ كُلُّ مَعْنَى   من مَعَانِيْهِ يَسْتَثِيْرُ الكَوَامِنْ
رَدَّدَتْهُ مَنَابِرٌ وقِبَابٌ   تَتَعَالَى ورَجَّعَتْهَا مَلاَسِنْ

ويتجاوز أثر تلك الدعوة في الحياة إلى اللحظات التي تعقب صلاة الفجر فيجد فيها مجالاً للتأمل في بديع صنع الله ، وفسحة للاستمتاع بجمال الطبيعة البكر وهي

---

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٥٤٥ .
(٢) المصدر نفسه، ص ٥٤٦ .
(٣) غاين : لغة في الغيم ، وهوالسحاب ، والمراد به هنا الظلام .

تستقبل يوماً جديداً . يقول السنوسي في ذلك[1]:

أَذَّنَ الفَجْرُ يا فُؤَادِي ولاَ حَتْ ... قَسَمَاتُ الضِّيَاءِ فَاسْمَعْ وعَايِنْ
وتَأَمَّلْ رُؤًى تَشِفُّ ودُنْيَا ... تَتَجَلَّى سَرَائِرٌ وعَلاَيِنْ
أَشْرَقَتْ فَامَّحَى الظَّلاَمُ وزَالَتْ ... كِسَفٌ من سَحَائِبٍ ودَجَائِنْ

وكما عاش السنوسي بأحاسيسه ومشاعره وبألفاظ تهمي عذوبة مع أذان الفجر ـ تلك الدعوة الإلهية الموجهة لعباده كي يؤدوا واجباً عليهم ـ عاش في تجربة حية موحية مع شعيرة أخرى ، ينتظرها المسلمون في كل زمان ومكان ، يحدوهم الأمل في أدائها على أكمل وجه ؛حتى ينالوا رضا الله وغفرانه ، وتلك الشعيرة هي صيام شهر رمضان . ولرمضان مكانته في نفوس المسلمين حيث فضله الله عل سائر الشهور ، وشرفه بأن نزل كتابه العزيز فيه ، وفيه ارتفعت راية الإسلام خفاقة يوم بدر الكبرى .

وشاعرنا في رحلته الوجدانية مع هذه الشعيرة يتجاوز ـ كعادته ـ وصف أثرها في النفوس ، إلى معالجة بعض الأدواء المتناثرة في مجتمعه الإسلامي الواسع .

يقول شاعرنا مخاطباً شهر رمضان خطاب المؤمن الراغب والمؤمل في نشر العدل والسلام والأمن والإيمان في هذا العالم المترامي الأطراف[2]:

مَلِكُ الشُّهُورِ وسَيِّدُ الأَيَّامِ ... رَمَضَانُ يا إِشْرَاقَةَ الإِسْلاَمِ
يا نَفْحَ أَرْوَاحٍ زَكَتْ ومَشَاعِرٍ ... رَقَّتْ ونَبْعَ تَسَامُحٍ وتَسَامِ
رَفْرِفْ على الدُّنْيَا بِأَجْنِحَةِ الهُدَى ... وامْنَحْ عَوَالِمَهَا نَدِيَّ سَلاَمِ

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٥٤٧ .

(٢) مجلة المسلمون ، العدد (٣٨) في ٢٥ / ٩ / ١٤٠٢هـ .

وانْضَحْ على أكْبَادِهَا وقُلُوبِهَا رُوحَ الصَّفَاءِ وَرِقَّةَ الأَنْسَامِ
وأَنِرْ بِنُورِكَ وهْوَ نُورُ قَدَاسَةٍ وضِيَاءُ مَرْحَمَةٍ كَثِيفَ قَتَامِ[1]

ويصف فرحة المؤمنين بحلول هذا الشهر الكريم، وتغير أحوالهم فيه، بقوله[2]:

تَتَهَلَّلُ الدُّنْيَا بِوَجْهِكَ طَلْعَةً وَتَفِيضُ بِالإِحْسَانِ والإِنْعَامِ
وتَشِفُّ فِيكَ الكَائِنَاتُ نَقَاوَةً فَكَأَنَّهَا رُوحٌ بِلَا أَجْسَامِ
وتَجُوعُ فِيكَ مِنَ الخَطَايَا أَنْفُسٌ تَخِمَتْ بِشَهْوَتِهَا مَدَى الأَيَّامِ
وتَمُوتُ من أَخْلَاقِهَا وطِبَاعِهَا رُوحُ التَّكَالُبِ والسُّعَارِ الطَّامِ[3]

ويناشد هذا الشهر أن يساهم بروحانيته في طمس بعض الأدواء الاجتماعية، وتطهير أرواح الناس من الشوائب العالقة بها قائلاً[4]:

رَمَضَانُ إِنَّكَ لِلْقُلُوبِ حَبِيبُهَا وطَبِيبُهَا في حِكْمَةٍ ونِظَامِ
دَعْنَا نَجُوعُ من الوَضَاعَةِ والخَنَى والزُّورِ لَا من شَرْبَةٍ وطَعَامِ[5]
واغْسِلْ (بِفَرْشَاةِ) الطَّهَارَةِ أَلْسُناً سُوداً من الأَدْرَانِ والأَوْهَامِ

وكما استوقفه أذان الفجر بألفاظه العذاب، شاقاً أسمال الليل، ورمضان بروحانيته، استوقفه الحج ومنظر الحجاج وقد أقبلوا من كل فج مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿ وأَذِّنْ في النَّاسِ بِالحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ

---

(١) القتام والقتم: الغبار .

(٢) مجلة المسلمون، العدد (٣٨) في ١٤٠٢/٩/٢٥هـ .

(٣) السعار: شدة الجوع .

(٤) مجلة المسلمون، العدد (٣٨) في ١٤٠٢/٩/٢٥هـ .

(٥) الوضاعة: الذل والهوان والدناءة، الخنى: الفحش في الكلام .

يـأتين مـن كـل فـج عميـق ﴾[١] مهللين مكبرين، طـامعين في مغفـرة المـولى عـز وجـل، وملبـين نـداء سـيدنا إبراهيـم عليـه السـلام: ﴿ رَبَّنَـا إِنِّـي أَسْـكَنْتُ مِـنْ ذُرِّيَّتِي بِـوَادٍ غَـيْرِ ذي زَرْعٍ عِنْـدَ بَيْتِـكَ المُحَرَّمِ رَبَّنَـا لِيُقِيمُـوا الصَّـلَاةَ فَـاجْعَلْ أَفْئِـدَةً مِنَ النَّـاسِ تَهْـوِي إِلَيْهِـمْ وارْزُقْهُـمْ مِـنَ الثَّمَـرَاتِ لَعَلَّهُـمْ يَشْكُرُونَ ﴾[٢] .

و« للحـج مـيزة فـذة بمـا يحملـه مـن دلالات ومعـان جـادة؛ لأنـه رحلـة وجدانيـة يتخلـى فيهـا المسـتجيب للنـداء الأزلي عـن الأهـل والمـال والوطـن، ينحـدر في الوهـاد، ويعلـو النجـاد... متطلعـاً بشـوق إلى تلـك البقـاع الطـاهرة، والفجـاج الزاهـرة »[٣] .

والسنوسـي شـاعر رقيـق الشـعور، رهيـف الحـس، سـريع الاسـتجابة لدواعـي الشـعر، فقـد أيقظـت مشـاعره، واسـتدرت عواطفـه تلـك الوفـود الـتي سـارعت بتلبيـة النـداء، وتلـك الوحـدة المنسـجمة بـين المسـلمين في الغايـة والهـدف، فـانطلق خيالـه سـابحاً في آفـاق مفعمـة بالإيمـان والحـب، معـبراً عـن ذلك الموقـف الخـالد، وتلـك المشـاهد الحيـة[٤]:

فِي مِثْلِ هَذَا اليَوْمِ من كُلِّ عَامْ

يَزْدَهِرُ الحِجْرُ ويَزْهُـو المَقَامْ

مَقَامُ إِبْرَاهِيْمَ سَـامِي الخُطَا

وحِجْرُ إِسْمَاعِيْلَ نِـعْمَ الغُلَامْ

ويسترسل في وصف تلك المشـاهد المليئـة بالحيـاة والحركـة، مشـيراً إلى عظمـة

---

(١) سورة الحج: الآية: ٢٧ .

(٢) سورة إبراهيم: الآية: ٣٧ .

(٣) النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر، ص: ١٣٠ .

(٤) الأعمال الكاملة، ص: ٤٤٨ .

الإسلام الذي ألف بين تلك القلوب، ووحَّد غايتها وهدفها في هذه الحياة [(١)]:

أَخْلَصَتِ التَوْحِيدَ واسْتَسْلَمَتْ ... لِلهِ رَبِّ الكَوْنِ رَبِّ الأَنَامْ
تَمْلأُ بِالتَكْبِيْرِ قَلْبَ السَّمَا ... على اخْتِلافٍ في اللُّغَى والكَلَامْ
تَطُوفُ أَوْ تَسْعَى إِلى غَايَةٍ ... واحِدَةٍ في السَّعْي والاسْتِلَامْ
وحَّدَهَا الإِسْلَامُ دِيْنُ الهُدَى ... والحَقِّ والإِيمَانِ دِيْنُ السَّلَامْ

ويصف الحجاج في ذلك الموقف الرهيب وقد تجردت أرواحهم من شائبات الهوى، وأعلنت حبها المحض لربها، في جو تسمو فيه الروحانية، وتتضوع منه نفحات الإيمان الصادق[(٢)]:

تَجَرَّدَتْ من شَائِبَاتِ الهَوَى ... أَرْوَاحُهَا وانْطَلَقَتْ من حُطَامْ[(٣)]
يَغْمُرُهَا الإِيْمَانُ في نَشْوَةٍ ... رُوحِيَّةٍ تَسْمُو سُمُوَّ الغَمَامْ
تَهِيمُ بِا للهِ وتَهْفُو جَوًى ... يَا حَبَّذَا ذَاكَ الجَوَى والهُيَامْ!

٣ - استلهام التاريخ الإسلامي:

تاريخنا الإسلامي أسفار متلاحقة بالبطولات ونماذج التضحية والفداء، انبعث من بطحاء مكة المكرمة، من قلب الجزيرة العربية التي كرمها ا لله بالأماكن المقدسة[(٤)] التي انطلقت من على ثراها قوافل تاريخنا الإسلامي في المسير، متجاوزة ما جاورها من مناطق وبقاع إلى آفاق المعمورة .

خط الرسول - ﷺ - أولى صفحات ذلك التاريخ بشروعه في تبليغ قومه رسالة ربهم، وتحمله في سبيل ذلك أذاهم وعنتهم وقسوتهم .

---

(١) المصدر السابق، ص: ٤٥٠ .
(٢) المصدر نفسه ص: ٤٥١ .
(٣) حطام: المراد به هنا حطام الدنيا وهو : كل ما فيها من مال يفنى ولا يبقى .
(٤) أثر الإسلام في الشعر الحديث الحديث في سوريا ص: ٩٥ « بتصرف » .

وعندما أحس ـ ﷺ ـ بصلابة أرض مكة، وعدم صلاحيتها لاحتواء أنوار تلك الرسالة في بادئ الأمر، توجه إلى طيبة الطيبة، ومنها كانت البداية الحقيقية لتاريخنا الإسلامي، حيث شرع الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ بقيادة الرسول ـ ﷺ ـ يكتبون ذلك التاريخ المليء بالبطولات والمفاخر، بدءاً من الغزوات التي خاضها المسلمون في عهد رسول الله ـ ﷺ ـ لنشر تعاليم الرسالة السماوية الخاتمة، التي ارتضاها خالق الكون لعباده؛ رحمة بهم، فكانت بدر، وأحد، والخندق، وخيبر، ومؤتة، وفتح مكة، وحنين، وتبوك .

واستمر أولئك الرجال ـ بعد فقدهم لقائدهم ـ يكتبون تاريخنا المشرق بدمائهم الزكية .

ففي عهد الخلفاء الراشدين والعهود التي تلته امتد خط الجهاد الإسلامي حتى وصل نور تلك الرسالة إلى أماكن ما كان له أن يبلغها لولا توفيق الله لجنده الأبرار، وصدق وإخلاص أولئك الجند لربهم ولرسالتهم التي حفزهم نشرها إلى الدخول في معارك ضارية، لم ولن يهملها تاريخنا الإسلامي المزدهي بها كاليرموك، والقادسية، وذات الصواري، وحطين، وعين جالوت وغيرها .

وقد وقف شاعرنا أمام هذا التاريخ الحافل بالبطولات والأمجاد ـ وقفة تنم عن إعجاب كبير، وحب عميق لأولئك الرجال الذين منحوا ذلك التاريخ ـ حتى يكتب على ذلك النحو ـ أرواحهم، وأراقوا في سبيله دماءهم، وتفصح عن ألم مر يسري في أوردته ومكامن وجدانه، وهو يرى أحفاد أولئك الرجال قد شتتتهم الفرقة، وشقت عصاهم رغباتهم الدونية الموقوتة، واستشرى الوهن في أجسادهم، وتغلغلت الذلة والمسكنة في أعماقهم، آخذة بمجامع قلوبهم، ففقدوا على إثر ذلك العزة التي كانت لهم ومعها المكانة التي ورثها لهم آباؤهم وأجدادهم .

وشـاعرنا ـ من خلال وقفته مع تاريخنا الإسلامي، والتقليب في صفحاته ـ يسعى إلى إشعال فتيل الهمة في نفوس أبناء أمته، وبعث الروح التي خمدت في أجسادهم عن طريق إثارتها ـ تواق إلى صحوة تنقشع لها الغياهب التي لبدت سماء أمتنا الإسلامية، لتعود من جديد قوية مرهوبة الجانب، متصدية لبطش المستعمرين ومخططاتهم، ومحررة أراضيها التي وقعت في أيديهم، مكملة دورها الريادي في نشر تعاليم الرسالة الإسلامية، وتعمير هذه الأرض ومن ثم قيادتها كما كانت في سابق عهدها .

وإذا أجلنا النظر فيما استلهمه السنوسي من روائع تاريخنا الإسلامي، وقام بصياغته صياغة وجدانية مؤثرة ـ لوجدناه قد اهتم بإبراز جانبين من جوانب ذلك التاريخ الحافل بكل جميل ، فوقف أمام أبطال الإسلام والمسلمين، ثم مع الأمجاد الإسلامية التي حققها أولئك الأبطال .

(أ) من أعلام أبطالنا:

تاريخنا الإسلامي « ثري بشخصيات بارزة في كل مجالات الحياة، فهناك أبطال معارك، وأساطين سياسة، ورجال حكم، وعلم، وقضاء، وفكر، ونماذج عدل، وعناوين كرم، وإيثار، وأحلاس عبادة وزهد »(١) .

واهتمام شاعرنا بأولئك الأبطال « امتداد لاهتمامه بالإسلام عقيدة ومنهج حياة، كما أن استدعاءه للصفوة من ذاكرة التاريخ بهدف ربط القارئ بالتاريخ الإسلامي في عصور ازدهاره، ومن ثم يمكنه ذلك من تقديم أمثلة حيةلناشئة الأمة لحملها على الاقتداء بهذا السلف الصالح،

---

(١) النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر، ص: ٢١٧ .

ومحاولة تمثل حياتهم وأسلوب تعاملهم»[١] تغذيه رغبة جامحة في نقل أمته — عن طريق استدعائه لتلك الشخصيات بمعطياتهم — «من واقع الهزيمة التي تعيشها على أيدي المستعمرين والإحباط والفرقة والتخلف والمهانة الحضارية إلى واقع أكثر إشراقاً وسطوعاً ونضارة... فيه الحرية والانتصار والحضارة، ويستشعر فيه المسلم أنه صاحب كيان وذو قيمة، بعد أن أصبح في هذا القرن مثل اليتيم على مأدبة اللئيم »[٢] .

ولو عدنا إلى الشخصيات التي استدعاها في شعره لوجدناها شخصيات لها ثقلها في تاريخنا الإسلامي، ويأتي في مقدمة تلك الشخصيات هادي البشرية وسيدها محمد — ﷺ — « النبي الذي صدع برسالة السماء فقاد أمته إلى طريق الهدى الرباني، وحدها بعد فرقة، وحرر فكرها وشعورها، وانطلق بها أمة رائدة... قد حباه الله من رفيع الشمائل وكمال الخصال ما جعل منه برعاية الوحي إنساناً فريداً في مقومات شخصيته وخلاله، لذا كان الاحتذاء بسيرة النبي — ﷺ — يمنح من القوى المعنوية والطاقات الإنسانية ما يرقى بمستوى النهضة والقيادة »[٣] .

وقد خلت قصائد شاعرنا التي حلق فيها مع آفاق الشخصية المحمدية، من المزالق التي شوهت جانباً كبيراً من المدائح النبوية عند بعض الشعراء في بعض الأقطار الإسلامية[٤]، والسبب في ذلك راجع إلى « خلو المجتمع من المنازع الصوفية والعصبية، وإلى أثر الدعوة الإصلاحية وحرصها على تنقية

(١) المرجع السابق، ص: ٢١٧ .

(٢) محمد ﷺ في الشعر الحديث، د. حلمي القاعود، ط (١) ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، ص: ٢٠٣ - ٢٠٤

(٣) أثر الإسلام في الشعر الحديث في سورية، ص: ٤٧ .

(٤) كدعاء الرسول، والتوسل به، وطلب النفع، ودفع الضر، ووصفه بما لا يليق به كما يفعل غلاة الصوفية وغيرهم .

العقيـدة ممـا يكـدر صفوهـا»[1] .

والمتــأمل في قصائده تلك يجد أن اهتمامه كان منصباً على الإشادة بالرسول - ﷺ -، وتجلية خصاله الربانية، وتصوير بطولته العظيمة، وجهاده في سبيل ا لله .

ومن نماذج شعره في مدح الرسول - ﷺ - قوله[2]:

(مُحَمَّدٌ) خَيْرُ خَلْقِ ا للهِ قَـاطِبَةً
خَلْقاً وخُلْقاً على السَّرَّاءِ والنَّكَـدِ
نَدِيْمُ (جِبْرِيْلَ) يَسْقِيْهِ فَماً لِفَمٍ
(وَحْياً) يُرَتِّلُهُ شَـادٍ إلى غَـرِدِ

ويصور حرصه - عليه الصلاة والسلام - على هداية الناس إلى الصراط المستقيم، والطريق الحق، وصبره على كل ما يواجهه في سبيل تحقيق تلك الغاية، في قولـه مستلهماً موقفه مع كفار قريش[3]:

ظَلَّتْ تُنَاصِبُهَا البَغْضَاءَ مُعْلنَـةً
رِجَالُ مَكَّةَ في حِقْدٍ وفي حَسَـدِ
وأَحْمَدُ المُجْتَبَى يَـرْجُو هِدَايَتَهُمْ
يَزْدَادُ وُدّاً وَيَزْدَادُونَ في اللَّـدَدِ[4]

ويجد في موقفه - ﷺ - من محاولات كفار قريش المتلاحقة لثنيه عـن مواصلة دعوته إلى عبادة ا لله وحده، وثباته - عليه الصلاة والسلام - على موقفه - ما يقـوي من عزيمة أبناء أمته، ويرفع من روحهـم المعنويـة في مواجهتهـم لأعدائهـم المـتربصين

---

(١) النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر، ص: ١٦١ .
(٢) الأعمال الكاملة ص: ٥١٦ .
(٣) الأعمال الكاملة ص: ٥١٧ .
(٤) اللدد: الخصومة الشديدة .

بعقيدتهم الإسلامية، ساعين إلى طمس معالمها، واستئصالها من جذورها .

يقول السنوسي واصفاً ثبات الرسول - ﷺ - [١]:

رَسَمُوا خُطَّةَ القَضَاءِ على النُّو رِ وهَبُّوا كالزَّعْزَعِ الهَوْجَاءِ[٢]

والرَّسُولُ العَظِيْمُ كالطَّودِ إيْمَا نَاً وكَالنَّجْمِ في السَّنَا والسَّنَاءِ

يَتَحَدَّى قُوَى الضَّلَالِ بِقَلْبٍ عَامِرٍ بِاليَقِيْنِ والأَضْـــوَاءِ

ويجلي عمق إيمان الرسول - ﷺ - بخالقه، وثقته في عطفه ورحمته، ونصره له، في قوله مستلهماً الحديث الذي دار بينه وبين صاحبه في الغار[٣]:

يا صَاحِبِي لا تَخَفْ اللهُ يَحْرُسُـنَا

بِلُطْفِهِ ولِلُطْفِ اللهِ أَسْــرَارُ

مَنْ عَلَّمَ العَنْكَبُوتَ النَّسْجَ تُحْكِمُهُ

على فَمِ الغَارِ نَسْجَاً فِيْهِ إِمْــرَارُ

وسَخَّرَ الطَّيْرَ تَبْنِي العُشَّ جَاثِمَــةً

تَزُقُّ أَفْرَاخَــهَــا فِيْهِ وتَمْــتَــارُ[٤]

اللهُ واللهُ لا تَخْفَــاهُ خَافِيَــةٌ

ولَيْسَ يُعْجِزُهُ مَكْــرٌ ومُكَّــارُ

ومن الشخصات الإسلامية التي وقف عندها شاعرنا شخصية أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - وقد حملت لنا تلك الوقفة روحه المعجبة بمواقف تلك الشخصية البطولية في حياة الإسلام والمسلمين، مركزاً على أهم تلك المواقف والذي يكمن في

---

(١) الأعمال الكاملة ، ص: ٢٦٣ .

(٢) الزعزع الهوجاء: الريح الشديدة التي تقلع البيوت .

(٣) الأعمال الكاملة ص: ٥٣٣ - ٥٣٤ .

(٤) تزق : تطعمها بفيها،تمتار: تمتد .

تصديه للمرتدين عن الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ ـ، وأثناء فترة خلافته .

يقول السنوسي في ذلك[1]:

يا (ثَانِيَ اثْنَيْنِ) إنَّ الدِّيْنَ في خَطَرٍ
وأَنْتَ لِلدِّيْنِ مُذْ أَسْلَمْتَ نَصَّارُ

هَذَا (مُسَيْلَمَةُ الكَذَّابُ) في نَزَقٍ
وذَا (طُلَيْحَةُ) أفَّاكٌ ونَعَّارُ[2]

وَذِي (سَجَاحُ) وهَذَا (مَالِكٌ) وهُمَا
في كُلِّمَا دَبَّرَا طَبْلٌ وزَمَّارُ

ثَبَتَّ لِلْخَطْبِ لَمْ تُرْهِبْكَ ثَائِرَةٌ
ولا هَفَا بِكَ أَوْغَادٌ وأَغْرَارُ

وقُلْتَ قَوْلَتَكَ الغَرَّاءَ تَرْفَعُهَا
كالسَّيْفِ في وَجْهِ مَنْ خَارُوا ومَنْ ثَارُوا

وا للهِ لَوْ مَنَعُونِي حَبْلَ رَاغِيَةٍ
قَاتَلْتُهُمْ لَيْسَ إلاَّ ذَاكَ إِقْرَارُ

الدِّيْنُ كُلٌّ ولَيْسَ الدِّيْنُ تَجْزِئَةً
بَعْضٌ صَحِيْحٌ وبَعْضٌ مِنْهُ أَصْفَارُ

يا لَلْوَدِيْعِ الرَّقِيْقِ القَلْبِ أَيْنَ مَضَتْ
تِلْكَ الوَدَاعَةُ فَهْوَ اليَوْمَ جَبَّارُ !

أَعَدْتَ لِلْمُسْلِمِيْنَ الفَجْرَ مُبْتَسِماً
من بَعْدِ مَا كَادَ يَمْحُو الفَجْرَ فُجَّارُ

ويواصل شاعرنا تقديمه لبعض الشخصيات المؤثرة في حياة الإسلام والمسلمين،

---

(١) الأعمال الكاملة ، ص: ٥٣٧ .

(٢) نزق : النزق : الخفة والطيش والحمق ونعّار: أي عاصي .

فيتوقف هذه المرة عند شخصية الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ مشيداً بألمعيته، ومشيراً إلى شدته في الحق، وبعد نظرته، حيث يقول[1]:

العَبْقَـــــرِيُّ الَّذِي يَخْشَى صَرَامَتَهُ
(إِبْلِيسُ) أَنَّى مَشَى في السَّهْلِ والجَلَدِ[2]
المُلْهَمُ الأَلْمَعِيُّ الذِّهْنِ تَحْسَـــبُهُ
من الذَّكَاءِ يَرَى الأَشْـيَاءَ من صَدَدِ[3]
ذُو (دِرَّةٍ) ما رَآهَا قَطُّ ذُو أَسَـــرٍ
إِلاَّ ارْعَوَى ولو اسْتَعْلَى بِعِرْقِ عَـدِي[4]

ويستلهم بعض المواقف التي خلدها تاريخنا الإسلامي للخليفة الراشد علي بن أبي طالب ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ مبتدئاً بمبيته في فراش الرسول ـ ﷺ ـ ليلة الهجرة، ثم بجلاء موقفه ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ من الأحداث التي حفلت بها فترة خلافته[5]:

فَكَانَ ما كَانَ وامْتَدَّتْ يَدَا بَطَـــلٍ
(مُكَرَّمِ الوَجْهِ) عَبْلِ الزَّنْدِ والعَضُـــدِ[6]
(أَبِي الحُسَيْن) الَّذِي ضَحَّى بِمُهْجَتِــهِ
(فِـدَى النَّبِيِّ) المُفَدَّى لَيْلَةَ الرَّصَـــدِ[7]

---

(١) الأعمال الكاملة، ص: ٥٢٢ .

(٢) الجلد: الأرض الصلبة .

(٣) صدد: قرب .

(٤) أسر: القوة والحبس .

(٥) الأعمال الكاملة ، ص: ٥٢٣ .

(٦) عبل: ضخم .

(٧) كناه الشاعر: بـ (أبي الحسين) بدلاً من كنيته الأصلية (أبا الحسن) حتى لا ينكسر الوزن الشعري الذي جاء إطاراً لقصيدته التي منها هذا البيت .

العَابِـدِ الزَّاهِدِ الأَوَّابِ مَـــنْ خَضَعَتْ
لِقُوَّةِ الـرُّوحِ فِيهِ قُـــوَّةُ الجَسَـــدِ
فَقَـــاوَمَ الرِّيْـــحَ والأَنْـــوَاءَ مُهْتَدِياً
بِالحَقِّ لَمْ يَنْـحَرِفْ عَنْهُ ولَمْ يَحِـــدِ[1]
سِـــيَاسَةُ الفَضْلِ والإِيْمَانِ لَيْسَ لَهَـــا
إِلاَّ الوُضُوحُ وإِنْ كَانَ الـــطَّرِيـــقُ رَدِي
وسَـــارَ ضِدَّ قُوَى التَّيَّارِ في ثِقَـــةٍ
بِاللهِ يَحْمِي حِمَـــاهُ من هَوىً ودَدِ[2]

ويشير إلى أهم أحداث فترة توليه أمر المسلمين قائلاً[3]:

فَكَانَتِ (الجَمَلُ) الشَّـوْهَاءُ عَاصِفَةً
لَمْ تُبْقِ رُكْناً ولَمْ تَتْرُكْ عُـــرَى وتَـــدِ
وشَقَّ (صِفِّينُ) صَفَّ المُسْـلِمِينَ إِلَى
صَفَّيْنِ يَضْرِبُ بَعْضٌ بَعْضَ في حَـــرَدِ[4]
ولَمْ تَزَلْ شُعْلَةُ الإِيْمَانِ في يَـــدِهِ
حَتَّى مَضَى فَمَضَتْ مَحْلُولَةَ العُـــقَـــدِ

ونتوقف في نهاية جولتنا، مع وقفات السنوسي مع أعلام المسلمين وأبطالهم العظام ـ عند عمر بن عبد العزيز الذي يعد بحق المجدد البارع الذي أعاد للإسلام رونقه وبهاءه المعروف عنه .

---

(١) الأنواء: جمع نوء، وأصله: الليل في شق، والمراد بها هنا: الأثقال .
(٢) الدد: اللهو واللعب .
(٣) الأعمال الكاملة، ص: ٥٢٣ ـ ٥٢٤ .
(٤) حرد: الغيظ والغضب .

يقول السنوسي وقد أخذه العجب بتلك الشخصية الفذة[١]:

وَلَاحَ فِي الأُفْـقِ وجْهٌ في أَسِرَّتِهِ
يُضِيءُ إِشْـعَاعُ قِدِّيسٍ ورُوحُ نَبِي

أَهْلاً (أَشَجَّ) بَنِي مَـرْوَانَ يا بَطَلاً
سَمَتْ بِهِ سُمْعَةُ الإِسْلَامِ والعَـرَبِ

ثم يصف حال أبناء الأمة الإسلامية في عهده قائلاً[٢]:

واسْـتَقْبَلَ الدَّهْرُ عَهْداً لا نَظِيْرَ لَهُ
فِي كُلِّ ما سَجَّلَ التَّارِيخُ من حِقَبِ

هَـدْياً وعَدْلاً وإِيْمَاناً ومَـرْحَمَةً
ووِحْدَةً صَاغَهَا الإِسْلَامُ من ذَهَـبِ

يَمْشُونَ فِي ظِلِّهَا الضَّافِي وقَائِـدُهُمْ
دِينٌ يُنِيرُ خُطَاهُم في دُجَى الـدَّرْبِ

يَحْدُو سُرَاهُمْ ويَشْدُو في مَوَاكِبِهِمْ
قُرْآنُهُمْ وحَدِيْثُ المُصْطَفَى العَـرَبِي

نَقِيَّةً لَمْ يَشُـبْهَا مَا يُكَدِّرُهَا
من التَّفَاخُرِ بِالأَعْرَاقِ والنَّسَـبِ

إلى أن يقول[٣]:

أُسْـطُورَةٌ تِلْكَ لا واللهِ بَلْ بَشَرٌ
مَشَى على الأَرْضِ مَشْيَ الغَيْثِ في الجَدَبِ[٤]

---

(١) الأعما الكاملة ص: ٥٢٦ ـ ٥٢٧ .
(٢) المصدر نفسه ص: ٥٢٨ .
(٣) المصدر نفسه ص: ٥٣٠ .
(٤) الجدب: القحط والمحل، وهو نقيض الخصب .

قَــرَأْتُ تَــارِيخَهُ يَــــوْماً فَرَفَّ فَمِي
شَــــــوْقاً لِتَقْبِيْلِ ذَاكَ العِطْرِ في الكُتُبِ

(ب) الأمجاد ومعارك الفتوحات الإسلامية:

يطوف شاعرنا في دروب أمجادنا التليدة عبر صور الفتوح والانتصارات التي مهرناها بقوافل الشهداء الأبرار، ففتحنا بها عيون البشرية على الهداية والنور[1]، فيرى المسلمين الأوائل وقد دكوا أسوار فارس، وزلزلوا عرش قيصر، وانطلقوا يبلغون رسالة ربهم في كل أرجاء المعمورة:

وإِذَا تِلْكُمُ الصَّحَارَى حَدِيثُ الـ — ـفُرْسِ والرُّومِ من قَرِيبٍ ونَــاءِ
وإِذَا تِلْكُمُ الجَــــزِيرَةُ يمْتَـ — ـدُّ سَنَاهَا عَبْرَ الذُّرَى والسَّـمَاءِ
وإِذَا خَالِدٌ وعَمْرٌو وزَيْــــدٌ — فَلَكٌ دَائِرٌ على الأَجْـــــوَاءِ
يُرْسِـــلُونَ الضِّيَاءَ في كُلِّ أُفْقٍ — ويُدَاوونَ كُلَّ سُـــــقْمٍ ودَاءِ
ويُنِيرُونَ بالعَــــدَالَةِ والإِسْـ — ـلَامِ دَرْبَ الحَيَاةِ والأَحْيَــــاءِ
ويُهِيبُونَ بالشُّـــعُوبِ إلى الحَـــقِّ نَقِيًّاً من دَعْــوَةِ الأَدْعِيَـــاءِ
حَمَلُوا مِشْــــعَلَ العَقِيْدَةِ والإِيْـ — ـمَانِ والعَدْلِ والحَيَا والوَفَـــاءِ
ودَعُوا كُلَّ أُمَّةٍ تَنْشُـــدُ الحَـــقَّ إلى كِلْمَةٍ وحُكْمٍ سَــوَاءِ[2]

ويقف على ما شاده المسلمون في المغرب العربي في تلك الحقبة الزمنية السالفة، والتي استطاع المسلمون فيها دك الصعوبات التي اعترضت طريقهم وهم يحملون الرسالة الإسلامية، ساعين إلى نشرها:

على الشَّاطِئِ الرَّقْرَاقِ في المَغْرِبِ الأَقْصَى
قَرَأْتُ أَحَــــادِيْثاً من المَجْدِ لا تُحْصَى

---

(١) أثر الإسلام في الشعر الحديث في سوريا ص: ٩٧ « بتصرف » .
(٢) الأعمال الكاملة ص: ٢٦٦ - ٢٦٧ .

مُسَـــطَّرَةً من عَهْدِ مُوسَى وَطَارِقٍ
وعُقْبَةَ لَمْ تَنْصَلْ شُـــرُوحاً ولا نَصَّــا
سَوَاطِعَ مِلْءَ البَحْرِ والصَّخْرِ والذُّرَى
تَزِيدُ ائتِلاقاً كُلَّمَا زِدْتَهَا فَحْـصَـــا[١]

ويمضي السنوسي مستلهماً الأحداث التاريخية، قارئاً معالمها في كل زاوية من زوايا المغرب العربي، وفي كل مظهر من مظاهره:

إِذَا غَمْغَمَتْ فيها الرِّيَاحُ حَسِـــبْتُهَا
صَهِيلَ جِيَادٍ تَحْمِلُ العَرَبَ الخُلْصَـــا[٢]
وإِنْ لَاحَ قُرْصُ الشَّمْسِ خَلْفَ جِبالِهَا
رَأَيْتُ شُــعَاعَ الفَتْحِ يَحْتَضِنُ القُرْصَـا
تَــأَمَّلْتُهَا والذِّكْرَيَاتُ يَهُـــزُّنِي
صَدَاهَا كَمَا تَهْتَزُّ أَمْوَاجُهُ رَقْصَــا[٣]

ويستدعي ـ من ذاكرة التاريخ ـ الشخصيتين اللتين بنتا المغرب دينياً وحضارياً، مستلهماً موقف طارق بن زياد، عندما وقف في جموع المسلمين خطيباً، بعد أن قام بإحراق السفن التي كانت بحوزتهم:

كَأَنِّي أَرَى مُـوسَى أَمَامِي بِخَيْلِــهِ
وأَسْمَعُ وثْبَ الخَيْلِ والرَّكْضَ والقَمْصَا[٤]

---

(١) الأعمال الكاملة ص: ٦٢٤ ـ ٦٢٥

(٢) غمغمت: الغمغمة والتغمغم: الكلام الذي لا يبين، وقيل: هما أصوات الثيران عند الذعر، وأصوات الأبطال في الوغى عند القتال.

(٣) الأعمال الكاملة ص: ٦٢٥ .

(٤) القمص: يطلق على الخيل إذا استن أي: رفع يديه وطرحهما معاً .

وَلَمْحَ المَوَاضِي والسَّفِيْنَ وَطَارِقٌ
يَخُوضُ عُبَابَ اليَمِّ واليَمُّ قَدْ غَصَّا
وخُطْبَتُهُ كَالرَّعْدِ تَقْتَحِمُ الذُّرَى
وإيمَانُهُ لا يَعْرِفُ الخَوْفَ والحِرْصَا
مَآثِرُ لِلإِسْلاَمِ وهَّاجَةُ السَّنَا
قِبَاباً وأَلْبَاباً سَوَامِقَ لا وَقْصَا[1]
وكَمْ لِهُدَى الإِسْلاَمِ في الأَرْضِ من يَدٍ
بِهَا صَفَعَتْ مُسْتَعْمِراً ورَمَتْ لِصَّا[2]

ثم تبدأ تلك الصور في التلاشي، ويحل محل ذلك الفخر والاعتزاز بما كان للمسلمين من دور فعال في قيادة أمم الأرض قاطبة ـ ألم طاغ، وحسرة مرة؛ لما آلوا إليه الآن من ضعف وهوان أفقدهم القدرة على المحافظة على أراضيهم، والتصدي لبطش المستعمرين .

يقول السنوسي متألماً من الحاضر الذي تعيشه أمته، مستحضراً صورة زاهية من صور ماضيها المشرق[3]:

هَدَأَ اللَّيْلُ فَاهْدَئِي يا مَشَاعِرْ وَدَعِيْنِي من الرُّؤَى والخَوَاطِرْ
هَدَأَ اللَّيْلُ وانْطَوَتْ في دَيَاجِيْـ ـهِ قُلُوبٌ كَلِيْمَةٌ ونَوَاظِرْ[4]
لَمْ تَعُدْ مُهْجَتِي يَرِفُّ هَوَاهَا لِلُحُونِ المُنَى وعَزْفِ المَزَاهِرْ[5]

---

(١) الوقص: أي قصر العنق، والمراد هنا: أن تلك المآثر عالية لا منخفضة .
(٢) الأعمال الكاملة ص: ٦٢٥ ـ ٦٢٦ .
(٣) المصدر السابق ص: ٤٨٠ ـ ٤٨١ .
(٤) قلوب كليمة: جريحة .
(٥) المزاهر: واحدها مزهر: وهو الدف الذي يضرب به .

بَاتَ قَلْبِي يَحِــنُّ شَوْقاً إلى المَا ... ضِي ورُوحِي تَئِنُّ حُزْناً لِحَاضِــرْ
أَنَــا من أُمَّةٍ رَعَى اللهُ مَاضِيْـ ... ـهَا لَقَدْ كَانَ جَوْهَراً من جَواهِــرْ
كَانَ مِنْهَا الهَادِي إِلَى الحَقِّ والحَا ... مِي حِمَاهُ من كُلِّ طَاغٍ وفَاجِــرْ
كَانَ مِنْهَا مُحَمَّدٌ وأَبُــو بَكْـ ... ـرٍ وعُثْمَــانُ والــزُّبيْرُ وعَامِــرْ
وعَلِيٌّ وطَلْــحَــةُ والمُثَنَّى ... وأَبُو حَفْصٍ والشَّهِيْدُ ابْنُ يَاسِــرْ
نَــفَــرٌ كالنُّجُومِ إِنْ أَظْلَمَ اللَّيْـ ... ـلُ أَضَاءَتْ بِهِمْ سَمَاءُ المَفَاخِــرْ
لَيْسَ مِنْهُمْ إِلاَّ جَــوَادٌ وإِلاَّ ... فَارِسٌ لِلْفَوَارِسِ الصِّيْدِ قَــاهِــرْ

ويبلغ حزن الشاعر مداه وهو يرى أحفاد أولئك الأبطال وقد عانقهم الذل على أيدي أعدائهم[1]:

كَيْفَ أَضْحَى أَحْفَادُهُمْ يَا فِلَسْطِيـ ... ـنُ صِغَاراً لا يَأْنَفُونَ الصَّغَائِرْ[2]
بَرَدَتْ في دِمَائِهِمْ نَخْوَةُ الــعِــزِّ ... ومَاتَتْ تِلْكَ السَّجَايَا الحَرَائِرْ[3]

ثم ييمم وجهه شطر الماضي هرباً من الحاضر الأليم، مستلهماً بعض المواقف البطولية التي صنعها رجال الإسلام الأوفياء، ذاكراً بعض أسماء أولئك الرجال الذين كانت لهم صولاتهم وجولاتهم في مسرح الأحداث في مختلف فترات تاريخنا الإسلامي، يقول السنوسي طالباً ـ لأولئك الرجال والقادة ـ الرحمة إزاء ما قدموه للإسلام والمسلمين[4]:

رَحِمَ اللهُ خَالِــداً والمُثَنَّى ... وابْنَ أَيُّوبَ والفَتَى الحَمَــدَانِي
فَلَقَدْ ضَعْضَعُوا قُوَى كُــلِّ دِهْقَا ... نٍ وعِلْجٍ وأَنْــقَذُوا كُلَّ عَانِي[5]
حِيْنَ كَانَتْ قُوَى الطُّغَاةِ تَهُزُّ الـ ... أَرْضَ من فَارِسٍ ومن رُومَــانِ

---

(١) الأعمال الكاملة ص: ٤٨٢ .

(٢) صغاراً: الصغر والصغارة: خلاف العظم ، والصغائر: الآثام والذنوب .

(٣) نخوة: النخوة: العظمة والكبر والفخر، والسجايا: واحدها سجية: الطبيعة والخلق .

(٤) الأعمال الكاملة ص: ٥٦٨ ـ ٥٦٩ .

(٥) دهقان: الدهقان : رئيس الإقليم عند الفرس ، العلج: الرجل الضخم من كفار العجم .

٤ ـ الشعر المتصل بالحضارة والتراث الإسلاميين:

من الأمور المسلم بها أن لكل أمة من الأمم رصيدها الضخم الحافل بالمعارف والأمجاد، وأن ذلك الرصيد لم يولد فجأة، ولم يأت من فراغ، وإنما كان ثمرة لسعي مضنٍ وعمل دؤوب .

ولأن الحياة في تغير مستمر فإنه قد يترتب على ذلك التغير تراجع أمة عن مكانتها، وتقدم أخرى. وحتى تستطيع تلك الأمة ـ التي تراجعت عن الركب وفقدت مكانتها ـ العودة مجدداً إلى سابق عهدها، فإنه يتحتم عليها الرجوع إلى ماضيها وتجاربها فيه، ومحاولة الاستفادة مما حواه ذلك الماضي بين صفحاته؛ حتى تستند عليه في نهضتها المعاصرة باعتباره ركيزة أساسية، ودعامة قوية ينبني عليه مجدها الآتي، مع محاولة الاستفادة من تجارب الأمم الأخرى، والإفادة من حضارتها.

وأمتنا الإسلامية واحدة من تلك الأمم التي فقدت مكانتها وتخلفت عن الركب، بفعل الفرقة والشتات، وجهل معظم أبنائها بتراثهم العريق، وانبهارهم بالحضارة الغربية التي كانت ثمرة من ثمرات حضارتنا الإسلامية التي امتدت في عصور القوة إلى أصقاع أوروبا. وحتى تعود أمتنا لتسنم أمم الأرض من جديد فإنه يتوجب عليها العودة إلى تراثها ومحاولة الاستفادة منه، مع أخذ ما يفيدها من الحضارات الحديثة التي أسهم في وجودها ورقيها العلم الحديث بفروعه المختلفة .

ذلك لأن « إحياء هذا التراث، وإيجاد الجسور بينه وبين الجيل الحاضر والأجيال التالية، يحقق معنى التواصل الإنساني في مسيرة الأمة، ويجعل من نهضتها بناء متماسكاً، ومتناسقاً، ومتمازجاً، كل حلقة فيه تفضي لما يليها، وكل عطاء فيه ركيزة لما فوقه، ومثل هذا الترابط في بنية الأمة بأفقه التاريخي، يجعلها مستعصية على شتى محاولات الاختراق الهدام، ويمنحها

حصانة ذاتية تحول بينها وبين أية عملية تسلل غربية إلى كيانها، فتفسد تواصله، وتمزق روابطه »[١] .

وقد أظهر شاعرنا ـ في شعره الذي اهتم فيه بإبراز هذا الجانب المشرق ـ مشاعر الاحترام والتقدير لحضارتنا الإسلامية وتراثها المنبثق عنها، وحرص على تبصير أبناء أمته بدور حضارتهم الإسلامية الرائد، وإبراز الفوارق بينها وبين الحضارات الغربية الحديثة، وتوجيههم إلى بعث تلك الحضارة وتراثها، والاستفادة من معطياتها، مع أخذ ما يفيدهم من الحضارات الحديثة التي أسهم في رقيها العلم الحديث، بدلاً من تقليدها والانجراف في متاهاتها .

وأول ما اهتم شاعرنا بإبرازه في هذا الجانب دور الرسول ـ ﷺ ـ والرسالة الإسلامية في بناء تلك الحضارة، ومن ثم نشرها في الآفاق، والأسس القوية التي قامت عليها .

فعن دور الرسالة الإسلامية التي انبثقت أنوارها من جزيرة العرب في بناء تلك الحضارة، يقول شاعرنا[٢]:

مـن الجَزِيرَةِ مَهْدِ العُنْصِرِ العَرَبِي
ومَـوْلِدِ النُّورِ والإِيْمَانِ والكُتُبِ

تَوَهَّجَتْ سُـوَرُ القُرْآنِ وانْطَلَقَتْ
أَضْواؤُهَا في مَدَارِ الشَّمْسِ والشُّهُبِ

تَبْنِي الحَضَارَةَ في الآفَاقِ سَـامِقَةً
بِالعِلْمِ والفَـنِّ والأَخْلَاقِ والأَدَبِ

---

(١) الغارة على التراث الإسلامي، تأليف جمال سلطان، ط (١) رمضان ١٤١٠هـ، أبريل ١٩٩٠م، ص: ١٠ .

(٢) الأعمال الكاملة ص: ٥٢٥ ـ ٥٢٦ .

وَتَرْفَعُ القِيَمَ الشَّمَّاءَ عَالِيَةً
أَعْلَامُهَا من ذُرَى صَنْعَا إلى حَلَبِ
وتُطْلِقُ العَقْلَ من أَسْرِ القُيودِ إلى
سِرِّ الوُجُودِ بِلَا خَوْفٍ ولَا رَهَبِ
بَحْثاً وفَحْصاً وتَنقِيباً وتَجْرِبَةً
عن الغَوامِضِ والأَسْرَارِ والحُجُبِ[1]
حَتَّى غَدَا الكَوْنُ مَفْتُوحَ الذِّرَاعِ لَهُمْ
بَحْراً وَبَرّاً وصَخْراً غَيْرَ مُحْتَجِبِ

ويبين دور الرسول - ﷺ - في نشر تعاليم تلك الرسالة التي حملت إلى جانب الدعوة إلى عبادة الله أهم الأسس التي تبني عليها حضارات الأمم، ويأتي في مقدمتها المساواة والمحبة والرحمة والعدل، يقول السنوسي في ذلك[2]:

مُحَمَّدٌ رَائِدُ الدُّنْيا وقَائِدُهَا
إلى المَحَبَّةِ أَجْنَاساً وأَلْوانَا
شَرِيعَةٌ كَشُعَاعِ الشَّمْسِ نَيِّرَةٌ
النَّاسُ في ظِلِّهَا كَالمُشْطِ أَسْنَانا
فَاءَتْ إِلَيْهَا شُعُوبُ الأَرْضِ واعْتَصَمَتْ
بِحَبْلِهَا وسَمَتْ أَمْناً وإِيمَانَا

وعندما لمس اهتمام أبناء أمته بالحضارة الغربية، وابتهاجهم بما توصل إليه الغربيون، حرص على توجيههم إلى الاستفادة من الجانب المشرق فيها بدلاً من الانجراف في متاهاتها، وتقليدها في زندقتها وإلحادها، يقول شاعرنا في ذلك

---

(١) الحجب: واحدها حجاب وهو: الستر .

(٢) الأعمال الكاملة ص: ٣٩٤ .

مبدياً تذمره وحزنه[١]:

تَفَرَّقَ الجَمْعُ وانْحَلَّتْ شَكِيمَتُهُمْ

وانْـــهَـــارَ إِيمَانُهُمْ بِا للهِ فَانْهَارُوا[٢]

نُقَلِّدُ الغَرْبَ إِلْحَاداً وزَنْدَقَــــةً

ومن تَحَلُّـلِـهِ نَجْنِي ونَشْـــتَـارُ[٣]

ولا نُقَلِّدُهُ عِلْماً وتَقْنِيَــــةً

ولا انْطِلاَقــاً لَهُ نَفْعُ وأَثْمَـــــارُ

ثم يدعوهم إلى الالتفات إلى تراثهم، والانكباب عليه،، ودراسته دراسة جادة مستفيضة، ومن ثم نشره والاستفادة من معطياته في نهضتهم المعاصرة، قائلاً[٤]:

لَقَـــدْ هُيِّئَتْ أَسْبَابُنَا وَتَدَعَّمَتْ — وَسَائِلُ نَشْــرٍ بِالمعَارِفِ تَــزْدَانُ

وإِنْ نَحْــنُ فَتَّشْنَا الكُنُوزَ وإِنَّهَا — لَعَمْرُ العُلَا والمجْدِ دُرٌّ وعِقْيَـانُ[٥]

ظَفَرْنَا بِمَا لَمْ يَلْحَظِ الدَّهْرُ مِثْلَهُ — ولا تَحْتَوِيهِ في المَـتَـاحِفِ حِيْطَانُ

ويسترسل في دعوته لأبناء أمته وتوجيههــم إلى الاهتمـام ببعث تراثهـم العريـق والاستفادة منه[٦]:

أَفِيْضُوا على الأَلْبَابِ من صُحُفِ العُلَى

رَوَائِعَ تَهْوَاهَا قُـلُــــوبٌ وأَذْهَـــــانُ

---

(١) المصدر السابق ص: ٥٤٠ .

(٢) الشكيمة: الشكيمة في الأصل من اللجام وهي: الحديدة المعترضة في الفم، واستعارها الشاعر للقوة والأنفة وإباء الضيم .

(٣) نشتار: نجني، من شار العسل يشوره: اجتناه من خلاياه ومواضعه .

(٤) شعراء الجنوب ص: ٨٨ ـ ٨٩ .

(٥) در واحده درة، وهي: اللؤلؤة العظيمة، والعقيان: الذهب .

(٦) الأعمال الكاملة ص: ٨٩ .

أَفِيْضُوا شَــآبِيْبَ العُلُومِ زَوَاخِــراً
لَهَا القَلْبُ حَقْلٌ والمَشَــاعِرُ وِدْيَــانُ[1]
أَفِيْضُوا شُعَاعَ الفِكْرِ يَجْلُو حَنَادِســاً
تَخَبَّطَ سَــارٍ في دُجَاهَا ورُكْبَــانُ[2]
فَمِنْ هَاهُنَا رَنَّتْ على الأُفْقِ صَيْحَــةٌ
تَنَبَّهَ غَافٍ من صَدَاهَا وَوَسْــنَــانُ
ومن هَاهُنَا شَمْسُ الهِدَايَةِ أَشْــرَقَتْ
ومِنْ هَاهُنَا قَــادَ السَّــفِيْنَةَ رُبَّانُ

وتشاء الأقدار أن يزور شاعرنا العراق ممثلاً لبلاده في وفد أدبي، فجادت شاعريته بقصيدة استيقظ فيها حسه الحضاري، عندما انثالت عليه رؤى الحضارة التي شهدها ذلك القطر، كما تراءت له جياد المثنى، وسعد، والمقداد، ومنابر عدد من العلماء والأدباء والشعراء، ودنيا من الزهو والمتعة والخلود .

يقول السنوسي واصفاً أشواقه لرؤية (بغداد) التاريخ والحضارة، مستلهماً ذكرياتها الجميلة في حياة الإسلام والمسلمين والثقافة والأدب[3] :

حَمَلْتُ مِلْءَ فُؤَادي صَبْوَةً وهَــوًى
إلى عَبِيْرِ الشَّذَى من وَرْدِ بَغْــدَادِ
وجِئْتُ أَمْلأُ عَيْنِي من مَــآثِــرِهَا
ومن مَفَاخِرِ آبَائي وأَجْــدَادي
وما بَنَاهُ لَهَا المَنْـصُــورُ من قِيَــمٍ
ومن مَنَاقِبِ أَعْــمَــالٍ وأَمْجَــادِ

---

(١) شآبيب: جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر وغيره .

(٢) حنادس: الحندس: الليل الشديد الظلمة .

(٣) الأعمال الكاملة ص: ٧٦٩ ـ ٧٠٠ .

وأَسْـــتَظِلَّ بِأَفْيَاءٍ مُعَطَّرَةٍ
تَخْضَلُّ بِالسِّحْرِ مِلْءَ الشَّطِّ والنَّادِي

ويوغل شاعرنا في ماضي بغداد المشرق، مستدعياً بعض شخصياتها، ملمحاً إلى براعتهم وجهودهم كل في مجاله وميدانه[1] :

عَـن المُثَنَّى عن البَدْرِ بْنِ حَارِثَـةٍ
عَـن ابْنِ يَاسِرٍ عن سَعْدٍ ومِقْـدَادِ

ويواصل استدعاءه للشخصيات المؤثرة في حياة بغداد قائلاً[2] :

عَـن النُّواسِي عن الطَّائِيِّ عَـن نَـفَـرٍ
مِـن الفَطَاحِلِ كَانُوا زِيْنَةَ الـضَّـادِ
عن جَعْفَرٍ[3] عن أَخِيهِ الفَضْلِ[4] عن غُرَرٍ
أَيَّامُهُمْ مَحْضُ أَعْرَاسٍ وأَعْـيَـادِ
عن سَـادَةٍ قَادَةٍ في كُلِّ مُجْتَمَعٍ
لَهُمْ صَـدًى بَيْنَ أَجْوَادٍ وزُهَّـادِ
مِـلْءُ المَحَارِيْبِ من تَـقْـوَى ومـن وَرَعٍ
مِلْءُ المَـنَـابِرِ من شِـعْرٍ وإِنْشَادِ
مِلْءُ المَحَـافِـلِ يَهْتَزُّ النَّدَى بِـهِـمُ
مِلْءُ الجَحَافِلِ من صِيْدٍ وقُـوَّادِ[5]

(١) المصدر السابق ص: ٧٦٧ .

(٢) المصدر نفسه ص: ٧٦٨ - ٧٦٩ .

(٣) جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي، أبو الفضل (١٥٠ - ١٨٧هـ = ٧٦٧ – ٨٠٣) وزير الرشيد العباسي، وأحد مشهوري البرامكة ومقدميهم . ينظر معجم الأعلام، عبد الوهاب الجابي، ص: ١٧٠ .

(٤) الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي (١٤٧ - ١٩٣هـ = ٧٦٥ - ٨٠٨هـ) وزير الرشيد العباسي، وأخوه في الرضاع . ينظر معجم الأعلام، عبد الوهاب الجابي، ص: ٥٩٤ .

(٥) المحافل: واحدها محفل: وهو مجتمع الناس، والجحافل: الجيوش الكثيرة .

أَيَّامَ تَعْتَصِمُ الدُّنْيَا بِمُعْتَصِمٍ
وَتَهْتَدِي بِهُدَى المَهْدِيِّ والهَادِي

ومن مظاهر إخلاص السنوسي لحضارة أمته واعتزازه بتراثها دفاعه عن لغتها أمام كل من حاول التقليل من شأنها، أو دعا إلى هجرها، وإشادته بثروتها، وقدرتها على احتواء المعارف الإنسانية الطريف منها والتالد[1] :

لُغَةٌ ضَاهَتِ اللُّغَاتِ فَفَاقَتْـ ـهَا حَدِيثاً وأَعْجَزَتْهَا كِتَابَا
بَهَرَتْهَا تَرَسُّلاً خَلَبَ الألْـ ـبَابَ مِنْهَا وحَيَّرَتْهَا اقْتِضَابَا
هِيَ فِي مُسْتَوَى البَيَانِ سَمَاءٌ جَاءَ فُرْقَانُهَا يَشِعُّ شِهَابَا
أَشْرَقَتْ حَوْلَهَا (الحَيَاةُ) وظَلَّتْ مَطْمَحَ الفِكْرِ مَنْظَراً ولُبَابَا
خَضِلَتْ بِالرُّوَاءِ لَفْظاً ومَاسَتْ فِي حُلاهَا كَوَاعِباً أَتْرَابَا[2]
وسِعَتْ حِكْمَةَ الدُّهُورِ فُصُولاً وزَهَتْ (بِالعُلُومِ) بَاباً فَبَابَا
حَكَمَتْ فِي اللُّغَاتِ دَهْراً وكَانَتْ مُلْتَقَى دَافِقَ (الفُنُونِ) شَبَابَا
وغَدَتْ مِنْبَراً تَرِفُّ عَلَيهِ نَبَرَاتُ العُلا وتَسْمُو خِطَابَا

٥ ـ الشعر المتصل بالدعوة إلى الجهاد:

اجتاحت الأمة العربية والإسلامية في العصر الحديث عواصف عاتية، تمثلت في الحملات الاستعمارية الشرسة التي شنتها عليها معظم دول أوروبا، ساعية إلى توسيع رقعتها، والاستحواذ على الخيرات والنعم التي تكتنزها أراضيها، إضافة إلى نشر مذاهبهم وفلسفاتهم الإلحادية الهدامة، والترويج لها بين أبنائها في محاولة جادة

---

(١) مجلة المنهل، المجلد (٨) جمادى الثانية، سنة ١٣٦٧ هـ، ص: ٢٥٥ .

(٢) كواعبا: الكاعب: الجارية القبي نهد ثديها، وأترابا: الترب: اللدة والسن، يقال: هذه ترب هذه أي: لدتها .

لطمس معالم العقيدة الإسلامية، واستئصالها من جذورها، وإحلال فلسفاتهم ومذاهبهم محلها كبديل صالح للحياة المعاصرة، كما سبق أن وضحنا .

ولم يكن الشعراء بمعزل عن تلك المعارك الدائرة في مختلف أقطار الأمة العربية والإسلامية، فقد أدركوا غايات المستعمرين، وأحسوا بجهامة الخطر المحدق بأمتهم؛ فشرعوا يبصرون أبناءها بذلك الخطر، حاملين لواء الجهاد بالكلمة، منددين بالاستعمار، مصورين فظائعه، مشعلين الثورة في حنايا أبناء أمتهم ضد المستعمرين، ناشدين الحرية لإخوانهم المتضررين من ويلاتهم .

وشاعرنا واحد من أولئك الشعراء الذين أدركوا الخطر وحجمه، فشرع ـ منذ البدايات ـ يدعو أبناء أمته إلى الجهاد؛ دفاعاً عن أراضيهم، وعقيدتهم، وحرماتهم .

وقد سلك شاعرنا في دعوته للجهاد مسالك شتى: فتارة يعرض لنا صوراً دامية تحمل لنا ـ بصدق ـ ما يعانيه بعض أبناء أمتنا على أيدي المستعمرين؛ وذلك لإشعال نار الثورة في حنايا أبناء أمته القاعدين عن خوض غمار الحرب، ودفعهم إلى مشاركة إخوانهم في جهادهم لأعدائهم .

وتارة يتوجه إليهم باللوم والتقريع على تقاعسهم عن الجهاد، مطالباً إياهم بالتخلي عن آمالهم في بلوغ ما يطمحون إليه عبر الطرق السلمية، مؤكداً لهم أنه لا خلاص لهم إلا عن طريق الجهاد .

ثم نراه في بعض شعره يدعوهم إلى الجهاد، ويحثهم عليه في صورة مباشرة، مؤكداً لهم أن العصر ومنطقه يفرض عليهم ذلك .

وعندما ينتفض بعض أبناء أمته الواقعين تحت نير الاستعمار معلنين الجهاد، حاملين السلاح والإرادة، مزودين بإيمانهم با لله، واثقين من نصره لهم، طالبين من أراضيهم أن تقبل منهم أغلى ما يملكون: أرواحهم ودماءهم، وبقايا أجسادهم المتناثرة ؛ كي تغسل تلك الأدناس العالقة بها ـ نجده يشد على أيديهم، رافعاً من روحهم المعنوية، محفزاً إياهم على المضي قدماً في طريق الجهاد المقدس، ثم محتفلاً ببعض الانتصارات التي حققوها في مختلف الأقطار الإسلامية .

يقول السنوسي واصفاً ما يعانيه بعض أبناء أمته على أيدي المستعمرين(١) :

هُنَاكَ فَوْقَ ذُرَى (الأُورَاسِ) مَعْرَكَـةٌ
وقُودُهَا عِزَّةُ الإِسْـلَامِ والشَّـمَمِ

والنَّارُ تَلْتَهِمُ الأَرْواحَ كَاسِـحَةً
والأَرْضُ تَقْذِفُ بِالأَشْـلَاءِ والرِّمَمِ(٢)

والمسْـلِمُونَ الغَيَارَى يَبْذُلُونَ دَماً
حُرّاً يُحَـرِّرُهُمْ من رِبْقَةِ الغَشَـمِ(٣)

شَـبَابُهُمْ وصَبَايَاهُمْ وصِبْيَتُهُمْ
في الرِّيْفِ والسِّيْفِ والآكَامِ والقِمَمِ(٤)

يَسْـتَقْبِلُونَ المَنَايَا في مُثَابَرَةٍ
ذَوْداً عن الدِّيْنِ والأَعْرَاضِ والحُـرمِ

والثُّكْلُ واليُتْمُ والبَأْسَـاءُ قَائِمَةٌ
في كُلِّ بَيْتٍ على السُّـكَّانِ مُنْهَدِمِ

عَارِيْنَ إِلَّا من الإِيْمَانِ يُشْـعِلُهُمْ
حَمِيَّةً في صِرَاعِ الظُّلْمِ والظُّـلَمِ

ويلتفت إلى أمته ـ بعد عرضه لتلك المشاهد الدامية ـ متسائلاً عن موقفها وأبنائها إزاء ما يحدث على بعض أراضيها(٥) :

---

(١) الأعمال الكاملة ص: ٢٨٠ ـ ٢٨١ .

(٢) الرمم: العظام البالية .

(٣) ربقة الغشم : أي قبضة الظلمة الغاصبين .

(٤) السيف: ساحل البحر .

(٥) جريدة البلاد ، العدد (٧١٦١) في ١٤٠٢/١٢/٢٩هـ .

كَيْفَ أَصْبَحْتِ ومَـاذَا تَصْنَعِينْ وإلَى أيِّ مَكَـانٍ تَنْظُرِيـــنْ؟!
قَدْ تَسَاوَى الشَّرْقُ والغَرْبُ مَعَاً ماالَّذِي نَرْجُو من المُسْتَعْمِرينْ؟!

ويشتعل السؤال في عالم الشاعر، مستنكراً صمت أمته عما يحدث على بعض أراضيها من قبل المستعمرين(١) :

أُمَّتِي قَـدْ (بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبَى)(٢) وبَغَى حَتَّى على المُسْتَضْعَفِينْ
أَفَـمَـا آنَ لَـنَـا يَـا أُمَّـتِي أَنْ نَرُدَّ الصَّاعَ لِلْمُسْتَهْتِرِينْ؟

وحتى لا تفقد أمته كل أراضيها ـ وهي منتظرة تدخل هيئة الأمم ومجلس الأمن ـ نجده يدعو إلى الجهاد، ويحث أبناء أمته عليه، موضحاً لهم حقيقة العصر الذي يعيشونه(٣) :

إِنَّهُ المَنْطِقُ الأَصِيلُ لِعَصْرٍ مُسْتَرِيبٍ يَجْفُو الهُدَى والرَّشَادا
لَمْ يَعُدْ فِيهِ لِلضَّعِيفِ مَكَانٌ بَعْدَمَا أَصْبَحَ الفَضَاءُ مِهَـادا
فَإِلَيْهِ إلى الجِهَادِ فَقَدْ أَضْـ ـحَى قَرِيباً مَا كَانَ يَنأَى بُعَادا
فَإِلَيْهِ إلى الجِهَادِ فَـلا والـ ـلهِ يَمْحُو الظَّلامَ إِلاَّ الجِهَـادا

ويواصل دعوته إلى الجهاد، حاثاً أبناء أمته على التضحية بأرواحهم، فداء لأوطانهم، وحفاظاً على حرماتهم وأعراضهم من دنس المستعمر ورجسه .

نقف على ذلك في قوله(٤) :

يَا أَخِي يا أَخَا العُرُوبَةِ والإسْـ ـلامِ قُمْ نَنْفُضُ الأَسَى والحِدَادا
قُمْ بِنَا نَكْتُبُ البُطُولَةَ بِالدَّمْـ ـمِ زَكِيًّا فَقَدْ سَئِمْنَا المِدَادا

---

(١) المصدر نفسه، في ١٤٠٢/١٢/٢٩هـ .

(٢) بلغ السيل الزبى: مثل عربي يضرب لمن جاوز الحد، انظر ذلك في مجمع الأمثال للميداني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج (١) ط (٢) ١٣٧٩هـ ـ ١٩٥٩م، مطبعة السعادة بمصر، ص: ٩١.

(٣) الأعمال الكاملة ص: ٤٩٣ .

(٤) المصدر السابق ص: ٤٩٠ .

ثم نراه يوجه أبناء أمته إلى جهاد أعدائهم؛ ليجددوا عزة الإسلام، مسترشدين في جهادهم بهدى القرآن الكريم(١) :

هُزُّوا الجَزِيرَةَ من أَرْكَانِهَا حَـــرَدَاً
وأَشْعِلُوا الشَّرْقَ من أَقْطَارِهِ غَـضَـبَا
ذَوْدَاً عن الحَقِّ إِيْمَانَاً بِقُـــوَّتِـــــهِ
من غَالَبَ الحَقَّ عُــدْوَانَاً بِهِ غُـلِـبَا
واسْتَرْشِدُوا بِهُدَى القُرْآنِ تُنْجِدُكُمْ
عَـزَائِمٌ صُـرِعَ البَاغِي بِهَا وكَـبَا
وجَدِّدُوا عِزَّةَ الإِسْـــــــلَامِ إِنَّ لَهُ
في جِـيــدِ كُلِّ عَظِيمٍ مِنَّةً وحِبَا(٢)
إِنَّ الحَيَاةَ جِهَادٌ والجَدِيــــــرُ بِهَا
مَنْ غَالَبَ العَاصِفَاتِ الهُوجَ والنُّوَبَا

وعندما تثور بعض أراضي أمته علـى مغتصبيهـا، يبـارك شـاعرنا تلـك الثـورة، ويحتفل بما تمخض عنها من انتصارات .

من ذلك قوله واصفاً ثورة أبناء الجزائر على أعدائهم(٣) :

تَـفَـجَّـرَ وادِيــهَـا وفَاضَتْ جِبَالُهَا
ودَمْدَمَ بِالْمَوْتِ الزُّؤَامِ سَـــــــحَابُ
وصَاغَتْ من (النِّيرِ) الفَرَنْسِيِّ صَارِماً
عَنَتْ مِنْهُ (لِلْمُسْــتَعْمِرِينَ) رِقَابُ(٤)

(١) المصدر السابق ص: ١١١ .
(٢) حبا: الحِب: القرط من حبة واحدة .
(٣) الأعمال الكاملة ص: ١٨٨ - ١٨٩ .
(٤) عنت : ذلّت وخضعت والنير: الخشبة التي تكون على عنق الثور بأداتها .

ويواصل وصفه لتلك الثورة محتفلاً بما أسفر عنها من نصر مؤزر لأبناء الجزائر على أعدائهم[(١)] :

تَصَدَّعَتِ الأَسْوارُ وانْـدَكَّ حَاجِزٌ
وَمُزِّقَ من ذَاكَ السِّـتَارِ حِجَابُ
مَشَيْنَا على الأَلْغَامِ والشَّوْكِ واللَّظَى
وقِدْماً سَرَيْنَا والسُّيُوفُ رِكَابُ
وَهَبَّتْ على أَرْواحِنَا ونُفُوسِنَا
نَسَائِمُ من فَجْرِ الخَلَاصِ رِطَابُ
وَبَشَّتْ لَنَا الدُّنْيَا نَـدًى وَتَهَلَّلَتْ
وضَاقَتْ بِأَقْدَامِ اللُّصُوصِ رِحَابُ

٦ ـ الشعر المتصل بالدعوة إلى الوحدة العربية والإسلامية:

الوحدة العربية والإسلامية حلم استوطن أعماق الشعراء المسلمين، وأمل طالما تطلعت إليه أبصارهم، وهم يرون أمجادهم التي شادها آباؤهم وأجدادهم تتهاوى على مرأى منهم ومسمع، بينما يغص أحفاد أولئك الأبطال في سبات عميق، متمادين في إشعال نار الفرقة بانقساماتهم، حتى أضحوا بدداً بعد طول اجتماع، وأمست بلدانهم نهباً لكل من هب ودب، وقد كانوا أولي عزة ومنعة .

ومما ساعد على تعميق ذلك الإحساس في عالم الشعراء الوجداني، وحفزهم على الإلحاح في دعوتهم لتلك الوحدة ــ هبوب العواصف المدمرة التي اجتاحت الكثير من الأمصار الإسلامية، والمتمثلة في الحملات الاستعمارية الشرسة من قبل الغرب على العالم الإسلامي .

---

(١) الأعمال الكاملة ص: ١٩٤ ـ ١٩٥ .

ولو نظرنا إلى الشعر العربي الذي احتفل بهـذه الدعـوة، نجـد الشـعراء فيـه قـد انقسموا إلى قسمين: منهـم « من يريدها جامعة العروبة الشاملة لكل من ينطق بلسان عربي دون نظر إلى دين أو طائفة أو مذهب، وإنما تكون هذه الجامعـة مـن مجموعـة الأمم التي تضمها وحدة اللسان والجنس والعادات والتقاليد، وهي بهذا المعنـى أعـم من الجامعة الإسلامية التي تضم كل من شهد أن (لا إله إلا ا لله وأن محمـداً رسـول ا لله) فيدخل في الجامعة العربيـة المسـلمون والنصـارى دون نظـر إلى تعـدد النحـل، وتشعب المذاهب، واختلاف الطوائف، وهي أخص من الجامعة الإسلامية من ناحيـة أخرى؛ لأنها تنفي غير قليل من الأمـم الـتي تديـن بالإسـلام وليسـت عربيـة الأصـل واللسان، كإيران وأفغانستان والهند وكردستان وتركية وباكستان ومعتنقي الإسـلام عامة في أوروبا وفي غيرها ... »[١] .

وواضـح مـن خـلال هـذا التقسـيم خطـر مـا يصبـو إليـه شـعراء القسـم الأول وخطؤه، فهم ينظرون إلى اللغة وحدها كأساس تقوم عليه تلك الوحدة، دون اعتبار للدين الذي هو أساس الوحـدة المرجـوة . وتلـك الدعـوة إلى عـدم اعتبـار الديـن في مفهوم الوحدة دعوة جاهلية ، عمل على غرسها في نفوس الداعين إليها أعداء ديننـا الإسلامي الحنيف، والكارهون لوحدة أمتنا الإسلامية المرجوة، وذلك « لأنهـا تقـوم على الرابطة اللغوية فتخـرج المسـلمين مـن غـير العـرب وتدخـل غـير المسـلمين مـن العرب، وفي هذا توجيه مباشر للبحث عن انتماء مضاد يحول المسـلمين إلى طوائـف متناحرة »[٢].

وشاعرنا واحد من أولئك الشعراء الذيـن رأوا ضـرورة الوحـدة، ولـن أجـانب

---

(١) معروف الرصافي، دراسة ادبية لشاعر العراق وبيئته السياسية والاجتماعيـة،، د. بـدوي طبانـة، ط (٢) ص: ١٤٤ .

(٢) النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر ص: ٢٧٥ - ٢٧٦ .

الصواب إذا ما قلت: إنها كانت همه الأكبر؛ لإحساسه بالخطر المحدق بأمته الإسلامية، ولإدراكه المبني على نظرة ثاقبة أنه لا أمل يرجى للمسلمين في استعادة أمجادهم إلا عن طريقها .

وهو في دعوته إلى تلك الوحدة نراه أكثر إلحاحاً على الوحدة العربية لا على أساس قومي؛ بل لإحساسه العميق بأن تحقق تلك الوحدة في العالم العربي أولاً سيؤدي ـ حتماً ـ إلى الوحدة الإسلامية المنشودة؛ لأنها ـ في نظره ـ الأساس الذي سينبني عليه صرح الأمة .

وهذا الإحساس المتنامي في عالم شاعرنا الوجداني لم يأت من فراغ، وإنما ولّدته وساعدت على تضخمه عدة أمور يضطلع بها عالمه العربي المترامي الأطراف، فهو قلب العالم الإسلامي النابض، وإليه يتجه روحياً ودينياً، وإليه ينظر كمهد للإسلام، ومشرق لنوره، ومعقل للإنسانية، وموضع للقيادة العالمية[١] .

والذي ساعدنا على التأكيد بأن دعوته إلى الوحدة العربية لا تمت إلى القومية بصلة؛ موقف بلاده العدائي من تلك الدعوة التي تنادي بالوحدة العربية لاعلى أساس ديني، فقد عملت ـ منذ البدايات ـ « على صب الإسلام في العروبة، ورفضت أن تبحث الأمور بنظرة عربية مستقلة[٢] » ، ورأى حكامها « أن الدعوة إلى العربية فرع من الدعوة الإسلامية، وأن الاقتصار على فكرة (العروبة) عصبية جاهلية نهى الشرع عنها[٣] ».

ولعل المتأمل في شعر السنوسي الذي دعا فيه أبناء أمته إلى ضرورة الوحدة،

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، ط (٩) عام ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٣م، ص: ٢٩٧ ـ ٢٩٨ «بتصرف» .

(٢) الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، د. بكري شيخ أمين، ط (٥) عام ١٩٨٦هـ، ص: ٣٣٠ .

(٣) المرجع السابق ص: ٣٣١ .

يقف على ما سبق أن أكدناه .

فهو في دعوته إلى الوحدة العربية لم يغفل الوحدة الإسلامية، فهما عنده متلازمتان، وخير ما يؤكد ذلك قوله(١) :

وما العُرُوبَةُ والإِسْلَامُ إِنْ نَظَرَتْ
عَيْنَاكَ إِلاَّ سَنَا وَجْهٍ لِدِيْنَارِ

وعندما يتوجه إلى أبناء أمته العربية حاثاً إياهم على الوحدة، لا ينظر إلى اللغة وحدها كرابط وأساس لتلك الوحدة، وإنما يدخل معها الدين باعتباره الموحد لشملها .

نقف على ذلك في قوله(٢) :

يا أَيُّهَا العَرَبُ الكِرَامُ تَكَتَّلُوا — صَفّاً بِوَجْهِ الحَادِثَاتِ مَتِيْنَا
جَمَعَتْكُمُ الفُصْحَى وَوَحَّدَ شَمْلَكُمْ — دِيْنٌ أَضَاءَ العَالَمِيْنَ قُرُونَا
فَتَأَهَّبُوا لِلْحَادِثَاتِ وَبَدِّدُوا — رِيَباً تَحُومُ إِزَاءَكُمْ وظُنُونَا
وخُذُوا الطَّرِيقَ على البُغَاةِ وحَاذِرُوا — أُذْنَاً وَرَاءَ حَدِيْثِكُمْ وعُيُونَا

وقد انتهج شاعرنا في دعوته للوحدة عدة وسائل، فتارة ييمم وجهه شطر تاريخنا الإسلامي المليء بالتضحيات والبطولات، فينقل لنا صوراً حية نابضة، تحكي لنا بصدق أمجاد وبطولات أمتنا الإسلامية التي تحققت على أيدي أبطال الإسلام الأفذاذ، الذين اعتصموا بحبل الله ولم يتفرقوا، فتمكنوا بسبب ذلك من دك أسوار الظلم والطغيان الذي كان متفشياً في المعمورة قبل نزول خاتمة الرسالات حاثاً - عن طريق عرضه لتلك الصور الزاهية - أحفاد أولئك الأبطال على اقتفاء آثارهم، والسير على منوالهم؛ لما في ذلك من خير للإسلام والمسلمين في شتى بقاع العالم .

وتارة يعمد إلى الحاضر الأليم، فيعلن حزنه وألمه وشكواه من الحالة التي آلت

---

(١) الأعمال الكاملة : ص، ٣١٢

(٢) شعراء الجنوب ، ص١٠٥

إليها أمتنا الإسلامية من أقصاها إلى أقصاها .

ثم نراه يدعو إليها في صورة مباشرة، ويرسم صورة مستقبلية لحال أمته في ظل وحدتها .

ومن شواهد دعوته الضمنية للوحدة العربية والإسلامية، قوله مشيداً بوحدة المسلمين، وبالانتصارات التي تحققت في ظلها مع قلة عددهم وعدتهم آنذاك[1] :

إِخْوَانُ صِدْقٍ لِغَيْرِ اللهِ ما سَجَدُوا
ولا اسْتَكَانُوا ولا مَدُّوا يداً لِيَدِ

مُهَاجِرُونَ وأَنْصَارٌ يَقُودُهُمُ
(مُحَمَّدٌ) لِلْعلَى والمجْدِ في صَعَدِ

فَيالِقٌ في سَبِيْلِ اللهِ خَافِقَةٌ
أَعْلامُهَا الغُرُّ في سَهْلٍ وفي نَجْدِ

تَدْعُو إِلَى الحَقِّ في سِرٍّ وفي عَلَنٍ
في قُوَّةٍ تَتَحَدَّى كُلَّ ذِي صَيَدِ

حَتَّى أَضَاءَ الهُدَى في الأَرْضِ وانْطَلَقَتْ
شُعُوبُها من هَوَى طَاغٍ ومُضْطَهِدِ

وزَلْزَلُوا عَرْشَ (كِسْرَى) في ضَخَامَتِهِ الـ
ـكُبْرى بِإِيْمَانِهِمْ لا كَثْرَةِ العَدَدِ

فشاعرنا في هذه الأبيات، يقدم لنا صورة زاهية، من صور ماضي أمته في ظل الوحدة التي كانت تعيشها، واعتصام أبنائها بتعاليم دينهم الحنيف وتمسكهم به، غير آبهين بقلة عددهم، منازلين أعتى قوى الأرض في سبيل نشر تعاليم الرسالة الإسلامية الخالدة .

(١) الأعمال الكاملة ص: ٥١٩ ـ ٥٢٠ .

ولعل السنوسي ـ عن طريق هذا الاستلهام لماضي أمته ـ يرغب في تبصير أمته وأبنائها بما يتوجب عليهم عمله حتى تتم لهم تلك الوحدة، وتحقيق ما يطمحون إليه في ظلها؛ ولهذا نراه يوجه أمته إلى محاسبة نفسها، والتمسك بتعاليم الدين الإسلامي، حتى يكون أساس وحدتها المنشودة متيناً وقوياً .

نلمس ذلك في قوله مخاطباً أمته[1] :

حَاسِبِي النَّفْسَ وعُودِي لِلْهُدَى ... واحْسُمِي شَأْنَكِ بِالجِدِّ الرَّصِينْ

وخُذِي أَمْرَكِ جِدّاً خَالِصاً ... واقْطَعِي الشَّكَّ بِآيَاتِ اليَقِينْ

ضَحِكَاتُ الأَمْسِ عَادَتْ أَدْمُعاً ... والأَهَازِيجُ بُكَاءٌ وأَنِينْ

سُنَّةُ الأَيَّامِ صَحْوٌ وكَرَى ... فَلِمَاذَا نَحْنُ دَوْماً نَائِمِينْ؟

وعندما يلتفت إلى حاضر أمته، ويقف على حالها فيه، يعزو ذلك إلى تفرق أبنائها، واستملاحهم لحياة الذل والهوان في قوله[2] :

بَرَدَتْ فِي دِمَائِهِمْ نَخْوَةُ العِزِّ ... ومَاتَتْ تِلْكَ السَّجَايَا الحَرَائِرْ

فَهُمُ القَوْمُ عُدَّةً وعَدِيداً ... لَوْ تَصَافَتْ قُلُوبُهُمْ والسَّرَائِرْ

ويؤكد دور الفرقة والشتات في ذهاب قوة أمته وأمجادها بقوله[3] :

يَا لَقَوْمِي من طُغْمَةٍ حَارَبَتْنَا ... بانقِسَامَاتِنَا أَذًى ورَكِيَادَا

ولِأَهْلِي من نَكْسَةٍ في حُزَيْرَا ... نَ أَنَاطَتْ بِعَارِضَيْنَا السَّوَادَا

---

(١) جريدة البلاد، العدد (٧١٦١) في ١٤٠٢/١٢/٢٩هـ .

(٢) الأعمال الكاملة ص: ٤٨٢ .

(٣) المصدر السابق ص: ٤٨٩ .

ثم يدعو إلى الوحدة في صورة مباشرة، ويحذر من تمادي الفرقة، مبيناً ما يترتب عليها من عواقب وخيمة في قوله[١] :

وَاليَأْسُ أَقْتَلُ دَاءٍ دَبَّ فِي أُمَمٍ
تَعَاوَرَتْهَا اللَّيَالِي فَانْثَنَتْ نَصَبَا

فَاسْتَشْعِرُوا العَزْمَ وَامْضُوا رَافِعِينَ بِهِ
لِوَاءَكُمْ فِي مَجَالِ البَأْسِ مُنْتَصِبَا

فَإِنَّ مِنْ أَحْكَمِ الأَقْوَالِ تَجْرِبَةً
(أُعِدَّتِ الرَّاحَةُ الكُبْرَى لِمَنْ تَعِبَا)[٢]

وَإِنَّ أَبْلَغَ مَا تُمْنَى بِهِ فِئَةٌ
وُقُوفُهَا ضِدَّ طُغْيَانِ العِدَا شُعَبَا

ويؤكد علو المسلمين في ظل اتحادهم واعتصامهم بحبل الله بقوله[٣] :

وَلَمْ تَزَلْ عُرْوَةُ الإِسْلَامِ جَامِعَةً
(كَالجَاذِبِيَّةِ) لِلأَرْوَاحِ تَعْتَلِقُ

وَالمُسْلِمُونَ هُمُ الأَعْلَوْنَ مَا اعْتَصَمُوا
بِاللهِ وَاتَّحَدُوا فِي الرَّأْيِ وَاتَّفَقُوا

---

(١) المصدر السابق ص: ١١٢ .

(٢) تضمين لصدر بيت للشاعر أحمد شوقي، انظر الشوقيات، ١/٧٦، دار الفكر، والبيت بكامله:

أعدت الراحة الكبرى لمن تعبا   وفاز بالحق من لم يأله طلبا

(٣) مجلة المنهل، المجلد (١٥) ربيع الأول ١٣٧٤ هـ، ص: ١٢٠ .

ويرسم صورة مستقبلية لأمته، في ظل وحدتها المنشودة ، واعتصام أبنائها بحبل الله جميعاً في قوله:

وإِذَا المُسْلِمونَ هَبُّوا جَمِيعًا … من قَصِيٍّ مـن البِلَادِ ودَانِ

وغَدُوْا غَدْوَةَ الغَيورِينَ لِلْحَقِّ وحُفُّوا بِرَايَةِ القُرْآنِ

أَقْبَلَ النَّصْرُ مُشْرِقًا وعَلَيْهِمْ … من رِضَى اللهِ بَسْمَةُ الرِّضْوَانِ[1]

---

(١) الأعمال الكاملة ص: ٥٧٠ .

الفصل الثالث

معاني الشعر الإسلامي

المبحث الأول

المعاني والأفكار

المعاني والأفكار

المعاني والأفكار هي روح الأدب ومادته الأولى ، وأي أدب يخلو من هذا العنصر المهم ، فهو كلام ساقط لا يعتد به ، ولا ينظر إليه ، مهما بالغ الأديب في تزويقه وبهرجته .

ويبلغ العمل الأدبي - شعرًا كان أو نثرًا - الذروة ؛ إن وفق مبدعه في المواءمة بين معانيه السامية وألفاظه ، مع مزجه بين تلك الأفكار وعاطفته ؛ لأن ذلك المزج من شأنه أن يكتب لأدب ذلك الأديب الحياة والخلود في ضمائر الناس ووجداناتهم.

ولوعدنا بعد هذه الإلمامة - التي أكدنا فيها أهمية المعاني والأفكار في العمل الأدبي - إلى المعاني والأفكار التي دار حولها أغلب شعر شاعرنا الإسلامي ، لوجدناها معانيَ سامية ، تستمد ذلك السمو من الموضوعات التي دارت حولها ، ومن الينابيع الثرة التي استقى شاعرنا منها معظم معانيه .

ويأتي في مقدمة تلك المعاني التأكيد على أهمية العقيدة الإسلامية ، وبيان أثرها في الحياة والأحياء ، والدفاع عنها أمام كل من حاول النيل منها ، ومحاولة بعث معالمها في نفوس معتنقيها ، وإحيائها في نفوسهم من جديد .

كما اهتم بتبرئة الإسلام من الدعاوي التي يرددها خصومه ، والإشادة به وبقيمه ومثله العليا التي أرسى دعائمها في الأرض ، وبالدعوة الجادة إلى اعتناقه ؛ لأنه دين الحق ، والعدل ، والمساواة ، والنظام الشامل الصالح لكل زمان ومكان .

واهتم - أيضًا - بدعوة المسلمين إلى الوحدة ، وحثهم على الجهاد ؛ أملاً في استعادة أمته الإسلامية لمكانتها السابقة ، التي كانت عليها في عهد رسول الله - ﷺ - وصحابته الكرام ، وقادة الإسلام المخلصين .

كما اهتم بتدعيم السلوك الإسلامي ، من خلال وقفته مع بعض الأدواء

المتناثرة على سطح الحياة في مجتمعه ، ودعوته إلى التمسك بالأخلاق الإسلامية الحميدة ، ونبذ ما يتنافى معها. وحث على طلب العلم ، وبين أثره في حضارة البشرية وتقدمها ، لأنه من نعم الله الكثيرة على عباده إن أحسن استغلاله وتوجيهه إلى خير وسعادة الإنسانية جمعاء .

وهناك قضايا عصرية وقف عندها السنوسي طويلاً ، وأهمها قضية السلام ، فقد تحدث عنه في صدق وبراعة ؛ لكونه مطلباً ضرورياً في حياة غصت بألوان الدمار ، والتشرد والضياع ، تهفو إليه نفوس الناس في كل مكان ، وتتحراه أحداقهم العطشى.

ومن شواهد ذلك قوله[1] :

رَبِّ يَا رَبِّ إنَّ شَعْبَ فِلَسْطِيـ ـنَ سَجِينٌ ولاَجِىءٌ وشَرِيدُ
وهْوَ يَرْنُو إلى السَّلامِ بِعَيْنٍ قرَّحَتْهَا الوُعُودُ والتَّرْدِيدُ
عَطِشَ الناسُ لِلسَّلاَمِ ومَازَا لُوا عِطَاشَاً فَهَلْ إليهِ ورُودُ
آهِ لَوْ يَخْفِقُ السَّلامُ على الأَرْ ضِ وتُلْغَى من جَانِبَيْهَا الحُدُودُ

وأهم ما يميز معاني وأفكار السنوسي في شعره الإسلامي - بالإضافة إلى سموها وجلالها - وضوحها ، وامتزاجها بأحاسيسه ومشاعره . وخير ما يؤكد ذلك قوله مشيداً بالدين الإسلامي ، والقيم والمبادىء التي أرسى دعائمها في الأرض ، معرضاً بالمذاهب والفلسفات الغربية والمروجين لها[2] :

إنَّ دِينَ الإسْلامِ دِينُ المُسَاوَا ةِ ودِينُ السَّلامِ وهْوَ الوَدُودُ
لَيْسَ في شَرْعِهِ التَّعَصُّبُ لِلْجِنْـ ـسِ ولاَ اللَّونِ وهْوَ شَرْعٌ فَرِيدُ
يَلْتَقِي النَّاسُ فِيهِ شَرْقَاً وغَرْبَاً سَادَةٌ في ظِلَالِهِ وعَبِيدُ

---

(١) جريدة البلاد ، العدد (٧١٧٩) في ٢٠ / ١/٣/١٤٠٣هـ .

(٢) جريدةالبلاد ، العدد (٧١٧٩) في ٢٠ /١/ ١٤٠٣هـ

فِي تَعَالِيمِهِ هُدَى النَّفْسِ تَسْمُو بِسَنَاهُ نَوَازِعًا وتَسُودُ

وهو كذلك دليل على رحمة الله بعباده ، لا كما يراه الماركسيون بأنه أفيون الشعوب[1] :

فالدِّينُ ظِلُّ اللهِ في مَلَكُوتِهِ واللهُ بالإنْسَانِ جِدُّ رَؤُوفِ

مَنْ قَالَ إنَّ الدِّينَ أَفْيونُ الوَرَى فَهْوَ الشَّقِيُّ بِعَقْلِهِ المَخْطُوفِ

ويؤكد أهمية الدين في الحياة ، ويبين حاجة الإنسانية له ، بقوله[2] :

هُوَ الزِّمَامُ وما الإنْسَانُ لَيْسَ لَهُ

دِيْنٌ سِوَى حَيَوان سَائِبٍ سَرِبِ

وَسَوْفَ يَبْقَى هُدَى الإِسْلَامِ مُنْتَصِراً

على الطَّواغِيْتِ والإِلْحَادِ والرِّيَبِ

وكُلُّ إفْكٍ وبُهْتَانٍ يُرَادُ بِهِ

مَحْوَ الحَقِيْقَةِ لا يَنْجو من العَطَبِ

فالأفكار والمعاني التي حملتها لنا الأبيات السابقة جليلة وسامية ، وهي بالإضافة إلى ذلك واضحة وجلية ، وفي ذلك دليل على أن تلك الأفكار قد أخذت منه كيانه كشاعر يحس ويتفاعل ، فهي قد ملأت عليه وجدانه وخلجاته ، فأتى عليها من جميع أطرافها بعد أن حدد دائرتها ، وغاص في أعماقها .

ولعلنا لا نجانب الصواب إن قلنا: إن جميع المعاني التي دار حولها شعر شاعرنا الإسلامي ــ معاني مطروقة، حيث سبق للشعراء تناولها ، سواء الذين عاصروا الشاعر، أو الذين سبقوه بمراحل زمنية ، قريبة كانت أو

(١) الأعمال الكاملة : ص ٧٠٦ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٥٣١ .

بعيدة، وإنما يتفاوت الشعراء في الإحساس بتلك المعاني ، والتفاعل معها ، كما يتفاوتون في كيفية أدائها، وفي طرقهم في التعبير عنها .

وذلك التفاوت بين الشعراء هو الذي يدفعنا إلى الإعجاب والتفاعل مع شاعر دون الآخر، وهذا ما ستفصح عنه دراستي لأسلوب الشاعر ، ومظاهر صدقه الفني والشعوري فيها .

ونحن إن أمعنا النظر في المعاني التي دار حولها شعر شاعرنا ـ لوقفنا على تأثره العميق ـ في أغلبها ـ بالقرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، والسيرة النبوية ، وتاريخنا الإسلامي الخالد .

وسنحاول في الصفحات التالية الوقوف على أهم تلك المعاني، والمصادر التي استمدها واستوحاها منها.

أولاً : استيحاء بعض معاني القرآن الكريم:

استمد السنوسي كثيراً من معانيه التي حرص على توصيلها للمتلقي المعاصر من القرآن الكريم ، والقرآن الكريم كما لا يخفى معين لا ينضب للمعاني الجليلة السامية .

ونحن إن أمعنا النظر في تلك المعاني القرآنية التي ضمنها في شعره ـ نجدها كثيرة ومتشعبة ، وحتى يتسنى لنا الإلمام ببعضها رأينا تناولها في أطر ونقاط محددة ، تبلغنا الغاية ، وتفي بالغرض .

أولاً : الاستمداد من القرآن الكريم في تأمل آلاء الله في الكون :

وقف السنوسي وقفات أمام بعض المظاهر الكونية لا سيما الطبيعة ، فشدهه جمالها ، وفتنه حسن تنسيقها ، وامتزج ذلك الجمال الموحي بعظمة وابداع صانعه بوجدانه المفطور على عشق الجمال ، فوصف تلك المشاهد فأجاد وأبدع . وقد قاده ذلك الجمال الآسر ـ في نهاية المطاف ـ إلى مبدعه وخالقه .

نلمس ذلك في وقفته أمام جبل فيفاء وقد زاحم النيرات بمنكبه الضخم ، وازدحمت أرجاؤه بكل ألوان الجمال ، حيث يقول[١] :

مُتْحَفٌ من أَشِــــعَّةٍ وظِلَالِ في إِطَارٍ من نُضْرَةٍ واخْضِلَالِ
سَابِحٌ في الفَضَاءِ يَغْمُـرُهُ النَّوْ رُ بِفَيْضٍ من السَّـنَا والجَلَالِ
يَتَحَدَّى الذُّرَى ويَخْتَرِقُ السُّحْـ بَ ويَزْهُو في عِـزَّةٍ واخْتِيَالِ
صَـنْعَةُ المُبْدِعِ المُصَوِّرِ جَـلَّ الـ ـلَّهُ رَبِّي رَبُّ العُلَا والكَمَالِ

وفي وصفه للأرض وقد كساها الربيع من حلله القشيبة ؛ فأضحت بذلك مصدر سعادة وأنس دائمين لبني البشر :

والأَرْضُ في حُلَلِ الرَّبِيْعِ ورَوْضَةٌ تَلْقَاكَ شَــاعِرَةً تَهُزُّ الأَبْكَمَا[٢]
فَتَّانَةُ القَسَــمَاتِ تَحْسبُ أَنَّها نُقِلَتْ من الفِرْدَوسِ رَسْمًا مُحْكَمَا
تَلْقَاكَ في نَفَحَـــاتِها ونَبَاتِها فَنًّا إِلَهِيَّ الخُطُوطِ مُنَظَّمَـــا[٣]

وفي انبهاره بجمال مدينة فيفاء ، حيث يقول[٤] :

إِنَّهُ فَــــوْقَ بَيَانِي جَلَّ مَنْ أَبْدَعَ فَنَّـــهْ
كُلُّ شَيْءٍ فِيْكِ حُلْوٌ أَنْتِ يا فَيْفَاءُ جَنَّـةْ

هذه النماذج ـ التي امتزج فيها جمال الطبيعة بوجدان الشاعر ـ تشهد بوحدانية وعظمة خالقها ، وقد صدقت ذلك الآيات القرآنية التي استهدى بها الشاعر في نظرته إلى ذلك الجمال ، ومن تلك الآيات ، قوله تعالى : ﴿هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في

---

(١) الأعمال الكاملة ص،٣٤٠ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٠٦ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٦٠٦ – ٦٠٧ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٤٠٠ .

السَّـمَاواتِ والأَرْضِ وَهُـوَ العَزِيـزُ الحَكِيْـمُ﴾[١]، وقولـه تعـالى: ﴿ بَدِيـعُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وَإِذَا قَضَـى أَمْرًا فَإِنَّمَـا يَقُـولُ لَـهُ كُـنْ فَيَكُـونُ ﴾[٢] .

وهناك شواهد شعرية تؤكد استمداده من القرآن الكريم ما يوحي بعظمة الخالق - جل شأنه - من خلال آياته المبثوثة في الكون ومنها قوله[٣] :

جَلَّ مَنْ سَخَّرَ الرِّيَاحَ فَسَارَتْ   تَتَهَادَى رَخِيَّةً بِالسَّفَائِنْ
وأَفَاضَ الحَيَا فَأَحْيَا مَوَاتًا   وأَهَالَ الرُّبَى فَسَالَتْ مَعَادِنْ
كُلَّمَا فِي السَّمَاءِ والأَرْضِ مَبْسُو   طٌ لِمَنْ يَتَّقِي ويَخْشَى المَلَاعِنْ

فهذه الأبيات الموحية بعظمة الخالق مستمدة من آيات القرآن الكريم الكثيرة التي أكدت كل ذلك في مواضع متعددة ، منها قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ واخْتِلَافِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ والفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي البَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ ، وما أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ والسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[٤] .

ثانيًا : استمداده من القرآن الكريم ما يؤكد قضاء الله وقدره:

الإيمان بقضاء الله وقدره واحد من الأسس التي تقوم عليها عقيدتنا الإسلامية ، والآيات التي تدعو إليه كثيرة ، وهي بالإضافة إلى كثرتها متنوعة ؛ لأنها تخدم موضوعات عدة تهم الإنسان في دنياه ، وتوصله إلى رضا الله في آخرته .

وقد استمد السنوسي في دعوته إلى الإيمان بقضاء الله وقدره شيئاً من آي

---

(١) سورة الحشر ، الآية : ٢٤ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١١٧

(٣) الأعمال الكاملة : ص ٥٤٨ - ٥٤٩ .

(٤) سورة البقرة ، الآية : ١٦٤ .

الذكر الحكيم ، خاصة في مجال الرزق الذي يعد من أهم الأسباب في نشوء بعض الفلسفات والمذاهب الإلحادية في عالمنا المعاصر ، نلمس ذلك في قوله(١) :

يا هُمُومَ الحَيَاةِ إنَّ فُؤَادِي لا يُبَالِيْكِ فَاقْصُرِي أَوْ تَمَادي
إِنَّنِي في سَكِيْنَةٍ من هُدَى الدِّيـ ـنِ ونُورُ اليَقِيْنِ ذُخْرِي وزَادِي
كَتَبَ اللهُ لي حَيَاتِي ورِزْقِي فَتَنَحَّي يا فَلْسَفَاتِ العِبَادِ

وفي قوله(٢) :

وثِقْ أَنَّ مَنْ أَعْطَى الحَيَاةَ جَمَالَهَا وأَقْواتَهَا لَمْ يُهْمِلِ الدُّودَ والنَّمْلا

فهذه الشواهد تدور حول إيمان الشاعر بقضاء الله وقدره ، خاصة في مجال الرزق ، وعلنا لا نجاوز الصواب إن قلنا : إن تلك الشواهد بما حملته من معاني مستمدة من قول الله تعالى : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾(٣) وقوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا ، وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِيْنٍ ﴾(٤) .

ثالثاً : استمداده من القرآن الكريم ما يؤكد اليوم الآخر:

الإيمان باليوم الآخر من أهم أسس العقيدة الإسلامية، وخير ما يدل على ذلك أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد قرنه بالإيمان به في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ البِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ ولَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ واليَوْمِ الآخِرِ ...﴾(٥) .

والقرآن الكريم يكثر من ذكره ، ويسميه أسماء متعددة ، فهو يوم القيامة ، والبعث ، والساعة ، ويوم الدين ، والحساب ، والجمع ، والطامة ... الخ .

---

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٧٥٦ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٦٠ .
(٣) سورة الذاريات ، الآية : ٢٢ .
(٤) سورة هود ، الآية : ٦ .
(٥) سورة البقرة ، الآية : ١٧٧ .

ومن الشواهد الشعرية التي بدا فيها أثر القرآن واضحاً فيما يتعلق بالإيمان باليوم الآخر قوله[١] :

أَخِي إِنَّمَا الإِسْــــــلَامُ بِرٌّ ورَحْمَةٌ وعَـطْـفٌ لَهُ فِي رَاحَتَيْكَ عَبِيرُ
ودُنْيَاكَ جِسْرٌ فِي الطَّرِيْقِ إِلَى الهُدَى فَــفَـكِّرْ إِلَى مَاذَا غَدَاً سَتَصِيرُ
فَقَدِّمْ إِلَى أُخْرَاكَ ما شِــــئْتَ إِنَّهُ لَظًى جَاحِمٌ أَوْ نُضْرَةٌ وسُرُورُ

وقوله[٢] :

وأَنْتَ مُـــلَاقٍ كُلَّ شَيْءٍ عَمِلْتَهُ جَزَاءً وِفَاقاً والحِسَابُ عَسِيرُ

فالمعاني التي تدور حولها هذه الأبيات مستمدة من قول الحق ـ جل شأنه ـ : ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليمٌ خبير ﴾[٣]، ومن قوله تعالى : ﴿ وقدّموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين ﴾[٤] وقوله تعالى : ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ماسعى ، وأن سعيه سوف يُرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى ﴾[٥] .

ومما يتصل بإيمان الشاعر باليوم الآخر إيمانه بحتمية الموت وحقيقته . نلمس ذلك في قوله :

كُـلُّنَا رَائِــحٌ على المَوْتِ غَادِي وعُيونُ الـقَـضَـــــاءِ بِالمِرْصَادِ
ومَجَـــازٌ هِيَ الحَيَاةُ فَسِـــــيَّا نَ مُخِبٌّ أَوْ سَـــــائِرٌ في اتِّئَادِ
سَائِقُ الرَّكْبِ غَيْرُ نَاءٍ عن الرَّكْـ ــبِ ولا حَائِدٌ عن الرَّكْبِ حَادِي

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٥٤١ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٤٢ .
(٣) سورة لقمان . الآية : ٣٤ .
(٤) سورة البقرة . الآية : ٢٢٣ .
(٥) سورة النجم . الآية : ٣٩ - ٤١ .

سُنَّةٌ لَمْ تَدَعْ لِقَلْبِ مَرِيضٍ شُبَهًا في حَقِيقَةِ المِيْعَادِ[١]

وقوله أيضًا[٢] :

إِلَى اللهِ إِنَّا رَاجِعُونَ وكُلُّنا سَيَذْهَبُ لا فَرْدٌ سَيَبْقَى ولا جَمْعُ

فالمعاني التي تحتويها هذه الأبيات مستمدة من قوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ وإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وأُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الغُرُورِ ﴾[٣] ومن قوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾[٤].

رابعًا : استمداده لبعض قصص الأنبياء الواردة في القرآن الكريم،والإشارة لبعض معجزاتهم والأحداث التي رافقتهم .

ومن ذلك إشارته لقصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ مع قومه ، حين ألقوه في النار ؛ لتكسيره أصنامهم ، وخروجه منها سليمًا ، في قوله[٥] :

فَالنَّارُ إِبْرَاهِيمُ لَمْ يَعْبَأْ بِهَا ونَجَا سَلِيمَا

خَاضَ اللَّظَى لَمْ يَرْتَعِدْ فَرَقًا ولَمْ يَرْهَبْ خُصُومَا

كَانَتْ عَلَى إِيمَانِهِ بَرْدًا وكَانَ بِهَا كَرِيمَا

فالسنوسي يستمد هذه القصة بأحداثها من قوله تعالى : ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِيْنَ ، قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْداً وسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيْمَ ﴾[٦] .

ومن ذلك إشارته لقصة موسى ـ عليه السلام ـ مع أهله ، بعد أن أبصر ناراً

(١) شعراء الجنوب ، ص ٩٦ .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٦٠١ .

(٣) سورة آل عمران . الآية : ١٨٥ .

(٤) سورة العنكبوت . الآية : ٥٧ .

(٥) الأعمال الكاملة ، ص ٤٩٨ .

(٦) سورة الأنبياء . الآية : ٦٨ ، ٦٩ .

فطلب من أهله المكوث حتى يتسنى له المجيء منها بقبس ، ليفاجأ بالنور الإلهي . نلمس ذلك في قوله[1]:

نُورٌ على البَطْحَاءِ لَمَّاحُ الذُّرَى يَهْدِي القُرُونَ ضِيَاؤُهُ و الأَعْصُرا

آنسَتْ فِيهِ سَناً من القَبَسِ الَّذِي مُوسَى تَشَوَّفَهُ هُدىً وتَنَوَّراً

فهذه الإشارة لتلك القصة مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ، إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُم مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ على النَّارِ هُدىً ، فَلَمَّا آتَاهَا نُودِيَ يا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالوَادِ المُقَدَّسِ طُوىً ﴾[2] .

ويشير إلى قصة الرسول - ﷺ - مع قومه ، وخروجه من مكة واختبائه ورفيقه الصديق - رضي الله عنه - في الغار بقوله[3] :

نَجْمَانِ في كَنَفِ الرَّحْمَنِ مَالَهُمَا سِوَاهُ في الغَارِ لا حَامٍ ولا جَارُ

أَبْصَرْتَ أَشْبَاحَ أَقْدَامٍ وهَمْهَمَةٍ وَأَلْسُنًا تَتَنَاجَى تِلْكَ آثَارُ[4]

فَفَرَّ قَلْبُكَ من جَنْبَيْكَ مُحْتَضِنًا بَدْرًا تُغَذِّيهِ أَفْلَاكٌ وأَقْمَارُ

خَوفاً عَلَيْهِ وحِرْصًا أَنْ يُحِيطَ بِهِ من عُصْبَةِ الشَّرِّ أَوْغَادٌ وأَشْرَارُ

يا صَاحِبِي لا تَخَفْ اللهُ يَحْرُسُنَا بِلُطْفِهِ ولِلُطْفِ اللهِ أَسْرَارُ

فالإشارة التي تحتويها هذه الأبيات مستمدة من قول الله تعالى : ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وجَعَلَ كَلِمَةَ

---

(١) الأعمال الكاملة ، ص ١٥ .

(٢) سورة طه . الآية: ٩ - ١٢ .

(٣) الأعمال الكاملة ، ص ٥٣٢ - ٥٣٣ .

(٤) همهمة: الهمهمة: الكلام الخفي، وقيل: ترديد الصوت في الصدر .

الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وكَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيا واللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[١] .

ويشير إلى إحدى معجزات سيدنا عيسى - عليه السلام - في قوله مخاطبًا طبيب العيون[٢] :

فَلْتَكُنْ فِي يَدَيكَ أَسْرَارُ عِيسَى وهُـــدَاهُ ومُعْجِزَاتُ الأَمِينِ

ففي هذا البيت إشارة إلى إحدى معجزات عيسى - عليه السلام - ، وهي إبـراء الأكمه ، وقد أكدها القرآن في قوله تعالى : ﴿ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ وأُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ ...﴾[٣] .

خامسًا: استمداده لبعض الآيات الحاثة والمرغبة في الجهاد والاستشهاد في سبيل الله ، وشواهد هذا الاستمداد كثيرة في شعر السنوسي ومنهـا علـى سبيل المثـال لا الحصر قوله[٤] :

إنَّ الحَيَـــاةَ جِهَـادٌ والجَدِيرُ بِـهَا
مَنْ غَالَبَ العَاصِفَاتِ الهُوجَ والنُّوَبَا

وقوله[٥] :

فَـإِلَيْهِ إلى الجِـهَـــادِ فَلَا والـ ـــلَهِ يَمْحُو الظَّلَامَ إِلَّا الجِهَادَا

وفي قوله حاثًا على الجهاد بالمال[٦] :

أَخِي إِنَّهَا أَرْضِي وأَرْضُكَ أَشْرَقَتْ بِآبَائِنَا طُوبَى لَهُمْ ومَـــــآبُ
فَكُلُّ (رِيَالٍ) من يَدَيْكَ رَصَاصَةٌ لِكُلِّ (فَرَنْسِيٍّ) طَغَى وعَذَابُ

---

(١) سورة التوبة . الآية : ٤٠ .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٧٢١ .

(٣) سورة آل عمران . الآية : ٤٩ .

(٤) الأعمال الكاملة ، ص ١٩٦ .

(٥) المصدر نفسه : ص ٤٩٣ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ١٩٦ .

فهذه الشواهد تستمد حضورها ووجودها من الآيات القرآنية الحاثة على الجهاد ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ .. ﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[2] .

سادساً : استمداده من القرآن لبعض الآيات المرغبة في الإخوة والوحدة الإسلامية ، وعدم الاختلاف ، نلمس ذلك في قصيدته (فرحة اليمن) التي منها هذه الأبيات[3] :

يا لِلسَّلَامِ يَهُزُّ بالـ ... أَلْحَانِ أَعْطَافَ المَوَاتِ
قَرَّتْ بِهِ عَيْنًا وأَكْـ ... ـبَاداً قُلُوبُ الأُمَّهَاتِ
وتَعَانَقَ الإِخْوانُ واطَّـ ... ـرَحُوا أَكَاذِيْبَ العِدَاةِ
رفَعَوا قَضِيَّتَهُمْ عَنِ الـ ... أَهْوَاءِ فَوْقَ النَّيِّرَاتِ
وغَدَواْ إِلَى أَرْضِ النُّبُـ ... ـوَّةِ والأخُوَّةِ والهُدَاةِ
زُمَرًا إلى زُمَرٍ حَثِيـ ... ـثي السَّيرِ من كُلِّ الفِئَاتِ
وعلى رِحَابِ النُّورِ من ... أَرْضِ الهُدَى والمَكْرُمَاتِ
تَحَرَرُوا خِلَافَاتِ الهَوَى ... وسَمُوا إلى أَسْمَى الصِّفَاتِ

فالمعنى الذي تتضمنه هذه الأبيات وتدور حوله مستمد من قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[4] .

ومن شواهد دعوته إلى الوحدة الإسلامية، وتحذيره من الفرقة والاختلاف

---

(١) سورة الحج . الآية : ٧٨ .
(٢) سورة التوبة . الآية : ٤١ .
(٣) الأعمال الكاملة ، ص ٥٠٤ - ٥٠٥ .
(٤) سورة الحجرات . الآية : ١٠ .

قوله[١] :

وَلَمْ تَــــزَلْ عُرْوَةُ الإِسْلامِ جَامِعَةً
كَــالجَــاذِبِيَّــةِ لِلأَرْوَاحِ تَعْتَلِـقُ

والمُسْلِمُونَ هُمُ الأَعْلَوْنَ ما اعْتَصَمُوا
بِــا للهِ واتَّحَــدُوا في الرَّأْيِ واتَّفَقُوا

فالمعنى الذي يدور حوله البيت الثاني مستمد من قوله تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا ﴾[٢] .

سابعاً: استمداده من القرآن الكريم بعض صفات المؤمنين :

ومن أبرز تلك الصفات التي امتاز بها المؤمنون إقامتهم العدل في الأرض ، نلمس ذلك في قوله[٣] :

عَرَبٌ بَنَوا الدُّنْيَا بِنَاءً مُحْكَمًا   بِالعَدْلِ وهو أَسَاسُ كُلِّ بِنَاءِ

وقوله عن الصحابة - رضوان الله عليهم -[٤] :

يُرْسِلُونَ الضِّيَاءَ في كُلِّ أُفْقٍ   ويُدَاوُونَ كُلَّ سُقْمٍ ودَاءِ
ويُنِيرُونَ بِالعَدَالَةِ والإِسْـــ   ــلامِ دَرْبَ الحَيَاةِ والأَحْيَاءِ

والآيات التي تحث على تحري العدل كثيرة جداً، وتشمل شتى أمور الحياة، إلا أن أقرب الآيات لمعاني أبيات السنوسي قوله تعالى : ﴿ وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾[٥] .

---

(١) مجلة المنهل المجلد (١٥) ربيع الأول ١٣٧٤ هـ ص ١٢٠ .

(٢) سورة آل عمران . الآية : ١٠٣ .

(٣) الأعمال الكاملة ، ص ٨٥ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٦٦ .

(٥) سورة الأعراف . الآية : ١٨١ .

ومن تلك الصفات التي تخصهم دون غيرهم الإيثار ، نلمس ذلك في قوله[١] :

قَدْ أَفْلَحَ المؤْمِنُونَ المؤْثِرُونَ على نُفُوسِهِمْ واسْتَحَقُّوا النَّصْرَ من أُمَمِ

وهذه الصفة مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ والَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ والإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ولا يَجِدُونَ في صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا ويُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ولَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ومَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ﴾[٢] .

ومن تلك الصفات الوفاء بالعهود والمواثيق ، نلمس ذلك في إشادته بالمسلمين حيث يقول[٣] :

حَتَّى غَدَا من مَفَاهِيمِ الحَيَاةِ لَهُمْ البِرُّ (بالعَهْدِ) قُرْبَى والوَفَا نَسَبَا

ومن تلك الصفات العفو عند المقدرة والإحسان[٤] :

وعَفَى العَاهِلُ العَظِيمُ وأَضْفَى حِلْمَهُ واسِعًا وأَرْخَى السِّتَارَا

وحَمَى الأَنْفُسَ المُبَاحَةَ لِلسَّيْـ ـفِ اقْتِدَارًا وعَفَّ عَنْهَا اقْتِدَارَا

ورَعَى أَرْمَلاً وضَمَّ يَتِيمًا وأَغَاثَ اللَّهِيفَ والمُحْتَارَا

فهذه الصفات مستمدة من قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلَا يَنْقُضُونَ المِيثَاقَ ﴾[٥] وقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ ، والكَاظِمِينَ الغَيْظَ والعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وا للهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ ﴾[٦] .

ومن تلك الصفات الصبر ، نلمس ذلك في قوله[٧] :

---

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٢٨٤ .

(٢) سورة الحشر . الآية : ٩ .

(٣) الأعمال الكاملة ، ص ١٠٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ص : ٢١١ .

(٥) سورة الرعد . الآية : ٢٠ .

(٦) سورة آل عمران . الآية : ١٣٤ .

(٧) الأعمال الكاملة ، ص ٦٤٣ .

الشَّاكِرِيْنَ إِذَا مَسَّ الحَيَاةَ نَدًى وَالصَّابِرِيْنَ على الآلاَمِ والحَزَنِ

فهذه الصفة مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ والصَّابِرِينَ في البَأْسَاءِ والضَّرَّاءِ وحِينَ البَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وأُوْلَئِكَ هُمُ المُتَّقُونَ ﴾[١] .

ومن قوله تعالى : ﴿ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾[٢] .

ثانياً: استيحاء بعض معاني الحديث النبوي :

استلهم السنوسي في تجاربه التي عرضنا لها في دراستنا بعض المعاني التي تضمنتها بعض الأحاديث النبوية الشريفة ، ومن ذلك قوله واصفًا اتحاد العرب والمسلمين :

أَمْلَى إِرَادَتَهُ وَضَمَّ صُفُوفَهُ وَالْتَفَّ من قَطَرٍ إلى البَيْضَاءِ
تَتَبَايَنُ الأَسْمَاءُ في تَعْرِيفِهِ كَالجِسْمِ وهو مُوَحَّدُ الأَعْضَاءِ[٣]

فالسنوسي في وصفه هذا يستلهم قول الرسول ـ ﷺ ـ: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا ، ثم شبك بين أصابعه)[٤] .

ويستلهم قول الرسول ـ ﷺ ـ : « مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[٥] في قوله[٦] :

---

(١) سورةالبقرة . الآية : ١٧٧ .
(٢) سورة الشورى . الآية : ٣٣ .
(٣) الأعمال الكاملة ، ص ٤١ .
(٤) فتح الباري ، الجزء العاشر ، ص ٤٥٠ .
(٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المجلد (٤) ص ٢٧٠ .
(٦) الأعمال الكاملة ، ص ٥٨٤ .

وَنَحْنُ فِي كُلِّ دُنْيَا الضَّادِ ما خَلَصَتْ قُلُوبُنَا نَحْنُ قَلْبٌ وَاحِدٌ حَانِ

حَانٍ عَلى كُلِّ جُرحٍ يَشْتَكِي أَلَماً من نَكْسَةٍ جَرَّحَتْنَا فِي حُزَيْرَانِ

ويأخذ من قول الرسول - ﷺ - : (إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها)[1] قوله[2] :

مَدِيْنَةُ النُّورِ عَادَ النُّورُ مُنْطَلِقًا من لابَتَيْكِ قَوِيّاً مِثْلما كَانَا

وفي حديثه عن المساواة التي أوجدتها الرسالة الإسلامية يستلهم قول الرسول - ﷺ - : « ياأيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا أحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى.. »[3].نلمس ذلك في قوله[4] :

رِسَالَةٌ لَمْ تَكُنْ لِلعُرْبِ بَلْ نَزَلَتْ لِلْعَالَمِيْنَ بلا حَصْرٍ ولا عَدَدِ

فَكُلُّ مَنْ أَعْلَنَ التَّوحِيدَ مُعْتَرِفًا بِا للهِ رَبّاً بِلاَ نِدٍ ولا وَلَدِ

فَإِنَّمَا هُوَ مِنَّا لا يُفَرِّقُهُ عَنَّا لِسَانٌ ولا لَوْنٌ على جَسَدِ

ويقتبس من قول الرسول - ﷺ - : « ما قعد قوم يذكرون ا لله إلا حفتهم الملائكة وتنزلت عليهم السكينة وتغشتهم الرحمة وذكرهم ا لله فيمن عنده »[5] في حثه على طلب العلم والإشادة بأهله كما في قوله[6] :

صَرْحٌ تُظَلِّلُهُ الأَمْلاكُ خَاشِعةً لِلْعِلْمِ في جِيْلِهِ السَّامِي إِلَى الأُمَمِ

---

(١) فتح الباري ، الجزء الرابع ، ص ٩٣ .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٣٩٤ .

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل المجلد (٥) ص ٤١١ . .

(٤) الأعمال الكاملة ، ص ٤١١ .

(٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المجلد (٢) ص ٤٤٧ .

(٦) الأعمال الكاملة ، ص ٢٩٢ .

وفي قوله حاملاً على بعض أبناء مجتمعه المستهترين ببعض القيم الإسلامية(١) :

حَقَرُوُهُ وانْتَهَرُوُهُ وابْتَدَعُوا رَأْياً هُدَى الإِسْلَامِ يَنْتَقِدُهْ
سَـأَلُوُهُ في زَهْوٍ وغَطْرَسَةٍ مَاذَا هَوِيَّتُهُ ومَا بَلَـــدُهْ

فهو هنا يستهدي بقول الرسول - ﷺ - : (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان ا لله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج ا لله عنه كربة من كربات يوم القيامة ، ومن ستر مسلمًا ستره ا لله يوم القيامة)(٢) .

ويستمد من قول الرسول - ﷺ - في الحث على الجماعة والتحذير من الفرقة: « ما من ثلاثة في قرية فلا يؤذن ولا تقام فيهم الصلوات إلا استحوذ عليهم الشيطان عليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية » (٣) .

نقف على ذلك في قوله معللاً سقوط فلسطين في أيدي اليهود :

ولَنْ تَكُونَ فِلَسْطِينَ الَّتِي ذَهَبَتْ في غَفْلَةٍ حِيْنَ عَاثَ الذِّئْبُ بِالغَنَمِ(٤)

ثالثاً : استلهام بعض أحداث السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي :

استلهم السنوسي في بعض شعره - الذي دارت حوله دراستنا - كثيرًا من أحداث السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، خاصة في شعره الذي حاول فيه استنهاض همم أبناء أمته ، وحثهم على الاقتداء بمن سبقهم في كل أمور حياتهم .

ومن ذلك استلهامه لأحداث الهجرة النبوية ومارافقها من أحداث ، ابتداء

(١) المصدر نفسه ، ص ٣٨٠ .
(٢) فتح الباري ، الجزء الخامس ، ص ٩٧ .
(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المجلد (٦) ص ٤٤٦ .
(٤) الأعمال الكاملة ، ص: ٢٨٣ .

بموقف كفار قريش من هجرته إلى المدينة المنـورة ؛ خشية علـى مكـانتهم إن وجـد الرسول - ﷺ - من يناصره فيها ، وتدبيرهم لأمر الخلاص منه ، وانتدابهـم لذلـك شابًا من كل قبيلة؛ حتى يتفرق دمه - عليه السلام - بين القبائل، فيصعب علـى بـني هاشم المطالبة بدمه ، ويقبلون بالدية[(١)] ، ثم يعرض لنجاة الرسول - ﷺ - مـن مكيدة كفار قريش ، وخروجه من بينهم بعد أن قام بذر التراب على رؤوسهم .

يقول السنوسي في ذلك[(٢)] :

رَصَدُوا دَارَهُ كَمَا يُرْصَدُ الجَا ... نِي وثَارُوا عَلَيْهِ كالغَوْغَاءِ[(٣)]

وطَغَى مَكْرُهُمْ فَشَاهَ وَشَاهَتْ ... أَوْجُهٌ مَزَّقَتْ رِدَاءَ الحَيَـاءِ

ونَجَا سَـيِّدُ النَّبِيِّنَ والرُّسْـ ... ـلِ مُحَاطاً بِهَـالَةٍ بَيْضَاءِ

مَرَّ من بَيْنِهِمْ مُرُورَ شُعَاعِ الـ ... ـبَرْقِ بَيْنَ السَّحَابَةِ الدَّكْنَاءِ[(٤)]

ويشير إلى خروج سراقة بن مالك في طلب الرسول - ﷺ - وصاحبه؛ طمعـاً في جائزة كفار قريش ، ويعرض لما حفلت به تلك المغامرة - مـن قبـل سـراقة - مـن أحداث أسفرت عن رجوعه[(٥)] ، وتبشير الرسول - ﷺ - له بسـوار كسـرى بـن هرمز[(٦)] كما في قوله :

هَذَا سُرَاقَةُ قَدْ جَنَّتْ مَـطَـامِـعُـهُ

حِسًّاً ونَفْسـاً وجِسْـماً فَـهْـوَ رَادَارُ

---

(١) السيرة النبوية ، لابن هشام ، المجلد (١) ص ٤٨٠ - ٤٨٢ .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٢٦٣ .

(٣) الغوغاء: أصل الغوغاء: الجراد حين يخف للطيران، ثـم استعير للسفلة مـن النـاس والمتسرعين إلى الشر .

(٤) السحابة الدكناء: أي السحابة السوداء .

(٥) السيرة النبوية ، لابن هشام ، المجلد (١) ص ٤٨٩ - ٤٩٠ .

(٦) الكامل في التاريخ ، ابن الأثير ، المجلد (٢) دار صادر ، بيروت ص ١٠٥ .

تَأَلَّقَتْ مُقْلَتَاهُ وامْتَطَى فَرَساً
يَعْدُو بِهِ في سَبِيلِ الشَّرِّ دِينَارُ
رَآكُمَا ورَأَى مَوْتَاً يُحِيطُ بِهِ
ولاحَ مِنْ تَحْتِهِ قَبْرٌ وحَفَّارُ
مَادَتْ بِهِ الأَرْضُ حَتَّى صَاحَ من فَزَعٍ
آمَنْتُ يَارَبِّ فَاغْفِرْ أَنْتَ غَفَّارُ
تَبَسَّمَ المُصْطَفَى في وجْهِهِ طَرَبًا
مُبَشِّرَاً بِسِوَارٍ مَا بِهِ عَارُ
وعَادَ أَدْرَاجَهُ في قَلْبِهِ عَجَبٌ
ومِلْءُ عَيْنَيْهِ أَحْلَامٌ وأَشْعَارُ[١]

ويلتفت إلى التاريخ الإسلامي مستلهماً في قصيدته التي خص بها أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - مواقفه البطولية والشجاعة ، ويأتي في مقدمتها موقفه من موت الرسول - صلى الله عليه وسلم - وتصديه لمن أنكروا تلك الحقيقة .

يقول السنوسي مستلهماً موقف عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - من موت الرسول - ﷺ - والقائلين به[٢] :

أَمَاتَ حَقَّاً رَسُولُ اللهِ لَا وأَبُو حَفْصٍ يُهَدِّدُ مَنْ قَالُوا ومَنْ مَارُوا

ففي هذا البيت إشارة إلى مقولة عمر بن الخطاب : (إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله - ﷺ - قد توفي ، وإن رسول الله - ﷺ - ما مات ، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم بعد أن قيل : مات ، ووالله ليرجعن

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٥٣٤ - ٥٣٥ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٣٦ - ٥٣٧ .

رسول الله - ﷺ - كما رجع موسى فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أنه مات)[١] .

ثم يشير إلى موقف الصديق - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مما قاله عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مستلهمًا ما جاء في خطبته بعد تأكده من موت الرسول - ﷺ - حيث قال : (أيها الناس ، إنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله تعالى ، فإن الله حيٌّ لا يموت ، قال ثم تلا هذه الآية ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئًا وسيجزي الله الشاكرين[٢]﴾[٣] في قوله[٤] :

وَقَفْتَ في جَمْعِهِمْ كالنَّجْمِ مُؤْتَلِقاً ... وفي مُحَيَّاكَ إيْمَانٌ وتِذْكَارُ

مَنْ كَانَ يَعْبُدُ طَهَ إِنَّهُ بَشَرٌ ... قَدْ مَاتَ واللهُ حَيٌّ وهْوَ قَهَّارُ

ومَا مُحَمَّدُ يا للهِ هَلْ نُسِيَتْ ... آيَاتُهَا وهْيَ إِعْلَامٌ وإِنْذَارُ!

فَلْنَعْبُدِ اللهَ في صِدْقٍ وفي ثِقَةٍ ... النُّورُ بَيْنَ يَدَيْنَا كَيْفَ نَخْتَارُ

ويعرض لموقف أبي بكر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - من المرتدين عن الإسلام ، مضمنًا مقولته

---

(١) السيرة النبوية ، لابن هشام ، المجلد (٢) ص ٦٥٦ .

(٢) سورة آل عمران . الآية : ١٤٤ .

(٣) السيرة النبوية ، لابن هشام ، المجلد (٢) ص ٦٥٦

(٤) الأعمال الكاملة ، ص ٥٣٧ .

في مانعي الزكاة: (وا لله لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونها إلى رسول ا لله ـ ﷺ ـ لقاتلتهم على منعها)(١) في قوله(٢):

وقُـلْتَ قَـوْلَـتَـكَ الـغَـرَّاءَ تَرْفعُهَا
كالسَّيْفِ في وَجْهِ مَنْ خَارُوا ومَنْ ثَارُوا
وا للهِ لَـوْ مَـنَـعُـوني حَـبْـلَ رَاغِبَةٍ
قَـاتَـلْـتُـهُـمْ لَيْسَ إلاَّ ذاكَ إقْـرَارُ

ويستلهم بعض ما جاء في خطبته عند توليه أمر المسلمين في قوله(٣) :

والضَّعيفُ المحِقُّ فِينَا قَوِيٌّ   رَغْمَ أَنْفِ القَوِيِّ من أَعْدَائِهْ

فالمعنى الذي يدرو حوله البيت السابق مأخوذ من قول أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ:(... والضعيف فيكم قوي عندي ، حتى أريح عليه حقه ، إن شاء ا لله، والقوي فيكم ضعيف ، حتى آخذ الحق منه ، إن شاء ا لله)(٤) .

ويشير إلى مقولة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في حثه على الاهتمام بشئون الرعية: (والذي بعث محمدًا بالحق ، لو أن جملاً هلك ضياعًا بشط الفرات خشيت أن يسأل ا لله عنه آل الخطاب ، قال أبو زيد : آل الخطاب يعني نفسه ، ما يعني غيرها(٥)) في قوله(٦) :

قَالَهَا قَبْلَ أَنْ أَقُولَ أَبُو حَفْـ   ـصٍ فَكَانَتْ أُنْمُوذَجاً لِلْخَلائِفْ
أَنَا لَوْ ضَاعَ في العِرَاقِ بَعِيرٌ   جِئْتُ يَوْمَ الحِسَابِ والحَشْرِ خَائِفْ

---

(١) مختصر سيرة الرسول – صلى ا لله عليه وسلم – لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ، المكتبة الفيصلية ، ص ١٧٢ .
(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٥٣٩ .
(٣) مجلة المنهل ، المجلد (٢٩) ج (١١) ذو القعدة ١٣٨٨هـ .
(٤) مختصر سيرة الرسول – صلى ا لله عليه وسلم – ص ١٧١ .
(٥) تاريخ الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت ، لبنان ، ج(٤) ص ٢٠٢ – ٢٠٣
(٦) الأعمال الكاملة ، ص ٧٠٩ .

وفي وقفته مع الأمير الزاهد عمر بن عبد العزيز يستلهم ما سمعه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في إحدى جولاته الليلية متفقداً أحوال رعيته ، حين استوقفه صوت أمٍ تطلب من ابنتها خلط ما جاد به ضرع شاتها بالماء، حتى يزداد فيفي بمتطلبات يومهما الآتي ، وسروره - رضي الله عنه - برفض الفتاة؛ لخوفها من الله ربها ورب عمر . وطلبه من ابنه عاصم الذي كان مزمعًا على الزواج أن يتزوج بتلك الفتاة التي كانت - فيما بعد - جدة عمر بن عبد العزيز[1] نقف على ذلك في قوله[2] :

وَرَاحَ يَرْوِي أَبُو حَفْصٍ حِكَايَتَهُ
واسْتَغْرَقَا في حَدِيْثٍ شَيِّقٍ[3] عَذَبِ
عن الفَتَاةِ الَّتِي قَالَتْ وقَدْ غَضِبَتْ
لَنْ أَمْذُقَ المَاءَ يا أُمَّاهُ بِالحَلَبِ[4]
واسْتَنْكَرَتْ أَنْ يَرَاها ا للهُ واقِفَةً
تَبيعُ أَلْبَانَهَا بِالغِشِّ والكَذِبِ
فَأَنْجَبَتْ عُمَرَ الثَّانِي لِأُمَّتِهَا
فَكَانَ فَارُوقَها جِدًّا بِلا لَعِبِ

---

(١) خلفاء الرسول ، خالد محمد خالد ، دار الشروق ، بيروت ، يناير ١٩٧١/ ص ٥١٤ - ٥١٥ «بتصرف» .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٥٢٧ - ٥٢٨ .

(٣) استخدم الشاعر كلمة (شيق) للحديث الممتع ، والصواب (شائق) .

(٤) أمذق: أخلط .

المبحث الثاني

التجربة الشعرية والصدق الفني

التجربة الشعرية والصدق الفني

القصيدة الشعرية : هي التعبير عن تجربة شعورية كاملة في صورة موحية .

والتجربة : هي الحدث الوجداني أو العاطفي الذي ينبع من نفس صاحبه وعقله ومن كل حواسه ودخائله النفسية والفكرية الظاهرة والباطنة(١) .

والتجربة الشعرية ـ في حد ذاتها ـ ليست هي الغاية في العمل الأدبي ، ولكن الغاية هي الانفعال والإثارة التي تحدثه فينا التجربة ، وقدرتها على الارتفاع بنا ولو للحظات إلى عالمها عن طريق الانفعال بها والتفاعل معها ؛ لأن التجربة لا تعدو أن تكون المحرك أو الدافع إلى ذلك التعبير .

وليس ثمة فرق بين أن تكون التجربة المعبر عنها نابعة من ذات الشاعر ومعاناتها ، أو أن تكون عامة أحس بها الشاعر حوله ، فعمد إلى جمع عناصرها ، ولم شتاتها ، وقام بمعايشتها والاندماج فيها ، ثم عبر عنها ونقلها إلينا ؛ ليحملنا على مشاركته في التأثر بتجربته تلك .

والصدق الفني لا يراد به مطابقة الحقيقة والواقع دائمًا ، لأن ذلك من شأن العلم ولكن المراد به « صدق الأديب في التعبير عن عاطفته التي يحس بها فعلاً ، وإعلان عقيدته التي اعتقدها »(٢) سواء طابق ذلك التعبير الواقع بكل حذافيره أو لم يطابقه .

ويعد الصدق الفني الفارق الأول بين أصالة الموهبة الأدبية وفقدانها عند أديب

---

(١) النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، سيد قطب ، ص ٨ وما بعدها ، واتجاهات وآراء في النقد الحديث د. محمد نايل ، ص ٣٨ وما بعدها « بتصرف » .

(٢) عنصر الصدق في الأدب ، د.محمد النويهي ، ص ٢٣٨ ، ط ١٩٥٨ القاهرة.

ما، وهذا ما أكده سيد قطب بقوله : « ولن يكون للشاعر طابع خاص ، ولن يستطيع أن يصلنا بالكون الكبير ، إلا إذا كان صادقًا .. ولكن أي صدق ؟ لسنا نعني الصدق الواقعي ، فذلك مبحث يهم الأخلاق ، وإنما نعني صدق الشعور بالحياة وصدق التأثر بالمشاعر أي الصدق الفني »[(١)] .

وبناء على ما تقدم نستطيع أن نقول : إن صدق التجربة ـ سواء أكانت ذاتية أم عامة ـ هو الذي يميز أعمال الأديب أو الشاعر من غيرها ، ويسمها بسمته ، ويطبعها بطابعه الشخصي الذي يميزه عن غيره من الأدباء والشعراء .

وأبرز عناصر التجربة الشعرية هي : الأحاسيس ، والعقل ، والخيال ، والموسيقى ، كما يرى الدكتور شوقي ضيف[(٢)] .

ويرى الدكتور محمد غنيمي هلال : أن لكل تجربة شعرية عناصر مختلفة ، فكرية، وخيالية ، وعاطفية ، والشاعر يتخذ منها مواد تصويرية ، إذ يستعين بها على جلاء صورة تتوافر لها قوة الإيحاء والتعبير[(٣)] .

وتلاحم تلك العناصر الأربعة وتضافرها في التجربة الشعرية يحقق لها النجاح المأمول ، فالمشاعر والأحاسيس هي غاية العمل الأدبي ، والفكر هو الذي يقوم بتنظيم المشاعر وتنسيقها ، ويؤلف بين خواطر الشاعر ، والخيال هو الأداة التي تثير العاطفة ، وهو الذي يخرج التجربة إلى العالم النفسي ... والموسيقى هي التي تمنح التجربة الأنغام التي تتناسب مع مشاعرنا وعواطفنا[(٤)] .

والشعر الذي عرضنا له بالدراسة تحققت في أكثره عناصر التجربة الشعرية

---

(١) النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، سيد قطب ، ص ٣٥ .

(٢) في النقد الأدبي ، ط (٥) ص ١٤٦ - ١٥٢ .

(٣) النقد الأدبي الحديث ، د. محمد غنيمي هلال ، ص ٣٦٤ « بتصرف» .

(٤) النقد العربي الحديث ومذاهبه ، د. محمد عبدالمنعم خفاجي ، ط الفجالة الجديدة بمصر سنة ١٩٧٥م ص ٨٤ « بتصرف» .

الناجحة فتجاوزت المناسبة ، وبلغت درجة الإبداع والتفوق لتوافر أبرز عنصرين فيه، وهما : سمو الأفكار ، وحرارة وقوة العاطفة ، إضافة إلى الخيال والصور الشعرية واللغة والموسيقى[١] ..« وتلازم العنصرين (فكر وعاطفة) هو المقياس الأساسي والمسير الحقيقي للشعر ، فلا يرتفع الشعر الهادف إن فقد عنصر العاطفة والانفعال ، ولا يسمو إذا تجرد من قيمته الفكرية وهدفه الرفيع ، وتمرغ في الضلالة والفساد ، وإن تحققت فيه العناصر العاطفية »[٢] .

وجل الشعر الذي عرضنا له بالدراسة توافرت له الفكرة الصالحة والعاطفة الصادقة ، وقد سبق لي دراسة المعاني والأفكار في شعر السنوسي الإسلامي ، لذا سأفرغ لدراسة عنصر العاطفة والمشاعر في تجاربه الشعرية .

ومعيار القيمة في العاطفة « هو صدقها ، أي قدرتها على أن تجعل العمل الفني يشق طريقه وسط زحمة الموجودات ليبرز بدلالة ويلوح برسالة . والصدق هنا ليس الصدق العلمي ولا الصدق الأخلاقي ، لكنه الصدق الذي ينم على أن العمل الأدبي يخبر بشيء يتوافق مع الحياة ومع المحصلات الوجدانية دون أن يكون له أثر من شأنه أن يؤدي إلى النفور أو الشذوذ . إنه الصدق الفني الذي ينبع من منطق العمل الأدبي ، أو من موضوعيته بكل أبعادها وتفصيلاتها»[٣] .

ولو نحن عمدنا إلى تطبيق هذا المعيار على الشعر الذي درات حوله دراستنا لوجدناه متحققاً في جل الأغراض والموضوعات التي طرقها الشاعر، حتى في المدح ـــ الذي هو أقرب الأغراض الشعرية من المناسبات التي أنكرها معظم النقاد ؛ لتجردها كما يرون من الصدق الشعوري والفني ـــ

---

(١) التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول ، د. مجاهد مصطفى بهجت ، ص ٧٦٧ «بتصرف»

(٢) المرجع السابق ص: ٧٦٧ .

(٣) النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته ، د. أحمد كمال زكي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ص ٩٣ .

نجح السنوسي في التعبير عن مشاعره وعواطفه تجاه الممدوح ، وأراق فيه همومه وطموحاته ورغباته البعيدة ، إما متمنياً تحقيقها من قبل ممدوحه ، أو مشيداً بتحققها على يديه.

نلمس ذلك في مدحه للملك عبد العزيز ، والملك سعود ، والملك فيصل ـ رحمهم الله ـ ولن أجانب الصواب إن قلت : إن هم الوحدة الإسلامية ، والعودة بأمتنا إلى سابق عهدها ، يكاد يغلف كل قصائده المادحة ، فهو دائم الحث عليها ، والتنويه بها ، وهذا ما يجعلنا نستبعد أن يكون السنوسي من طلاب الجوائز والمكافآت عن طريق مدائحه ، وإنما هو شاعر قضية ، دأب ـ منذ بداياته الشعرية ـ على الدعوة إليها والمنافحة عنها . نجد ذلك في قوله ضمن مديحه للملك سعود ـ رحمه الله ـ :

مَـوْلَايَ يا أَمَـلَ الإِسْـلَامِ في زَمَنٍ
لِلشَّرْقِ فِيهِ صُوًى شَتَّى بِهَا الطُّرُقُ[1]

إِنَّ الـعُـرُوبَةَ قَدْ أَلْقَتْ إِلَيْكَ يَداً
وَصَافَحَتْكَ فَـمُـرْ ما شِئْتَ نَنْطَلِقُ

في رَاحَتَيْكَ سِـرَاجُ الحَقِّ فَاسْرِ بِنَا
وَهْناً يَشُعُّ على آثَـارِكَ الأَلَـقُ

سَمَوْتَ بِالوِحْـدَةِ الكُبْرَى إِلَى أُفُـقٍ
لِلـدِّيْـنِ مُـؤْتَمَرٌ فِـيْـهِ ومُتَّفَقُ

نَـهْـجٌ أَنَـرْتَ سَبِيلَ السَّالِكِيْنَ بِهِ
حَتَّى تَقَارَبَتِ الأَبْعَـادُ والشُّقَقُ[2]

---

(١) صوى : حجارة تكون علامات في الطريق. .

(٢) مجلة المنهل ، المجلد (١٥) ربيع الأول ١٣٧٤هـ ، ص ١٢٠ .

إلى أن يقول[١] :

إِلَيْكَ تَتَّجِهُ الأَرْواحُ يَجْذِبُهَا
هَذَا المُحَيَّا وتَرْنُو نَحْوَكَ الحَدَقُ
تَنَوَّرَتْكَ ودُنْيَاهَا مُمَزَّقَةٌ
رُوحٌ على المَسْجِدِ القُدْسِيِّ تَحْتَرِقُ
حَامَتْ بِأَجْنِحَةٍ شَلَّاءَ واهِيَةٍ
تَعْلُو وتَهْبِطُ خَفَّاقٌ بِهَا الفَرَقُ
تَلَفَّتَتْ فَإِذَا الأَيْكُ الَّذِي نَشَأَتْ
في ظِلِّهِ قَدْ جَفَاهُ الظِلُّ والوَرَقُ
أَنْتَ المُؤَمَّلُ لِلْيَوْمِ الأَغَرِّ إِذَا
هَزَّتْ فِلَسْطِينُ سَيْفاً والظُّبَا عَلَقُ

فالسنوسي - كما هو واضح في هذه الأبيات - يتجاوز المديح إلى الإفصاح عن حلم يراوده تحققه ، وأمل تؤرقه مرارة انتظاره، ولهذا نراه يحث على تحقيق ذلك الحلم ، ويرسم عزة المسلمين في ظل تحققه ، ويشعل فتيل دعوته إلى الوحدة الإسلامية ؛ بتركيزه على القضية الفلسطينية التي تعد جرحًا عميقًا في صميم أحشاء أمتنا العربية والإسلامية، ويشد على يد الملك سعود - رحمه الله - في دعوته إلى تلك الوحدة المرجوة التي ستكفل عودة كل الأراضي الإسلامية التي سلبت في ظل الفرقة التي منيت بها أمتنا الإسلامية على يد أبنائها.

أما رثاء السنوسي فقد كان حافلاً بالمشاعر والأحاسيس ، والعاطفة الصادقة ، وقد وقفنا على شيء من ذلك في دراستنا لشعر الرثاء عنده ، سواء في رثائه لأبيه أو لأصدقائه أو لبعض حكام بلاده من آل سعود . وإن كانت مرثيته للملك عبد

(١) المصدر السابق ، ص ١٢٠ - ١٢١ .

العزيز ـ رحمه الله ـ قد حملت في طياتها بعض المبالغات ، إلا أنها مبالغات مقبولة وحسنة لتوافر عنصر الصدق الفني فيها ، وهذا ما اشترطه الدكتور محمد غنيمي هلال في قبوله للمبالغات في قوله : « ليس من الصواب قبول المبالغة ، وما يتصل بها على وجه الإطلاق ولا رفضها كذلك ولا تعميم القول بقبولها في حال الاعتدال والتوسط كما ذهب إلى ذلك النقاد العرب القدامى ، بل الصواب أن نقبل هذه الوجوه وما سواها على أساس الصدق فإذا لم تزيف الحقائق و لم تصور غير الواقع ، و لم توهم الباطل كانت مقبولة ، بل قد تكون دعامة الصدق الفني لتصوير المعنى ، وإثارة الخيال ، وتوصيل أعمق الحقائق إلى العقل والقلب »[١] .

ومعنى ذلك أنه لا بأس من المبالغة التي يقصد بها إبراز عاطفة صادقة واستجلائها ؛ لأن هذه المبالغة في هذه الحالة تكون أداة لزيادة قدراتنا على تمثل هذه العاطفة ولا تكون حاجزاً بيننا وبين تصورها .. وهذه المبالغة المقبولة يوحي بها الخيال الفني ، والخيال الفني كما يرى الدكتور محمد النويهي : « ليس معناه محض الاختلاق ولا إطلاق حرية التزييف ، بل معناه رؤية حقائق الوجود بدرجة من الوضوح والحدة والصفاء أكبر مما توجد عليه في الطبيعة ، أو أكبر مما يستطيع الناس العاديون أن يروها »[٢] .

وإن نحن تأملنا ما جاء في قصيدة السنوسي في رثاء الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ لوجدنا مبالغاته فيها مما أجازه النقاد ورأوا فيها قدرة على جلاء المعاني وتوضيحها . ومنها قوله واصفًا وقع نبأ وفاة الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ على أبناء أمته الإسلامية[٣] :

---

(١) النقد الأدبي الحديث ، ص ٢٢١ .

(٢) عنصر الصدق في الأدب ، د. محمد النويهي ، ص ٥٣ .

(٣) مجلة المنهل ، المجلد (١٤) ربيع الأول عام ١٣٧٣هـ ، ص ٢٠٨ .

ضَجَّتْ شُعوبُ الأَرْضِ لمَّا قِيلَ قَدْ
أَوْدَى المُنَاضِلُ عن حِمَاهَا الـــــرَّامِي

رِيعَتْ لِمَصْرَعِكَ النُّفُوسُ وزُلْزِلَتْ
قِمَمُ النُّهَى وشَــــــوَامِخُ الأَحْلَامِ

وقوله[1] :

ذَابَتْ حَـنَـايَاهَا وأَلْهَـبَـهَــا أَسَىً
خَـطْــبٌ أَصَمَّ مَسَــــامِعَ الأَفْهَامِ

وقوله[2] :

نَـبَــأٌ كَقَصْفِ الرَّعْدِ هَـــزَّ دَوِيُّهُ
قَلْبَ (العِرَاقِ) وَذَابَ قَلْبُ (الشَّامِ)

ضَجَّتْ لَهُ (مِصْرُ) الشَّقِيْقَةُ لَوْعَةً
وارْتَــاعَ في (صَنْعَا) فُــــؤَادُ دَامِ

وَتَفَطَّرَتْ (لُبْنَانُ) حُزْنًا وانْـطَوَتْ
(عَمَّانُ) في شَـجَنٍ من الإِيْــلَامِ

فالمبالغات التي تحفل بها هذه الأبيات، مكنت الشاعر من تصوير هول المصـاب على نفسه، وعلى نفوس أبناء أمته الإسلامية الذين كانوا يـرون فيـه قـائدًا إسـلاميًا، يعول عليه إن حزّ بهم الضر، وعمقت مكانـة الملـك عبـد العزيـز ـ رحمـه الله ـ في نفوس من هم حوله . وهذا يدلنا على أن مبالغة الشاعر هنا من النوع المقبول الـذي أجازه معظم النقاد .

أما غزل شاعرنا فقد وضحت عليه آثار العقيدة الإسلامية ، فجاء لذلك عفيفـا

---

(١) المصدر السابق ص ٢٠٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠٩ .

في مجمله ، يربط فيه بين جمال المرأة المادي والمعنوي . وقد تجاذبته ـ كما تفصح تجاربه فيه ـ عاطفتان :

إحداهما : تحمل لنا روح السنوسي المحبة في أيام شبابه ، وقد قرّ تيار ذلك الحب كما يقول الشاعر[١] .

وثانيتهما : تفصح عن إعجاب السنوسي بجمال المرأة الحسي والمعنوي ، وتفاعله مع ذلك الجمال . نلمس ذلك في قوله[٢] :

مَــدَّتْ أَنَامِلَـها تُزِيـــ ـــحُ خَصَائِلاً كاللَّيْلِ ظُلْمَةْ

فَبَـدَا ضِيَاءُ الفَجْرِ فَوْ قَ جَبِيْنِهَا نُورَاً ونَسْــمَـهْ

قَلْبِي يُحِــبُّ وإِنَّمَــا فِي حُبِّهِ خُلُقٌ وحِشْــمَــهْ

ويَهِيْمُ بِالغِيْدِ الحِسَا نِ ولا يُبِيْحُ لَهُنَّ حُــرْمَـهْ

فهذا النموذج لا يشف عن معاناة للشاعر ، وإنما يشف عن تعلقه بالجمال ، وعشقه له ، وهوكما ترى لم يبتعد فيه عن الطهر والعفة التي طبعت سائر قصائده الغزلية . وهذا يدلنا على أثر العقيدة في توجيه شعره الغزلي .

وفي وصفه للطبيعة نقف على صدق عاطفته في تفاعله مع جمالها الحي ، وليس أدل على ذلك من قصيدتيه : (جبل فيفاء) و (موكب السحاب) فقد توفر لهاتين القصيدتين ما يرتفع بهما إلى مصاف التجارب الشعرية الخالدة ، من روعة في الأداء وصدق في التعبير .

يقول الشاعر واصفًا شموخ ذلك الجبل وبعض مظاهر الجمال فيه[٣] :

جَبَلٌ تَعْشَــقُ النُّجُومُ مُحَالِيــ ـــهِ وتَصْبُو إِلى ذُرَاهُ العَوالِي

---

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٥٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٦٤٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٤١ .

يَزْحَمُ النَيِّرَاتِ مَنْكِبُهُ الضَّخْـ ـمُ ويَحْتَكُّ بالسُّهَا والهِلَالِ
مُشْرَئِبٌّ إلى السَّــمَاءِ بِرأْسٍ صَلِفٍ في شُمُوخِهِ مُـتَـعَـالِ

إلى أن يقول(١) :

يالَتِلْكَ الذُّرَى المُوَشَّاةِ بالزَّهْـ ـرِ نَضِيرًا وبِالثِّمَارِ حَـوَالِ!
أَوْ لَتِلْكَ الرُّبَى يَرِفُّ شَـذَاهَا بِعَبِيرِ الصَّبَا ونَفْحِ الشَّـمَالِ!
ولِذَاكَ السَّحَابِ والمَاءُ يَجْرِي من خِلَالِ الصُّخُورِ جَرْيَ الصِّلَالِ!

فشاعرنا ـ في هذه الأبيات ـ مأخوذ بارتفاع جبل فيفاء الشاهق ، ومفتون بكل مظاهر الجمال فيه ، ولهذا جاء وصفه له في غاية الإبداع والروعة . وفي ذلك دليل على أن عالمه الوجداني قد تفاعل مع ذلك الجمال ، فرأى فيه ما لم تره عيوننا ، فهو لم يعد ـ كما تفصح صور السنوسي ـ حجارة جامدة لا حياة فيها ، وإنما استحال إلى إنسان يزاحم الكواكب بمنكبه الضخم ، متعاليًا على الناس في صلف وغرور ، ومتباهيًا بما وهبه الله من مظاهر جمالية آسرة ، تتمثل في انتشار الأشجار والنباتات ذات الروائح العطرية على سفحه وبين جنباته ، وانسياب مياه الأمطار بين صخوره وشعابه ـ صباح مساء ـ في أشكال جمالية أخاذة ؛ تجلي كآبات النفوس ، وتشهد لمتأملها بعظمة خالقها . وهذه الحقيقة هي التي وصل إليها الشاعر في نهاية المطاف ، حيث يقول(٢):

صَنْعَةُ المُبْدِعِ المُصَوِّرِ جَلَّ الـ ـلـهُ رَبِّي رَبُّ العُلَا والكَمَالِ

وفي شعره الاجتماعي، يتضح الصدق في حمله على بعض العادات التي طرأت على أبناء مجتمعه، كتقليدهم للغربيين في ملابسهم ، وفي طريقة سيرهم ، وفي قصات شعرهم . أو في حمله على بعض الأدواء التي تتنافى مع أخلاقنا الإسلامية ،

---

(١) المصدر السابق، ص ٣٤٢ - ٣٤٣ .

(٢) المصدر نفسه ص ٣٤٠ .

كالنفاق، والكبر ، والسخرية . والحث والترغيب في أمور أخرى كان لها حضورها في مجتمعنا الإسلامي ، إلا أنها أخذت في الاختفاء تدريجياً ، كالتواضع والقناعة والرحمة . وخير ما يؤكد صدق عاطفة الشاعر في شعره الاجتماعي قوله متألماً من النفاق والمنافقين ، ومنفرًا من الاختلاط بهم[1] :

يالِنَفْسِي من أَنفُسٍ تَقْذِفُ الجِبْـ ـرَ عَدَاءً على الثِّيَابِ النَّظِيفَهْ !
وعلى كُلِّ جَانِبٍ من قَذَاهَا قَذَرٌ يَزْكُمُ الأنُوفَ وجِيفَهْ
خُضْتُ في بَحْرِهَا وكُنْتُ غَرِيراً فَطَفَا مَوْجُهَا وكَانَتْ حَصِيفَهْ
أَوْجُهٌ كَالبَلَاطِ لا تُنْبِتُ الزَّهْـ ـرَ وإِنْ كَانَتِ المِيَاهُ كَثِيفَهْ
وقُلُوبٌ مِثْلُ الكُهُوفِ ظَلَاماً والضُّحَى يَغْمُرُ الوُجُودَ مُخِيفَهْ

وقوله مرغبًا في التواضع ، وداعياً إليه[2] :

وكَبِيرُ القَلْبِ تَلْقَاهُ على كُلِّ حَالَيْهِ عَظِيماً وخَطِيرا
هُوَ كَالبَحْرِ جَلَالاً رَائِعاً وهْوَ كالرَّوْضِ زُهُورًا وعُطُورا
نَفْسُهُ فِي يَدِهِ مَبْسُوطَةٌ تَزْرَعُ الخَيْرَ وتَبْنِيهِ قُصُورا
وضِيَاءُ البِشْرِ في غُرَّتِهِ خُلُقاً سَمْحاً وإِيْمَاناً غَزِيرا

ففي هذين النموذجين يتضح لنا مدى صدق عاطفة شاعرنا في شعره الاجتماعي ، فهو في النموذج الأول يوضح أثر النفاق على الناس الأبرياء منه ، ويقدم لنا المنافقين في صورة تدعونا إلى الحذر منهم وعدم الاختلاط بهم .

وفي النموذج الثاني ، يرغب في التواضع ويحث عليه ، عن طريق تقديمه لذلك الإنسان المتواضع في صورة تدعونا إلى الإعجاب به ، وتحملنا على الاقتداء به .

وصدق العاطفة ملمح بارز في شعره الوطني ، سواء في قصائده التي بدا فيها

---

(١) المصدر السابق ، ٤٣٩ - ٤٤٠ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٧١٦ .

الفخر واضحاً وجلياً بماضي وطنه وحاضره ، أو في حثه على الارتقاء به ، والتغني بمظاهر الجمال فيه ، والدفاع عنه أمام كل من حاول النيل منه .

ومن شعره الوطني الذي بدت فيه عاطفة الشاعر صادقة وقوية قوله[١] :

هَا هُنَا رَبْوَةٌ كَنَاصِيَةِ الشَّمْـ ـسِ تَمُدُّ الشُّعَاعَ فِي الأَرْضِ مَدَّا

بَـارَكَتْهَا يَدُ الإِلَهِ فَأَضْحَتْ لِبُنَاةِ العُلَى سَـرِيرًا ومَهْـدَا

الرِّيَاضُ الرِّيَاضُ عَاصِمَةُ العُـرْ بِ مَلاذُ القُلُوبِ شِيْبًا ومُرْدَا

مُنْتَـدَى أُمَّتِي وَقَلْبُ بِلَادِي شَرَفًا بَاذِخًا ورُكْنًا أَشَـدَّا[٢]

بَلَـدٌ فِي دِمَائِنَا مِن هَوَاهَا قُوَّةٌ تَطْرُدُ الجَرَاثِيمَ طَـرْدَا

إلى أن يقول[٣] :

أَيْـنَ مِنْكَ الخَيَالُ واللَّيْلُ يَجْلُو فِي سَـنَا أُفْقِهَـا المُتَـوَّجِ عِقْدَا

وأَدِيـمُ الـثَّـرَى يَفُوحُ عَبِيرًا عَبْهَرِيَّ الشَّـذَا أَقَـاحًا وَوَرْدَا[٤]

والـذُّرَى تَنْطَحُ السَّحَابَ سَنَاءً والسَّنَا يَقْدَحُ الكَـوَاكِبَ زَنْـدَا

والـدُّرُوبُ الفِسَاحُ تَرْسُمُ خَطًّا كَسُطُورِ الكِـتَـابِ شَـكْلاً وقَدَّا

وظِـلَالُ الغُصُونِ تَمْتَدُّ كالشَّعْـ ـرِ على مَـتْـنِها أَثِيثًـا وجَعْدَا[٥]

وعَـلى كُلِّ رَفْرَفٍ وجِـدَارٍ تَتَجَلَّى الفُنُـونُ قَوْسًـا وعِقْدَا

وعَـلى كُـلِّ قِـمَّـةٍ ومَنَارٍ عَلَمٌ شَـيَّدَ الصُّرُوحَ وهَـدَّا

الهُـدَى حَوْلَهَا يُوَاكِبُهُ العِلْـ ـمُ ورَكْبُ العُلُومِ بِالدِّينِ يُحْـدَى

مَـرْفَأُ السَّـالِكِينَ فِي حَلَكِ الشَّـكِّ ومَرْسَى اليَقِينِ جَـزْرًا ومَـدَّا

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٠١ - ١٠٢ .

(٢) شرفاً باذخاً : أي عالٍ .

(٣) الأعمال الكاملة ، ص ١٠٣ - ١٠٥ .

(٤) عبهري : رقيق .

(٥) الأثيث : الشعر الطويل الغزير ، والجعد : الشعر القصير .

فالأبيات التي أمامنا تفصح عن حب الشاعر لوطنه ، وإعجابه بمظاهر جماله .

وقد أبدع في تصويره لتلك المظاهر الجمالية ، في لغة عذبة موحية ، وخيال خلاق يألف بين الأشياء المتناثرة ، ثم يقدمها لقارئه في صور فريدة ، تروي ظمأ النفس والشعور .

و لم يتوقف شاعرنا عند تلك المظاهر التي جعلت وطنه أثيرًا لديه ، وإنما أتبعها بما يستوجب ذلك الحب ، فبين الأسس التي قام عليها وطنه ، والمكانة الرفيعة التي يحتلها في نفوس أبناء أمته الإسلامية ، و لم ينس وهو مندمج في تجربته أن يشيد بمن له الفضل في ذلك ، قائلاً[1] :

بَارَكَتْهَا يَدُ الإِلَهِ فَأَضْحَتْ ... لِبُنَاةِ العُلَى سَرِيراً ومَهْدا

أما في شعره الذي عرضنا له في دراستنا تحت عنوان (موضوعات الشعر الإسلامي) فتبدو العاطفة الصادقة في كل تلك الموضوعات ، وإن تخلفت - قليلاً - في بعض شعره الذي حلق فيه في آفاق عقيدتنا الإسلامية ؛ وذلك لطغيان عنصر الفكر فيه . ولكن هذا لا يعني انتفاء عنصر العاطفة من تجاربه في هذا الموضوع ، لأنه يسعى - عن طريق عرضه لمثل تلك القضايا - إلى التأثير في عواطف المتلقين وعقولهم في آن واحد ، لحملهم على الاستجابة .

ومن نماذج شعره في هذا الجانب قوله[2] :

فَدَعْ لِيَدِ الأَيَّامِ غَرْبَلَةَ القَذَى
فَإِنَّ لَهَا كَفَّاً تُغَرْبِلُهَا نَخْلا

ولُذْ بِحِمَى الإِيْمَانِ وارْضَ بِمَا قَضَى
بِهِ اللهُ واعْلَمْ أَنَّ حِكْمَتَهُ أَعْلَى

---

(١) الأعمال الكاملة ، ص ١٠١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٦٠ .

فَلِلدِّينِ فَضْلٌ في الحَيَاةِ لِأَنَّهَا
بِغَيْرِ الهُدَى تَغْدُو جَحِيماً بِهِ نُصْلَى
وثِقْ أَنَّ مَنْ أَعْطَى الحَيَاةَ جَمَالَهَا
وأَقْوَاتَهَا لَمْ يُهْمِلِ الدُّودَ والنَّمْلا

ففي هذه الأبيات نحس بصدق عاطفة الشاعر المنسابة في ذلك التوجيه المباشر لأخيه المسلم إلى التمسك بالدين الإسلامي الحنيف ، والإيمان المطلق بقضاء الله وقدره ، والثقة في رحمة الله وعطفه .

ونلمس صدق العاطفة وقوتها في عدد من التجارب التي تندرج تحت ذلك الإطار ، ومن أبرزها قوله مناجياً خالقه[1] :

رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَغُفْرَا ... نَكَ رَبِّي إِنِّي مُقِرٌّ وذَاعِنْ
رَبِّ إِنَّ الحَيَاةَ زَاغَ بِهَا السَّيْـ ... ـرُ وحَادَتْ فَاشْدُدْ عُرَاهَا وَطَامِنْ
وأَنِرْ بِالضِّيَاءِ والطُّهْرِ مَسْرَا ... هَا وزَحْزِحْ عن سَيْرِهَا كُلَّ مَائِنْ
فَلأَنْتَ العَظِيمُ حَقّاً وصِدْقاً ... عَالِمٌ بِالَّذِي يَكُونُ وكَائِنْ

فصدق العاطفة ملمح بارز في هذه الأبيات ، ولا يعقل أن يكون الشاعر هنا كاذباً ، فهو يتوجه إلى خالقه ، طالباً منه المغفرة على ما ارتكبه في حق نفسه ، راجياً أن يسود الطهر والصفاء على سطح الحياة الدنيا .

وفي شعره المتعلق بالإسلام ورسالته نشعر بسريان العاطفة وصدقها في إشادته بالرسالة الإسلامية ، وجلاء قيمها ومبادئها ، ودفاعه عنها ، والدعوة إليها .

ومن نماذج شعره في هذا الجانب قوله[2] :

رِسَالَةٌ من هُدَى الرَّحْمنِ بَلَّغَهَا ... (مُحَمَّدٌ) وفَدَتْهَا رُوحُ (عَمَّارِ)

---

(١) المصدر السابق ، ص ٥٤٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣١٢ .

نَحْيَا عَلَيْهَا وَنَسْمُو ضَارِبِيْنَ بِهَا قُوَى الضَّلالَاتِ في عَزْمٍ وإِصْرَارِ

وَنَفْتَدِيْهَا بِأَرْواحٍ وأَفْئِدَةٍ خَفَّاقَةٍ ذَاتِ إِيْمَانٍ وإِيْثَارِ

ونجد صدق العاطفة وقوتها في دعوته لاعتناق الدين الإسلامي ، كما في قوله[1] :

يا خَلِيْلِي الدِّيْنُ نُورُ القُلُوبِ وطَبِيبُ الحَيَاةِ أَيُّ طَبِيبِ

لا تَدَعْ لِلأَسَى إلى قَلْبِكَ الشَّفَّافِ دَرْباً ولا تَلِنْ لِلْخُطُوبِ

كَمْ رَأَيْنَا وكَمْ سَمِعْنَا فَدَعْ قَلْبَكَ يَرْتَاحُ من عَنَاءٍ عَجِيبِ

وَدَعِ الفَلْسَفَاتِ واسْتَلْهِمِ الإِيْمَانَ وانْضَحْ بِهِ جَفَافَ النُّضُوبِ

فالشاعر - في هذه الأبيات - حريص على راحة وسعادة أخيه الإنسان في كل مكان ، تدفعه إلى ذلك عاطفة إنسانية نبيلة ، تحب الخير وترجوه للجميع . ولهذا نراه بعد أن عايش حلاوة الدين الإسلامي ، وأحس بالراحة التي يمنحها لمعتنقيه - يحث أخاه غير المسلم على اعتناقه ، ومشاركته في التلذذ بتلك الحلاوة والاستمتاع بتلك الراحة .

أما شعره في الآفاق العبادية والمناسبات الإسلامية فصدق العاطفة ملمح بارز فيه، وذلك لأن صلته بالتجربة قوية قوة النزعة الإسلامية في نفسه وسيطرتها على مشاعره وانفعالاته .

نقف على ذلك في قصيدته (رمضان)[2] التي ضمنها مناجاته لذلك الشهر العظيم ، بالإضافة إلى شكواه الممضة من الحالة التي وصلت إليها أمته الإسلامية من ضعف وهوان ، ومعالجة بعض الأدواء المتناثرة على بساط الحياة الممتد .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٥٥٠ - ٥٥١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٢٤ - ٣٢٩ .

وفي قصيدته (اليوم الخالد)[١] وصف بديع لوحدة المسلمين المتمثلة: في اللبس ، وفي التوجه ، وفي الغاية.

وفي قصيدته (أذان الفجر)[٢] وقف مع ذلك الصوت وقفة تنم عن مدى عمق إيمانه ، ومدى يقظة حسه الشعري في إدراك الجمال الذي تكتنزه تلك الدعوة، وقدرتها على تنقية أجواء النفس البشرية ، مما يعلق بها من شوائب وأدران .

وقد كان شاعرنا صادق العاطفة في دعوته إلى تلبية تلك الدعوة ، والتبكير في السعي ؛ طلبًا للرزق . وصادقاً في تفاعله مع صوت الأذان وهو يشق أسمال الليل وسكونه الممتد على الأفق.

وفي قصائده المستلهمة لتاريخنا الإسلامي الخالد نجد تجارب شعورية صادقة ، تفصح عن عشق الشاعر لذلك التاريخ الحافل بالأمجاد والبطولات في شتى المجالات، وألم دفين لما آل إليه حال أمته في العصر الحاضر .

ومن نماذج تجاربه في هذا المجال قوله في قصيدته (عقدة الأسى) مخاطباً أمته الإسلامية[٣] :

أَتُريدِينَ أَنْ يَكُونَ بَيَانِي ... رَائِعَ اللَّفْظِ عَبْقَرِيَّ المَعَانِي؟

كَيْفَ يَا أُمَّتِي وَأَنَّى وفي جَنْـ ... ـبَيْكِ جُرحٌ يَهُزُّنِي من كَيَانِي؟

كُلَّمَا أَبْصَرَتْهُ عَيْنَايَ فَاضَتْ ... بِالأَسَى لا هِبًا وبالدَّمْعِ قَانِي[٤]

أَنْطِقِيني إِذَا أَرَدْتِ بِيَوْمٍ ... قَادِسِيٍّ مُدَمْدِمٍ أُرْجُوَانِي[٥]

---

(١) المصدر السابق، ص ٤٤٨ .

(٢) المصدر نفسه ص ٥٤٥ - ٥٤٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٦٧ - ٥٦٩ .

(٤) قاني : شديد الحمرة .

(٥) مدمدم : دمدمت الشيء إذا ألزقته بالأرض وطحطحته ، ودمّهم يدمهم دماً : طحنهم فأهلكهم ، وأرجواني : الأرجوان هو : الأحمر الشديد الحمرة .

أَنْطِقِيني بِوَثْبَةٍ ذَاتِ وَمْضٍ واحْلُلِي عُقْدَةَ الأَسَى من لِسَانِي
فَلَقَدْ كِدْتُ من أسىً أَلْفظُ النَّفْـ ـسَ على كُلِّ لَفْظَةٍ من بَيَانِي
لِمَ هَـذا وكَيْفَ يانسَلَ عَدْنَا نَ وقَحْطَانَ والسَّنَا والسِّنَانِ؟
أَيَعِيثُ الذِّئَابُ فِينَا ونَحْنا رُ ونَنْهَارُ يَالَهُ من هَوَانِ؟!
رَحِمَ اللهُ خَالِداً والمُثَنَّى وابْنَ أَيُّوبَ والفَتَى الحَمَدَانِي
فَلَقَدْ ضَعْضَعُوا قُوَى كُلِّ دِهْقَا نٍ وعِلْجٍ وأَنْقَذُوا كُلَّ عَانِي
حِيْنَ كَانَتْ قُوَى الطُّغَاةِ تَهُزُّ ال أَرْضَ من فَارِسٍ ومن رُومَانِي

فالسنوسي في هذه الأبيات استطاع أن يندمج مع التجربة، ويتفاعل معها، ويهبها من عاطفته وذاته الشيء الذي جعلنا نشاركه الحنين لماضي أمتنا الإسلامية المشرق، والتطلع إلىعودته .

والمتأمل في تلك الأبيات يجد أن السنوسي لم يسرد لنا ذلك الماضي سرداً تاريخياً مجرداً ، إنماصبغه بأحاسيسه ومشاعره ، فاستاف نكهة الأمجاد الإسلامية في سابق عهدها وفي مختلف أقطار المعمورة على أيدي قادة الإسلام الأفذاذ ، أمثال : خالد بن الوليد ، والمثنى بن حارثة ، وصلاح الدين الأيوبي ، وسيف الدولة الحمداني .

وفي دعوته للجهاد، والوحدة الإسلامية، كان صدق العاطفة وقوتها ملمحا بارزا، خاصة وإن وحدة المسلمين ـ كما سبق أن أكدنا ـ كانت هم الشاعر الأكبر الذي سعى إلى تحقيقه، وألح عليه، بعد أن أفقدت الفرقة والشتات الأمة الإسلامية قوتها ومجدها وعزتها، وحكمت عليها بالذل والهوان على أيدي المستعمرين، الذين نكلوا بعدد كبير من أبنائها، وأباحوا أعراضهم وحرماتهم .

المبحث الثالث

الوحدة العضوية

الوحدة العضوية

تعد الوحدة العضوية من معالم التجديد في الشعر العربي الحديث ، ويراد بها «وحدة الموضوع ، ووحدة المشاعر التي يثيرها الموضوع . وما يستلزم ذلك في ترتيب الصور والأفكار ترتيباً به تتقدم القصيدة شيئاً فشيئًا حتى تنتهي إلى خاتمة يستلزمها ترتيب الأفكار والصور، على أن تكون أجزاء القصيدة كالبنية الحية لكل جزء وظيفته فيها . ويؤدي بعضها إلى بعض عن طريق التسلسل في التفكير والمشاعر »[1].

فالقصيدة كما يرى العقاد : « ينبغي أن تكون عملاً فنيًا ، يكمل فيها تصوير خاطر أو خواطر متجانسة، كما يكمل التمثال بأعضائه والصورة بأجزائها واللحن الموسيقي بأنغامه ، بحيث إذا اختلف الوضع أو تغيرت النسبة أخل ذلك بوحدة الصنعة وأفسدتها ، فالقصيدة الشعرية كالجسم الحي ، يقوم كل قسم منها مقام جهاز من أجهزته ، ولا يغني عنها غيره في موضعه ، إلا كما تغني الأذن عن العين ، أو القدم عن الكف أو القلب عن المعدة ، أو هي كالبيت المقسم ، لكل حجرة منه مكانها وفائدتها وهندستها »[2] .

ويرى العقاد أيضاً أن هذه الوحدة من أهم مقومات القصيدة ، وهي بغيرها تفقد سماتها ومكانتها كعمل شعري . وفي ذلك يقول : « ومتى طلبت هذه الوحدة المعنوية في الشعر فلم تجدها ، فاعلم أنه ألفاظ لا تنطوي

(١) النقد الأدبي الحديث ، د. محمد غنيمي هلال ، ص ٣٧٣ .

(٢) الديوان ، عباس محمد العقاد ، وإبراهيم المازني ، ج (٢) ص ١٢٠ ط (٣) .

على خاطر مطرد أو شعور كامل بالحياة »[١] .

والوحدة المعنوية في القصيدة ، تقتضي ترتيب الأفكار ، واستقصاء كل فكرة ـ على حدة ـ قبل الانتقال إلى غيرها ، يقول الدكتور محمد غنيمي هلال : « تقتضي هذه الوحدة استيفاء كل فكرة في النظم في موضعها المحدد لها من القصيدة ، قبل الانتقال إلى الفكرة التالية ، بحيث لا يصح الرجوع ـ بعد ـ إلى الفكرة الأولى في القصيدة، وإلا بدا الفكر مضطرباً ، واختلت بنية القصيدة »[٢] .

وهذه الوحدة التي حدد معالمها العقاد ، ودعا إلى جعلها مقياساً من المقاييس التي ينبغي أن نفهم وندرس بها شعرنا العربي ـ يرى معظم النقاد ومن بينهم الدكتور بدوي طبانة ، إمكانية تطبيقها على الشعر المسرحي والملحمي ، أما في الشعر الغنائي فيرى أن نترك للشاعر حريته في التعبير عن عواطفه بترتيب ما سبق منها إلى ذهنه ، وما يتعاقب عليه من الأخيلة والصور[٣]؛ وذلك لأن طبيعة الشعر الغنائي « أن يكون انفعالات يتلو بعضها بعضاً وليس انفعالاً واحداً متصلاً ، وذلك لتعدد الانفعالات وتباينها نوعاً وقوة وضعفاً»[٤] .

أما الوحدة العضوية في الشعر المسرحي وشعر الملاحم فهي « أرسخ، ومقاييسها أوضح؛ لأنها ترجع إلى ترتيب أجزاء الحكاية أو الخرافة، وأثر ذلك في نفسية الأشخاص وتوالي الأحداث، فإذا اختلت الوحدة بأن نقلنا منظراً مسرحياً إلى غير مكانه، أو جزءاً من الملحمة إلىغير موضعه، انهار

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٣٠ .

(٢) النقد الأدبي الحديث ، د. محمد غنيمي هلال ، ص ٣٧٥ .

(٣) قضايا النقد الأدبي ، د. بدوي طبانه ، المطبعة الفنية الحديثة ، ص ٤٨ « بتصرف » .

(٤) في الأدب الحديث، د. عمر الدسوقي، جـ (٢)، ص: ٢٥١ .

العمل الفني من أساسه »[١] .

ولعل خير كلام قيل في الوحدة التي ينبغي أن تتوافر في النص الشعري ، كما ينبغي أن نفهم ، وكما ينبغي أن نقيس به الشعر العربي وغيره من ألوان الشعر الغنائي ، ما قاله مصطفى السحرتي عنها ، فهي عنده « الرباط الذي يضم التجربة ، والصور ، والانفعالات ، والموسيقى ، والألفاظ في وشاح خفي أثيري ، وبهذه الوحدة يتكامل القصيد وتدب فيه الحياة، وتلمح هذه الوحدة إبتداء ، من دوران أبيات القصيد دوراناً منطقياً شعرياً ، وتنقل هذه الأبيات تنقلاً فكريًا ، ويتأتى هذا الدوران المنطقي من توفر التجربة الشعرية ، وعرضها عرضًا جميلاً ، وصياغتها صياغة محكمة ـ صياغة لا هي بالطويلة المجرجرة ، ولا بالقصيرة الكاشفة ، فإذا اختلطت التجربة ، أورفّ عليها اللبس اضطربت الوحدة وتخلع بنيانها »[٢] .

ونحن في دراستنا للوحدة العضوية ، ومن ثم تطبيقها على شعر السنوسي الإسلامي ، نذهب مذهب الأستاذ مصطفى السحرتي في رؤيته للوحدة العضوية في القصيدة الغنائية ، وذلك لأن الوحدة في الشعر القصصي والملحمي والمسرحي وحدة موضوع ، أما الوحدة في الشعر الغنائي هي وحدة مشاعر وأحاسيس في المقام الأول، تقوى إذا التقت هذه المشاعر مع الموضوع .

وقد توافر لمعظم قصائد السنوسي ـ التي عنينا بدراستها ـ وحدة الموضوع ووحدة المشاعر ، وذلك لاستقلال معظم قصائده بموضوع واحد « تدور حوله الأفكار والمعاني ، وتتجاوب مع المشاعر والعاطفة والخيال في البناء الفني للقصيدة وحينئذ يتلاءم المضمون في العمل الفني مع الألفاظ والأساليب والصور والموسيقى والإيقاع »[٣] .

---

(١) النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، ص: ٣٨٣ .

(٢) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ، مصطفى عبداللطيف السحرتي ط(٢) ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، ص ٨١ .

(٣) المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية ، ص ١٤٨ .

وأكثر ما تبدو الوحدة العضوية واضحة وجلية في قصائده ذات النزعة القصصية، وليس أدل على ذلك من قصائده (ليلة الهجرة[١] ، عودة الماضي[٢] ، موكب السحاب[٣] ، أنشودة الصقر[٤] ، الفيلسوف والطائر الأعمى[٥] ، الكيان الكبير[٦] ، فارس الأحلام[٧] ، اليتيم السعيد[٨] ، وعصبة السفاح[٩]).

وسنقتصر من هذه المجموعة على قصيدتين لنبين من خلالهما معالم الوحدة العضوية في قصائده ذات النزعة القصصية .

ففي قصيدته (ليلة الهجرة) استلهم السنوسي بعض الأحداث التي شهدتها تلك الليلة العصيبة، كما عرض لما ترتب على نجاة الرسول ـ ﷺ ـ من انتشار للرسالة الإسلامية بعد أن كثر أعوانه .

والشيء الملحوظ في هذه القصيدة أن السنوسي لم يتعرض لكل الأحداث التي سايرت هجرة الرسول ـ ﷺ ـ إلى لحظة وصوله إلى المدينة المنورة ، وإنما اكتفى منها بما يخدم موضوع قصيدته تلك، والتي تدور حول أثر ليلة الهجرة في انتشار أنوار الرسالة الإسلامية في آفاق المعمورة ، وانحسار مد الظلم والطغيان الذي كان متفشياً فيها .

فهو يبدأ في تلك القصيدة بتمهيد بين فيه أثر تلك الليلة وفضلها وتفردها دون

---

(١) الأعمال الكاملة ص ٢٦١ - ٢٦٧ .
(٢) المصدر نفسه ص ٧٤ - ٥٦ .
(٣) المصدر السابق ص ١٢٥ - ١٣٢ .
(٤) المصدر السابق ص ١٧٢ - ١٨٧ .
(٥) المصدر السابق ص ٦٢٨ - ٦٣١ .
(٦) المصدر السابق ص ٥٨٥ - ٥٨٩ .
(٧) المصدر السابق ص ١٣٣ - ١٤٢ .
(٨) المصدر السابق ص ٤٠٦ - ٤٠٩ .
(٩) جريدة الندوة ، العدد (٦٤٠٨) في ١٤ /١/١٤٠٠هـ .

سائر الليالي ،ثم يعرض لبعض أحداثها ، واصفاً تعاطف الطبيعة ومظاهر الكون مع الرسول - ﷺ - نلمس ذلك في قوله[(١)] :

بَيْنَ إِشْرَاقَةِ الهُدَى مِن حِرَاءِ ... وانْطِلَاقِ الشُّعَاعِ نَحْوَ قُبَاءِ
لَيْلَةٌ مَا تَنَفَّسَ الصُّبْحُ عن مِثْـ ... ـلِ سَنَاهَا على ثَرَى الصَّحْرَاءِ
فَرْدَةٌ فَذَّةٌ تَنُوءُ بِسِرٍّ ... أَبْيَضَ في دُجُنَّةٍ سَوْدَاءِ[(٢)]
جَثَمَتْ حَوْلَهُ تَضُمُّ جَنَاحَيْـ ... ـهَا حُنُوّاً عَلَيْهِ كَالْوَرْقَاءِ[(٣)]
والسُّكُونُ العَمِيقُ يَمْلأُ قَلْبَ الـ ... أَرْضِ والكَوْنُ عَامِرٌ بِالرَّجَاءِ
وعُيُونُ السَّمَاءِ من كُلِّ نَجْمٍ ... رَصَدٌ لِلْعِصَابَةِ الرَّصْدَاءِ
يَطَأُ الأَرْضَ نُورُهَا في خُفُوتٍ ... ويُرَى لَائِذاً بِكُلِّ خِبَاءِ
كَمَّ أَنْفَاسَهُ الدُّجَى واقْشَعَرَّ الـ ... ـلَيلُ رُعْبًا وارْبَدَّ وَجْهُ الفَضَاءِ[(٤)]

فالسنوسي في هذه الأبيات، يصف تلك الليلة منذ أن جثمت على الكون موارية بظلامها الكثيف رسول الله - ﷺ -، ويصف تعاطف بعض مظاهر الكون والطبيعة مع الرسول - ﷺ -، ويجسم خشيتها عليه . ثم ينتقل إلى إبراز المكيدة التي دبرها كفار قريش للقضاء على رسول الله - ﷺ - ويجلي موقفه من مكيدتهم ، فيقول[(٥)]:

ومَشَتْ عُصْبَةُ الجَرِيمَةِ والكَيْـ ... ـدِ إِلَى غَايَةٍ لَهَا نَكْرَاءِ
رَسَمُوا خُطَّةَ القَضَاءِ على النُّوْ ... رِ وَهَبُّوا كَالزَّعْزَعِ الهَوْجَاءِ
والرَّسُولُ العَظِيمُ كَالطَّوْدِ إِيْمَا ... نًا وكَالنَّجْمِ في السَّنَا والسَّنَاءِ

---

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٢٦١ - ٢٦٢ .

(٢) دجنة : ظلمة .

(٣) جثمت: أي لزمت مكانها ولم تبرحه .

(٤) كمَّ : حبس ، واقشعر ، القشعريرة : الرعدة واقشعرار الجلد ، واربد : أي تغير لونه، والربدة: الغبرة .

(٥) الأعمال الكاملة ، ص ٢٦٣ - ٢٦٤ .

يَتَحَدَّى قُــوَى الضَّلَالِ بِقَلْبٍ عَامِرٍ بِاليَقِينِ والأَضْــــوَاءِ
رَصَــدُوا دَارَهُ كَمَا يُرْصَدُ الجَا نِي وثَارُوا عَلَيْهِ كَالغَوْغَـــاءِ
وطَغَى مَكْرُهُمْ فَشَاهَ وشَاهَتْ أَوْجُهٌ مَزَّقَتْ رِدَاءَ الحَيَـاءِ

ثم يعرض لنجاة الرسول - ﷺ - من تلك المكيدة ، ويصف مروره من بينهم بعد أن ذر على رؤوسهم التراب :

ونَجَا سَــــيِّدُ النَّبِيِّينَ والرُّسْـ ـلِ مُحَاطاً بِهَالَةٍ بَـيْـضَـــــاءِ
مَرَّ من بَيْنِهِمْ مُرُورَ شُعَاعِ الـ ـبَرْقِ بَيْنَ السَّحَابَةِ الدَّكْـــنَاءِ
ورَمَاهُمْ بِحَفْنَـــةٍ من تُرَابٍ كَلَّلَتْ كُلَّ هَامَةٍ جَــوْفَـــاءِ
وانْثَنَى يَنْفُضُ التُّرَابَ رِجَالٌ نَفَضَ اللهُ كَيْدَهُمْ في الهَوَاءِ[1]

ويصف ما ترتب على نجاة الرسول - ﷺ - ومعه خاتمة الرسالات السماوية من الوأد ، إذ مثلت تلك النجاة فتحاً مبيناً للرسالة الإسلامية ، فقد كثر معتنقوها ، وكثر الداعون إليها ، والمدافعون والمنافحون عنها، نلمس ذلك في قوله[2] :

إِنَّـهَــا اللَّيـلَـةُ الَّتِي وُلِـدَ العَا لَمُ في مَهْدِ فَجْرِهَا الـــوَضَّـاءِ
لَاحَ في ثَغْرِهَا الفَلَاحُ على الكَوْ نِ وفَاحَ الصَّلَاحُ في الغَبْرَاءِ[3]
وسَمَتْ في صَبَاحِهَا عِزَّةُ الإِسْــ ـلَامِ والمُسْـلِمِينَ في عَلْـيَـاءِ
واسْتَدَارَ التَّارِيخُ يُمْلِي على الدُّنْـ ـيَا سُطُورَ الرِّسَـالَةِ الغَـرَّاءِ

وفي الجزئية الأخيرة منها يصف انتشار الرسالة الإسلامية الواسع على أيدي معتنقيها من الصحابة الأبرار، أمثال خالد بن الوليد ، وزيد بن حارثة ، وعمرو بن العاص - رضوان الله عليهم - الذين حملوا مشعل العقيدة ، ليضيئوا به آفاق

---

(١) الأعمال الكاملة ص : ٢٦٤ .

(٢) المصدر السابق ص : ٢٦٥ .

(٣) الغبراء: الأرض لغبرة لونها، أو لما فيها من الغبار .

المعمورة، ويرسوا قيمها ، ومبادئها ، ومثلها . ويتجلى ذلك في قوله(١) :

وإِذَا تِلْكُمُ الصَّحَارَى حَدِيثُ الـ ... ـفُرْسِ والرُّومِ من قَرِيبٍ ونَاءِ
وإِذَا تِلْكُمُ الجَـزِيرَةُ يمتَـ ... ـدُّ سَنَاهَا عَبْرَ الذُّرَى والسَّمَاءِ
وإِذَا خَالِـدٌ وعَمْرٌو وزَيْدٌ ... فَلَكٌ دَائِرٌ على الأَجْـوَاءِ
يُرْسِلُونَ الضِّيَاءَ في كُـلِّ أُفقٍ ... ويُدَاوُونَ كُلَّ سُـقْمٍ ودَاءِ
ويُنِيرُونَ بِالعَدَالَةِ والإِسْـ ... ـلامِ دَرْبَ الحَيَاةِ والأَحْيَاءِ
ويُهِيبُونَ بالشُّعُوبِ إلى الحَـ ... ـقِّ نَقِيًّا من دَعْـوَةِ الأَدْعِيَاءِ
حَمَلُوا مِشْعَلَ العَقِيْدَةِ والإِيْـ ... ـمَانِ والعَدْلِ والحَيَا والوَفَاءِ

ونحن لو تأملنا هذه القصيدة التي استعرض فيها الشاعر بعض أحداث الهجرة النبوية، وما أسفرت عنه من انبثاق فجر الرسالة الإسلامية في آفاق المعمورة ــ لوجدنا الوحدة العضوية فيها بجميع مظاهرها . فموضوعها الذي تدور حوله هو بيان أثر الهجرة النبوية في انتشار الرسالة الإسلامية ، كذلك تبدو مظاهر الوحدة في تسلسل الأحداث داخل تلك القصيدة .

فهوعرض ــ أولاً ــ لوصف تلك الليلة التي أمر فيها الرسول ــ ﷺ ــ بمغادرة مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ، وجلّى تعاطف الطبيعة وبعض المظاهر الكونية مع شخص الرسول ــ ﷺ ــ وشخّص مشاعر الرغبة والرهبة التي انتابت تلك المظاهر ، ثم تعرض بعد ذلك لبيان مكيدة كفار قريش ، وألمح إلى خطتهم التي دبروها للإطاحة بسيد البشرية ورسالته . ثم يعرض للآثار التي ترتبت على نجاة الرسول ــ ﷺ ــ تلك الليلة، وما واكب تلك النجاة من انتصارات خالدة سطرها معتنقو الرسالة الإسلامية ــ بعد أن كثر عددهم ، وقويت شوكتهم ــ في شتى أرجاء المعمورة .

---

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .

ومـن مظـاهر الوحـدة في هـذه القصيـدة ، اسـتقصاء الشـاعر للمعـاني الخاصـة بكـل فكـرة على حـدة ، لذلـك لا نجـد تكـراراً للأفكـار والمعـاني في أحداث تلك القصـة مـن أولها إلى آخرهـا . فقـد رتـب الشـاعر الأفكـار ثـم وفـى كل فكرة حقهـا مـن المعـاني اللازمـة بهـا .

وهـذا كلـه دليـل علـى بـروز جـانب الوحـدة العضويـة في هـذه القصيـدة الـتي استلهم فيها ـ من السـيرة النبويـة ـ بعـض أحـداث ليلـة الهجـرة النبويـة .

وتتجلـى الوحـدة العضويـة بجميـع مظاهرهـا في قصيدتـه (الفيلسـوف والطائر الأعمـى) الـتي كـانت دفاعـاً منـه عـن العقيـدة الإسـلامية ـ ممثلـة في أهـم أسسـها ، وهـو الإيمـان بوجـود الله ، خـالق هـذا الكـون ورازق كـل مـا فيـه ـ ضد من أنكـروا وجـوده ، وربطـوا كـل مظـاهر الحيـاة الـتي نعيشـها بالمصادفـة .

وقـد بـدأ السنوسـي قصيدتـه تلـك بعرضـه لمزاعـم القـائلين بالمصادفـة علـى لسـان أحـد فلاسـفتهم فيقـول[١] :

زَعَـمُـوا أَنَّ فَيْلَسُوفاً عَظِيْماً ... دَائِـمَ الفِكْـرِ رَاحِـلاً ومُقِيْمَـا
كَانَ من سُخْفِهِ الكَبِيرِ غُرُوراً ... لا يَـرَى لِلْوُجُـودِ رَبّاً رَحِيْمَـا
وَيَرَى الأَرْضَ والسَّمَاءَ شُمُوسَاً ... وبُـدُوراً تَـأَلَّقَتْ ونُجُومَـا
والمحِيْطَاتِ والجِبَالَ وما هَـ ... ـبَّ ومَـا دَبَّ طَـائِراً وبَهِيْمَـا
كُلَّهَا صُدْفَةٌ بِهَا فَاضَتِ الأَكْـ ... ـوَانُ لا خَالِقـاً ولا قَيُّومَـا

ثـم يعـرض السنوسـي لوصـف إحـدى رحـلات ذلـك الفيلسـوف ، ورؤيتـه في تلـك الرحلـة لمشـهد مـن مشـاهد الحيـاة، حمـل في بدايـة الأمـر دليـلاً علـى مزاعـم ذلـك الفيلسـوف ، فيقـول[٢] :

---

(١) المصدر السابق ، ص ٦٢٨ – ٦٢٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٢٩ .

كَـانَ فِي رِحْلَةٍ فَأَدْرَكَهُ الأَيْـ ـنُ فَأَلْقَى العَصَا يَرُومُ الجُمُومَا[١]

وارْتَمَى فِي ظِلاَلِ أَيْكٍ نَضِيرٍ وتَرَاخَى يُحَاوِلُ التَّـهْـويمَا[٢]

فَرَأَى طَائِرًا على فَرْعِ غُصْنٍ غَائِرَ النَّاظِرَيْنِ أَعْمَى سَقِيمَا

جَاثِمًا فَوْقَ غُصْنِهِ فِي سُكُونٍ وهُدُوءٍ لَا يَعْرِفُ التَّحْوِيمَا

فَرَأَى فِيهِ لِلْجُحُودِ دَلِيلاً واحْتِجَاجًا يُعَزِّزُ المَفْهُومَا

ويواصل السنوسي تقديمه لمزاعم ذلك الفيلسوف بعد أن رأى ذلك المشهد :

واسْتَخَفَّتْ بِهِ الحَمَاقَةُ واسْتَلْـ ـقَى من الضَّحكِ هَازِئًا مَنْهُومَا[٣]

كَيْفَ يَقْتَاتُ ذَلِكَ الطَّيْرُ إِنْ رَا مَ طَعَامًا مُحَاوِلاً أَنْ يَقُومَا ؟

كَيْفَ يَسْعَى لِرِزْقِهِ كَيْفَ يَمْشِي فَاتِحًا مُحْضَرًا وسِيْنًا وجَيْمًا[٤]؟

ثم يعرض للمفاجأة التي ترتبت على نهاية ذلك المشهد ، والتي حملت رداً قوياً وملموساً على مزاعم ذلك الفيلسوف التي رسخت في ذهنه[٥] :

لَمْ يَرُعْهُ إِلاَّ حَفِيفُ جَنَاحٍ وصَدَى طَائِرٍ يَرُومُ الحُتُومَا[٦]

وَرَآهُ مُرَفْرِفًا فِي اعْتِنَاءٍ يَقْصِدُ الطَّائِرَ الضَّرِيرَ المُقِيمَا

مَدَّ مِنْقَارَهُ إِلَيْهِ وأَلْقَى فِي يَدَيْهِ المَشْرُوبَ والمَطْعُومَا

وغَدَا الطَّائِرَانِ إِلْفًا لإِلْفٍ مِثْلَمَا يَأْلَفُ الحَمِيمُ الحَمِيمَا

يُرْسِلاَنِ الغِنَاءَ شُكْرًا وتَسْبِيـ ـحًا لِرَبِّ الحَيَاةِ عَذْبًا رَخِيمَا

ويصف الشاعر في نهاية هذه القصيدة تحول ذلك الفيلسوف من حالة الكفر

---

(١) الأين : التعب والإعياء ، ويروم : يطلب ، والجموم : الراحة .

(٢) التهويما : النوم الخفيف .

(٣) منهوما : النهمة : بلوغ الهمة في الشيء .

(٤) الأعمال الكاملة : ص ٦٣٠ .

(٥) المصدر نفسه : ص ٦٣٠ - ٦٣١ .

(٦) الحثوما : الحثمة : أكيمة صغيرة سوداء من حجارة .

والإنكار والجحود ـ التي كان عليها قبل رؤيته لذلك المشهد ـ إلى الإيمان با لله وتوحيده:

فَإِذَا الفَيْلَسُوفُ من حِكْمَةِ اللّٰـ ـهِ ومن لُطْفِهِ يَخِرُّ وجُـومَا

فَـتَـهَـاوَى خِزْياً وآمَنَ بِاللّٰـ ـهِ تعَالَى .. وَجَلَّ رَبّاً رَحِيْمَا

مُلْهِمُ الطَّائِرِ البَصِيرِ هُدَاهُ أَطْعَمَ الطَّائِرَ الضَّرِيرَ العَدِيْمَا[1]

فهذه القصيدة كما نرى قد تحققت فيها كل مظاهر الوحدة العضوية ، فهي من بدايتها إلى نهايتها ، معنية بتتبع ذلك الفيلسوف ، وتحوله من حالة الكفر والجحود إلى الإيمان با لله خالقاً ورازقاً . كذلك تبدو مظاهر الوحدة في تسلسل الأحداث داخل القصيدة ، فقد عرض الشاعر — أولاً — لمزاعم ذلك الفيلسوف الذي ينكر وجود خالق مدبر لهذا الكون بكل مظاهره ، ثم يعرض لمشهد من مشاهد الحياة عزز في بادىء الأمر مزاعم ذلك الفيلسوف وقواها في عالمه ، ثم بدأ في رصد التحولات في حياة ذلك الفيلسوف ، بعد أن وقع بصره على ما قوَّض كل تلك الصروح التي اختزنها فكره ، بعد رؤيته لذلك الطائر السليم وهو يمد صنوه الضرير بالطعام والشراب ؛ لينتهي به ذلك المشهد إلى الإيمان بوجود خالق مدبر لهذا الكون بكل مظاهره التي نبصرها ، والتي لا نبصرها .

ومن مظاهر الوحدة العضوية في هذه القصيدة ، استقصاء الشاعر للمعاني الخاصة بكل فكرة ، فنحن لا نجد تكراراً للأفكار والمعاني في أحداث هذه القصيدة التي جاءت في أسلوب قصصي جميل، يغري بمتابعته إلى حيث ينتهي ، وعدم التكرار للأفكار والمعاني راجع إلى ترتيب الشاعر لها في ذهنه ، ثم منحه لكل فكرة معانيها اللازمة لها .

(١) الأعمال الكاملة، ص ٦٣١ .

وتبدو الوحدة العضوية ـ أحياناً ـ في بعض قصائده التي خلت من النزعة القصصية ، ويأتي في مقدمة هذه القصائد ، قصيدته (حطم المارد القيود[١]) و(اللحن السجين[٢]) و (آل سعود في التاريخ[٣]) و(انتصار الحرية[٤]) و (هوية الإنسان[٥]) و (خواطر لاجيء[٦]) و(الليل والشاعر[٧]) و (وعقدة الأسى[٨]) وغيرها كثير في شعر السنوسي.

وقد توافرت الوحدة الفنية لهذه القصائد وغيرها ، من خلال هيمنة إحساس واحد وشعور واحد على كل منها ، وتضافر الألفاظ والصور في كل قصيدة من تلك القصائد لإبراز الإحساس أو الشعور المهيمن عليها .

ونقف في بعض قصائده الأخرى على هذه الوحدة ، إلا أنها لا تشمل النص بكامله ، وإنما تستقل بعدة أبيات منها ، فنرى تلك الأبيات بنية حية متماسكة ، تتضافر فيها الألفاظ والصور ؛ لتجلية المعنى الذي يرمي إليه ، أو إبراز الإحساس الذي اعتراه فيها .

ومن نماذج تلك الوحدة في بعض قصائد الشاعر ، قوله في قصيدته (رمضان) باثاً شكواه لذلك الشهر الكريم من حالة الضعف التي تمر بها أمته الإسلامية ، واصفاً تقهقرها أمام الأمم[٩] :

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٦ - ٣١ .

(٢) ص ٩٥ - ٩٧ .

(٣) ص ١٦٤ - ١٧١ .

(٤) ص ٣٣٠ - ٣٣٤ .

(٥) ص ٣٧٨ ، ٣٨٠ .

(٦) ص ٤٧٦ - ٤٧٠ .

(٧) ص ٤٨٠ - ٤٨٢ .

(٨) ص ٥٦٧ - ٥٧٠ .

(٩) المصدر نفسه ، ص ٣٢٦ - ٣٢٧ .

رَمَضَانُ مَعْذِرَةً فَإِنَّـ ـا لا وَرَاءَ ولا أَمَامْ
ـِمْنَـا وأَسْرَى المُدْلجُو نَ وما عَسَى يَجِدُ النِّيَامْ
طَالَ الطَّرِيقُ بِنَا وضَـ ـلَّ وهَدَّ مَنْكِبَنَا الزِّحَامْ
ولَوَى الطُّمُوحُ عِنَانَهُ وانْقَدَّ من يَدِنَا الزِّمَامْ
سَخِرَتْ بِنَا الأَهْوَاءُ وانْـ ـطَلَقَتْ تُقَهْقِهُ في عُرَامْ[1]
وتَخَاذَلَتْ هِمَمُ النُّفُو سِ فلا انْطِلاقَ ولا اقْتِحَامْ
حَالٌ يَغَصُّ بِهَا الكِرَا مُ شَجًى ويَبْتَهِجُ اللِّئَامْ

فالشاعر ـ كما هو ملاحظ هنا ـ قد استوفى عناصر الفكرة التي أراد التعبير عنها، فهو هنا يصف حالة التقهقر التي تمر بها الأمة الإسلامية على مرأى ومسمع من أبنائها ، وقد تظاهرت الألفاظ والصور في تلك الأبيات في إبراز تلك الفكرة وذلك الإحساس الذي هيجته في عالمه إطلالة شهر رمضان المبارك وذكريات أول انتصار للمسلمين على الكفر والطغيان .

ونقف على تلك الوحدة في بعض أبيات من قصيدته (جهاد واتحاد) كما في قوله واصفًا تحفز أبناء فلسطين للجهاد[2] :

فَعلَى شَاطِئِ القَنَاةِ وفي الأَرْ دُنِ نَهرًا وقِمَّةً وَوِهَادَا[3]
نَـفَـرٌ يَغزلُونَ لِلنَّصْرِ فَجْـراً عَرَبِيًّا يَمْحُو سَنَاهُ السَّوادَا
نَفَرٌ أَقْسَمُوا بِرَبِّهِمُ الأَعْـ ـلَى يَمِيناً لأَرْضِهِمْ أَنْ تُعَادَا
وقَفُوا كالجِبَالِ حَزْماً وعَزْماً وتَحَدَّوا الطُّغَاةَ والمُرَّادَا
وتَبَارَوْا إلى اللَّظَى والمَنَايَا يُرْخِصُونَ الأَرْوَاحَ والأَجْسَادَا

---

(١) تقهقه في عرام : أي تضحك بشدة إمعاناً في السخرية .

(٢) الأعمال الكاملة : ص ٤٩٠ - ٤٩١ .

(٣) الوهاد : المكان المطمئن من الأرض والمنخفض كأنه حفرة .

لا يُقِيمُونَ لِلصَّوَارِيخِ وَزْنًا حِيْنَ تَنْقَضُّ جُمْلَةً أَوْ فُرَادَا
في الطَّرِيقِ الرَّهِيبِ طَارُوا صُقُورًا ومَشَوا في ظِلَالِهِ آسَادَا

فالوحدة التي ننشدها قائمة في هذه الأبيات ؛ لأن الفكرة التي تدور حولها الأبيات السابقة واحدة ،وتتمثل في تأكيد استعداد أبناء فلسطين لملاقاة عدوهم وتحفزهم له ، وقد أسهمت الصور الجزئية التي استعان بها السنوسي في هذه الأبيات في رسم معالم الصورة الكلية التي حققت تلك الوحدة .

الفصل الرابع

الشكل والصورة في الشعر الإسلامي

المبحث الأول

المعجم الشعري

المعجم الشعري

من الأمور البديهية في عالم الشعر أن لكل شاعر معجمه الذي يظهر لنا عن طريقه مفهومه للكون المحيط به ويحدد علاقاته بالآخرين ، ولعل هذا لايكاد ينطبق إلا على الشاعر المبدع الذي لا نرى فيه صورة غيره ، وإن كنا نؤمن بوجودها في مسيرة الشاعر الشعرية قبل أن يتم له النضج[١] ، وهذا نفسه ينطبق على شاعرنا ، فبداياته الشعرية نلمس فيها احتذاءه لشعرائنا القدماء — من العصر الجاهلي والأموي والعباسي — في حبكهم للقصيدة وبنائها وإيثارهم للألفاظ الجزلة والفخمة فيها . ومرد ذلك لقراءاته الأولى التي أبان عن أثرها في شعره بقوله : « ولعل قراءتي الأولى للشعر كانت المعلقات ، ثم وجدت في مكتبة والدي مختارات البارودي بأجزائها الأربعة ؛ فكانت مدرستي وجامعتي الأدبية ، فنهلت من شعر الشعراء الذين ضمت أشعارهم تلك المختارات حتى استقامت في لساني ، وجرت على قلمي الكلمة العربية الأصيلة في أسلوبها الفني وديباجتها »[٢] .

وكما تأثر معجم شاعرنا بقراءاته في كتب التراث ، والمختارات والدواوين الشعرية لشعرائنا القدماء ، تأثر أيضًا بواقعه وعصره الذي يعيشه، « ذلك لأن الشاعر يعيش وسط المجموع ، وفي إطار فترة تاريخية تتميز عن سابقتها ولاحقتها بمميزات أهمها التطور الحضاري ، الذي يؤثر بصورة أو

---

(١) شعر حسين سرحان دراسة نقدية ، أحمد عبد الله صالح المحسن ، ط(١) ١/٧ / ١٤١١هـ — ١/١٦ / ١٩٩١م ، ص ١٦١ « بتصرف » .

(٢) مجلة الفيصل ، العدد (٧٣) ، رجب ١٤٠٣هـ ، في حوار أجراه معه أحمد عائل فقيه .

بأخرى بكل مجريات الحياة ويطبعها بالطابع العصري »[١] ولم يكن الشعر بمنجاة من هذا التطور الذي أثر في مجريات الحياة خاصة في ألفاظه[٢] .

والذي يعنينا في هذه الدراسة هوالوقوف على معجم شاعرنا الإسلامي ، ومحاولة الإلمام بالروافد التي شكلت ذلك المعجم في شعره الذي عنينا بدراسته . ولعل المتأمل في شعر شاعرنا الإسلامي يقف على عمق أثر ثقافته الإسلامية في ثراء معجمه الشعري الإسلامي، وتعدد مصادر ذلك المعجم . وسنقتصر - في دراستنا - على ما يؤكد تأثر معجم شاعرنا بمصادر ثقافتنا الإسلامية .

أولاً : الاقتباس من القرآن الكريم:

يقول السنوسي في قصيدته (أم القرى) التي كانت صدى واستجابة لذلك التجمع الإسلامي الذي شهدته مكة المكرمة، في أول مؤتمر يجتمع فيه المسلمون لمناقشة أوضاعهم المختلفة، ومحالة إيجاد الحلول المناسبة لمايعانونه من جراء حالة التفرق والتشتت التي شلت قواهم، وأفقدتهم عزتهم ومنعتهم :

آنسَتُ فِيهِ سَنَاً من القَبَسِ الَّذِي مُوسَى تَشَــوَّفَهُ هُدًى وَتَنَوَّرا[٣]

فمعظم ألفاظ هذا البيت مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ، إِذْ رَأَى نَارًا ، فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾[٤] .

---

(١) شعر حسين سرحان دراسة نقدية ، ص ١٧١ .

(٢) يقول الدكتور عبد القادر القط عن الشعر إنه « يتأثر بالتطور الحضاري ، وإن لم يتخذ صورة تغير حاسم من مرحلة إلى أخرى » الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، ط(٢) ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ص ٣٥٠ .

(٣) الأعمال الكاملة ، ص ١٥ .

(٤) سورة طه . الآية ٩ - ١٠ .

وفي قصيدته (حطم المارد القيود) يصف السنوسي مشاركة إخوانه العرب، في دحر العدوان الثلاثي، وتأميم قناة السويس إلى جانب إخوانهم في مصر :

أَسْفَرَ الحَقُّ من وَرَاءِ الأَبَاطِيـ ـلِ وسِرْنَا يَحُدُّ وسُـرَانَا الفَلاَحُ
واعْتَصَمْنَا بِعُرْوَةِ الوِحْدَةِ الوُثْـ قَى وشُدَّتْ على القُلُوبِ الصِّفَاحُ[1]

فلفظتا (العروة ، الوثقى) مأخوذتان من قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِا للهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى ﴾[2] .

وفي قصيدته (بطولة الجزائر) يؤكد إيمان أبناء الجزائر بقضيتهم ، وأحقيتهم باستعادة أراضيهم التي ظن المستعمر البغيض أنها امتدادٌ لأراضيه ، واصفاً شجاعتهم وبسالتهم :

هَنَا جَبْهَةُ التَّحْرِيرِ والحَقِّ والهُدَى تَخِرُّ النَّوَاصِي عِنْدَهَا وتُصَابُ[3]

فلفظة (النواصي) مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ يُعْرَفُ المُجْرِمُونَ بِسِيْمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بالنَّوَاصِي والأَقْدَامِ ﴾[4] .

ويمضي شاعرنا في نفس القصيدة، مؤكداً ومعمقًا إيمان الجزائر يين بقضيتهم ، وتصميمهم على دحر طغيان فرنسا ، وتحسيسها بمرارة الهزيمة ولوعات الذلة والانكسار ، قائلاً :

هُنَا النَّارُ زَادٌ لِلْجِيَاعِ وهَا هُنَا حَمِيمٌ لِأَكْبَادِ الظِّمَاءِ شَرَابُ[5]

---

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٣٠ .
(٢) سورة البقرة . الآية : ٢٥٦ .
(٣) الأعمال الكاملة ، ص ١٩٠ .
(٤) سورة الرحمن . الآية : ٤١ .
(٥) الأعمال الكاملة ، ص ١٩١ .

فلفظة (حميم) مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ والَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾[1] .

وفي قصيدته (تأميم وتصميم) التي كانت صدى لذلك التكتل العربي في وجه العداون الثلاثي الذي شنته بريطانيا وحليفاتها على مصر . يقول مستنكراً على لسان الملك فيصل -رحمه الله- تلك الفعلة الشنيعة ، متناسية مواقف البلدان العربية -بما فيهم السعودية- الجميلة معهم في حروبهم مع الألمان :

فَيَا خُلَعَاءَ السِّنِيْنِ والمَنْشِ إِنَّنَا نُذَكِّرُكُم لَوْ تَنْفَعُ الغَادِرَ الذِّكْرَى[2]

فألفاظ الشطر الثاني من هذا البيت مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ﴾[3] .

وفي قصيدته (اليوم الخالد) التي كانت استجابة لذلك المشهد الروحاني الجميل، الذي يجتمع فيه المسلمون من كل حدب وصوب، في وحدة رائعة في الوجهة ، والزي، والغاية. يقول السنوسي :

من كُلِّ فَجٍّ أَقْبَلُوا حُسَّراً شَوْقاً إلى البَيْتِ العَتِيقِ الحَرَامْ[4]

فلفظة (فج) مأخوذة من قول الله تعالى : ﴿ وأَذِّنْ في النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾[5] .

ويستلهم موقف الرسول -ﷺ- في ذلك اليوم الخالد وخطبته التي أتم بها للمسلمين رسالة ربهم إليهم قائلاً :

اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَتَمَّتِ النِّعْمَةُ فِيْكُمْ تَمَامْ[6]

---

(١) سورة يونس . الآية : ٤ .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ١٦٠ .

(٣) سورة الأعلى . الآية : ٩ .

(٤) الأعمال الكاملة ، ص ٤٤٨ .

(٥) سورة الحج . الآية : ٢٧ .

(٦) الأعمال الكاملة ، ص ٤٤٩ .

فألفاظ هذا البيت مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً ﴾[1] .

وفي قصيدته (دعوة الحق) التي يرد فيها على متهمي الدين بالجمود والرجعية يتذكر ماضي الإسلام والمسلمين بقوله :

وكُنَّا خَيْرَ أُمَّتِهِ خِلَالاً   بِدِينِ مُحَمَّدٍ مُتَمَسِّكِينَا[2]

فمعظم ألفاظ الشطر الأول مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾[3] .

ويؤكد في نفس القصيدة وضوح الدين الإسلامي بقوله :

طَرِيقاً واضِحاً لا أَمْتَ فِيهِ   ولا عِوَجاً هُدَاةً مُهْتَدِينَا[4]

فلفظتا (عوجا ، أمتا) مأخوذتان من قوله تعالى : ﴿ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلَا أَمْتاً ﴾[5] .

وفي قصيدته التي خص بها أبا بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ يقول:

سِيرَا ـ فَدَيْتُكُما ـ سِيرَا إلى بَلَدٍ   للهِ فِيهِ حَوارِيُّونَ أَنْصَارُ[6]

فلفظتا (حواريون ، أنصار) مأخوذتان من قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ من بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ

(١) سورة المائدة . الآية : ٣ .
(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٥٥٣ .
(٣) سورة آل عمران . الآية : ١١٠ .
(٤) الأعمال الكاملة ، ص ٥٥٤ .
(٥) سورة طه . الآية : ١٠٧ .
(٦) الأعمال الكاملة ، ص ٥٣٥ .

آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾[١] .

ويقول في نفس القصيدة :

هَذَا وقَدْ جَاءَ نَصْرُ اللهِ مُنْبَلِجاً وأَشْرَقَتْ بِالهُدَى دُورٌ وأَمْصَارُ[٢]

فالألفاظ (جاء نصر الله) من قوله تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ والفَتْحِ ﴾[٣] .

وفي قصديته (هي الجزيرة) يؤكد دعوة الدين الدائمة إلى الحق بقوله :

دِينٌ إِلَى الحَقِّ يَدْعُو كُلَّ ذِي شَطَطٍ

ودَعْـوَةُ الحَـــقِّ لا تَعْنُو لِجَبَّارِ[٤]

فلفظة (شطط) مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ كَـانَ يَقُـولُ سَـفِيهُنَا عَلَـى اللهِ شَطَطاً ﴾[٥] .

وفي قصديته (قوس حاجب) يحث المسلمين على الوحدة ومن ثـم تجديـد عزة الإسلام عن طريق الجهاد وقيادة العالم من جديد ، مبلغين رسالة ربهم ، مؤكـداً لهـم أنهم يستطيعون ذلك فالوقت لا زال فيه متسع لهم :

وفي الخِضَمِّ لِمَنْ شُدَّتْ سَوَاعِدُهُ سَبْحٌ يَهُونُ بِهِ التَّيَّارُ مُصْطَخِبَا[٦]

فلفظة (سبح) مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً ﴾[٧].

ويقول في نفس القصيدة :

---

(١) سورة الصف . الآية : ١٤ .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٥٣٦ .

(٣) سورة النصر . الآية : ١ .

(٤) الأعمال الكاملة ، ص ٣١٢ .

(٥) سورة الجن . الآية : ٤ .

(٦) الأعمال الكاملة ، ص ١١١ .

(٧) سورة المزمل . الآية : ٧ .

وإنْ لَمْ يَكُـــنْ إلاَّ عُتُوٌّ وغِلْظَةٌ   فَلَيْسَ لَنَا إلاَّ الرَّصَاصُ جَوابُ[١]

فلفظتا (عتو ، غلظة) مأخوذتان من قوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّواْ فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴾[٢] وقوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَـاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾[٣] .

وفي نفس القصيدة يقول :

فَكُلُّ رِيالٍ من يَدَيْكَ رَصَاصَةٌ   لِكُلِّ فَرَنْسِيٍّ طَغَى وعَذَابُ[٤]

فلفظة (طغى) مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾[٥] .

ويقول في قصيدته (إفاقة) :

كَـأَنَّ عَلَى الإِنْسَانِ ضَرْبَةُ لازِبٍ   عُبُورَ الطَّرِيقِ الوَعْرِ مَهْمَا تَزَوَّدَا[٦]

فلفظة (لازب) مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُـمْ أَشَـدُّ خَلْقـاً أَم مَّـنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ ﴾[٧] .

وفي قصديته (أبي) يقول :

وتَـدَجَّى الدُّجَى الكَثِيفُ بِجِلْبَا   بِ التَّياعِي وسَابِغَاتِ حِدَادِ[٨]

فلفظة (سابغات) مـأخوذة مـن قولـه تعـالى : ﴿ أَنِ اعْمَـلْ سَـابِغَاتٍ وقَـدِّرْ في

---

(١) الأعمال الكاملة ، ص ١٩٩ .

(٢) سورة الملك . الآية : ٢١ .

(٣) سورة التوبة . الآية : ١٢٣ .

(٤) الأعمال الكاملة ، ص ١٩٦ .

(٥) سورة النازعات . الآية : ١٧ .

(٦) الأعمال الكاملة ، ص ٣٦٤ .

(٧) سورة الصافات . الآية : ١١ .

(٨) شعراء من الجنوب ، ص ٩٧ .

السَّرْدِ واعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[١] .

وفي قصيدته (فرحة اليمن) التي كانت صدى جميلاً لروح الأخوة الحقة التي سادت بين الأشقاء في اليمن،بعد سنوات من الشقاق والحروب الأهلية المدمرة يقول:

وتُرِيقُ فَوْقَ النَّارِ ثَجَّاجَــــاً سَخِيَّ المُعْصِرَاتِ[٢]

فلفظتا (ثجاجاً ، المعصرات) مأخوذتان من قوله تعالى : ﴿ وأَنْزَلْنَا مِنَ المُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً﴾[٣] .

وفي قصيدته (أبي) التي كانت دمعة حرى كاوية، أراقها رحيل والده ومغادرته الحياة الدينا . يقول :

وارْسِلِ الطَّرْفَ رَائِداً يَرْجِعُ الطَّرْ فُ حَسِيراً ولَنْ تَرَى غَيْرَ بَادِ[٤]

فلفظة (حسير) مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ارْجِعِ البَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ البَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾[٥] .

وعلى لسان فرسان الحرس الوطني يقول :

إِي وَرَبِّ العَادِيَاتِ في الضُّحَى والمُورِيَاتِ
والمُغِيرَاتِ صَبَاحاً ومَسَاءً كالبُـزَاتِ[٦]

فالألفاظ (العاديات ، الضحى ، الموريات ، المغيرات ، صباحاً) مأخوذة من قوله تعالى: ﴿ والعَادِيَاتِ ضَبْحاً ، فالمُورِيَاتِ قَدْحاً ، فالمُغِيرَاتِ صُبْحاً ﴾[٧].

---

(١) سورة سبأ . الآية : ١١ .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٥٠٦ .

(٣) سورة النبأ . الآية : ١٤ .

(٤) شعراء الجنوب ، ص ٩٦ .

(٥) سورة الملك . الآية : ٤ .

(٦) الأعمال الكاملة ، ص ٧٩٢ .

(٧) سورة العاديات . الآية : ١ ، ٢ ، ٣ .

وفي قصيدته : (بطولة الجزائر) يقول :

أَخي إِنَّهَا أَرْضِي وأَرْضُكَ أَشْرَقَتْ　　　بِآبَائِنَا طُوبَى لَهُمْ ومَـآبُ[١]

فلفظتا (طوبي) و(مآب) مأخوذتـان مـن قولـه تعـالى : ﴿ الَّذِيـنَ آمنَـوا وعَمِلُـوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾[٢] .

ومن مظاهر اقتباسه من القرآن ذكره لعدد من الأنبياء والرسل ، وإشارته لبعـض قصصه لأخذ العبرة منهـا . حيـث نجـد في معجمـه أسمـاء بعـض الرسـل والأنبيـاء : نلمس ذلك في قوله :

مِيلَادُ (عِيسَى) ومَسْرَى (أَحْمَدٍ) وهُدَى

(مُوسَى) ومَجْمَعُ خَطَّابِي ومِقْدَادِي[٣]

وقوله :

مَقَامُ (إِبْرَاهِيمَ) سَامِي الخُطَى　　　وحِجْرُ (إِسْمَاعِيلَ) نِعْمَ الغُلَامْ[٤]

وقوله :

أَجَلْ إِنَّهُ ما زَالَ شَرْخاً ولَمْ تَزَلْ　　　بِفِيِّ القَوَافِي من مَزَامِيْرِ (دَاوُدِ)[٥]

وقوله :

(يُوسُفُ) كَانَ الجَمَالُ لَهُ　　　مِحْـنَـةً والـطُّـهْـرُ في أُزُرِهْ[٦]

ومن قصص القرآن الـتي أشـار إليهـا السنوسـي قصـة (عـاد وثمـود) في وصفـه لشجاعة الملك عبدالعزيز ـ رحمه ا لله ـ وهمته التي دفعت بـه إلى مواجهـة الأخطـار في

---

(١) الأعمال الكاملة ، ص ١٩٦ .

(٢) سورة الرعد . الآية: ٢٩ .

(٣) الأعمال الكاملة ، ص ٤٧٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٤٨ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٣٥٨ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٩٧ .

سبيل استعادة ملك آبائه وأجداده من الذين اغتصبوه منهم، وعملوا على نشر الظلم في أنحائه :

وَالـثَّـرَى تَسْرَحُ فِي أَشْبَاحِهِ العَمَالِيـقُ وعَادٌ وثَمُودْ[1]

وإشارته إلى قصة (قارون) الذي أهلكه الله عقاباً له على طغيانه، بسبب ما وهبه الله من أموال :

مَضَتْ مُنْذُ قَارُونٍ بِنَا وحَيَاتُنَا تَدُورُ على أَهْوَائِهَا وتَسِيرُ[2]

وهناك ألفاظ قرآنية يكثر الشاعر من تكرارها ، منها ما يتعلق بأصول العقيدة مثل : الهدى، التقى ، البر ، الإيمان ، التوحيد ، التكبير ، التهليل ، وما يقابلها من ألفاظ الشرك والكفر.

وكذلك العبادات مثل : الصلاة ، الصوم ، الحج ، الركوع ، السجود . بالإضافة إلى الألفاظ التي تتعلق باليوم الآخر مثل : النار ، الحساب ، الجحيم .

ومن شواهد ذلك قوله[3] :

رَصِيدُ الحَيَاةِ الخَيْرُ والبِرُّ والتُّقَى وكُـلُّ رَصِيدٍ غَيْرُهُنَّ قشُـــورُ

وقوله[4] :

فَلِلـدِّينِ فَضْلٌ فِي الحَيَاةِ لِأَنَّهَا بِغَيْرِ الهُدَى تَغْدُو جَحِيماً بِهِ نَصْلَى

وقوله[5] :

قَدَمِي ثَابِتٌ يُوَطِّدُهُ الإِيْـ ـمَانُ بِاللهِ والنُّهَى والحُقُوقِ

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٣٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٤٢ .

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٤٤ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٥٦٠ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٤٣ .

وقوله[1] :

هَلَّلَ الكَــوْنُ على أَصْدَائِهَا　　　واسْتَهَلَّ النَّصْرُ وافْتَرَّ السُّعُودْ

وقوله[2] :

تَمَــلأُ بِالتَّكْبِيرِ قَلْبَ السَّمَا　　　على اخْتِلَافٍ في اللُّغَى والكَلَامْ

وقوله[3] :

في حَيَاةٍ طَلِيقَةِ الخَطْوِ لَكِنْ　　　في حُدُودِ الرَّشَادِ والتَّوْحِيْدِ

وقوله[4] :

ظَـنَّ الصِّيَامَ عن الغِذَا　　　ءِ هُوَ الحَقِيْقَةُ في الصِّيَامْ

وقوله[5] :

حَجٌّ كَمَا شَاءَتْ نُفُوسُ الوَرَى　　　مُبَرَّأُ من كُـــلِّ عَيْبٍ وذَامْ

وقوله[6] :

تَسْمُو بِهَا الصَّلَوَاتُ والدَّعَوَاتُ تَضْطَرِمُ اضْطِرَامْ

وقوله[7] :

مَلِكٌ لَمْ يُطَأْطِىءِ الرَّأْسَ إلَّا　　　في رُكُوعٍ لِرَبِّهِ أَوْ سُجُودِ

وقوله[8] :

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٤١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٥٠ .

(٣) المصدر نفسه، ص، ٤٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٢٨ .

(٥) المصدر نفسه ٤٥١ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٣٢٩ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ٤٢ .

(٨) المصدر نفسه ، ص ١٥٥ .

صَبَبْنَا عَلَيهِ النَّـــارَ صَبّاً فَأَجْفَلَتْ
تَهاوَى ورُحْنَا نَحْصِدُ الشِّرْكَ والكُفْرَا

وقوله[١] :

وأَنْتَ مُلاقٍ كُلَّ شيءٍ عَمِلْتَهُ جَزَاءً وِفَاقاً والحِسَابُ عَسِيرُ

ثانياً : الاقتباس من الحديث النبوي :

تأثر معجم السنوسي الشعري بالحديث النبوي كما تأثر بـالقرآن الكريـم،إلا أن تأثيره لم يكن بنفس العمق ، ويبدو لي أن سهولة حفظ آيات القرآن الكريم وسوره ، ومن ثم تلاوة تلك الآيات والسور في عباداته وبالأخص في صلواته الخمس كانا وراء ذلك الأثر والعمق .

ومن مظاهر تأثر معجم السنوسي بالحديث النبوي قوله عن عمر بن الخطـاب ـ رضي ا لله عنه ـ:

العَبْقَرِيُّ الَّـــذي يَخْشَى صَرَامَتَهُ
إِبْلِيسُ أَنَّى مَشَى في السَّهْلِ والجَلَدِ[٢]

فلفظة (عبقري) مأخوذة من قول الرسول ـ ﷺ ـ : (أريت في المنام أني أنـزع بدلو بكرة على قليب فجاء أبو بكر فنزع ذنوباً أو ذنوبين نزعاً ضعيفاً وا لله يغفر لـه. ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غرباً ، فلم أر عبقريـاً يفـري فريـه ، حتـى روى الناس وضربوا بعطن)[٣] .

وقوله في قصيدته (إلى غزاة الفضاء) :

---

(١) المصدر السابق ، ص ٥٤٢ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٢٢ .

(٣) فتح الباري ، كتاب فضائل الصحابة ، ج(٧) ص ٤١ .

مَـــدِيْنَةُ النُّورِ عَادَ النُّورُ مُنْطَلِقاً

مِـن لَابَتَيْكِ قَوِيَّاً مِثْلَ مَا كَانَا[١]

فلفظة (لابة) مـأخوذة مـن قـول الرسـول ـ ﷺ ـ (إنـي أحـرم مـا بـين لابـتي المدينـة أن يقطـع عضاهـا ، أو يقتـل صيدهـا ...)[٢] .

وقولـه في قصيدتـه (جامعـة سـعود) :

بَخٍ بَـخٍ يـا شَبَابَ الضَّـادِ إِنَّ لَكُـمْ

مِــن الثَّقَافَـةِ إِكْسِـيراً مِــن الهَـرَمِ[٣]

فقولـه (بخ بـخ) مـأخوذ مـن قـول الرسـول ـ ﷺ ـ : (بـخ بـخ) لخمـس مـا أثقلهـن في الميزان لا إلـه إلا ا الله وا الله أكـبر وسـبحان ا الله والحمـد لله والولـد الصـالح يتوفـى فيحتسبه والـده ..)[٤] .

وقولـه في قصيدتـه (أمـامك دنيـا) :

حَـيَـاتُـكَ أَنْ تَـلْـــقَى الحَيَاةَ بِهِمَّـةٍ

تَخُوضُ الخِضَـمَّ العَـدَّ والثَّمَـدَ الضَّحْـلا[٥]

فلفظـة (ثمـد) مـأخوذة مـن قـول الرسـول ـ ﷺ ـ : (مـا خـلأت القصـواء ومـاذاك لهـا بخلـق ولكـن حبسـها حـابس الفيـل ثـم قـال : والـذي نفسـي بيـده لا يسـألوني خطـة يعظمـون فيهـا حرمـات ا الله إلا أعطيتهـم إياهـا ثـم زجرهـا فوثبـت بـه قـال : فعـدل عنهـا حتـى نـزل بـأقصى الحديبيـة علـى ثمـد قليـل المـاء...)[٦] .

---

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٣٩٤ .
(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المجلد (١) ص ١٨١ .
(٣) الأعمال الكاملة ، ص ٢٩٥ .
(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المجلد (٤) ص ٢٣٧ .
(٥) الأعمال الكاملة ، ص ٥٥٩ .
(٦) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المجلد (٤) ص ٢٢٩ .

ثالثاً : إقتباسه من التاريخ الإسلامي :

يعد تاريخنا الإسلامي بأحداثه المختلفة من المصادر التي أثرت معجم شاعرنا الإسلامي.

والمتأمل في تجارب السنوسي الشعرية يقف على استدعائه لبعض شخصيات تاريخنا وأحداثه ، كما يجد ذكراً لبعض الأماكن التي وقعت فيها بعض الأحداث المهمة في تاريخنا الإسلامي . فمن الشخصيات التي استدعاها وضمنها في تجاربه الشعورية شخصية أبي بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي ابن أبي طالب ، والزبير بن العوام، وخالد بن الوليد ، وأبي عبيدة عامر بن الجراح ، والمثنى بن حارثة ، وأسامة بن زيد ، وعمرو بن العاص ، وسعد بن أبي وقاص ، وعمار بن ياسر ، وخولة بنت الأزور ، وموسى بن نصير ، وطارق بن زياد ، وصلاح الدين الأيوبي ، وسيف الدولة الحمداني... وغيرهم . ومن شواهد ذلك قوله :

في رِدَّةٍ لا (أَبَا بَكْرٍ) يُصَاوِلُهَا
ولا يُقَاوِمُهَا (عَمْرٌو) و (عَمَّارُ)(١)

وقوله :

مَلِكٌ في إِهَابِهِ (عُمَرُ) الفَا   رُوقُ رَمْزُ الرَّشَادِ والعَبْقَرِيَّهْ(٢)

وقوله :

إِيهٍ ياأُخْتَ (خَوْلَةٍ) و(المُثَنَّى)
قَدْ رَفَعْنَا بِكِ الرُّؤُوسَ اعْتِدَادَا(٣)

---

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٥٤٠ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٢٢ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٩٢ .

وقوله :

أَنْجَبَتْ (خَالِداً) و(سَعْداً) وَمَازَا

لَتْ مَدَى الدَّهْرِ تُنْجِبُ الرُّوَّادَا(١)

وقوله :

و(عَلِيٌّ) و (طَلْحَةُ) و (المُثَنَّى)

و(أَبُو حَفْصٍ) والشَّهِيدُ ابن (يَاسِرْ)(٢)

وقوله :

أَ (أَبُو عُبَيْدَةَ) في الكَتِيبَةِ صَائِلٌ

أَمْ (خَالِدٌ) يَسْقِي الكُمَاةَ مَنُونَا(٣)

وللأماكن التي شهدت بعض الأحداث المهمة في تاريخنا الإسلامي والغزوات والمعارك الهامة وجود في معجمه الشعري .

ومن شواهدنا على ذلك قوله :

بَيْنَ إِشْرَاقَةِ الهُدَى من (حِرَاءٍ) وانْطِلاَقِ الشُّعَاعِ نَحْوَ (قُبَاءِ)(٤)

وقوله :

وثِقْ أَنَّ لِلإِيمَانِ بِالحَقِّ قُوَّةً

وأَنَّ لَهُ فِي كُلِّ مَعْرَكَةٍ (بَدْرَا)(٥)

وقوله :

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٩٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٨١ .

(٣) شعراء الجنوب ، ص ١٠٥ .

(٤) الأعمال الكاملة ، ص ٢٦١ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٥٢ .

ومِـــنْ رُبَـــاهَا رُبَـــاهَا الطَّاهِرَاتِ ثَرًى
تَنَفَّسَ الصُّبْحُ مِنْ (بَدْرٍ) ومِنْ (أُحُدِ)[١]

وقوله :

يَـــالَهَـا أُمَّـــةٌ أَعَـــادَتْ إِلَـيْـنَـــــــا
ذِكْرَياتِ (اليَرْمُوكِ) و (القَادِسِيَّةْ)[٢]

وقوله :

فَكَـــانَتْ (الجَمَلُ) الشَّوهَاءُ عَاصِفَةً
لَمْ تبْـــقِ رُكْـنـــاً و لَمْ تَتْرُكْ عُرَى وتَدِ
وشَـــقَّ (صِفِّينُ) صَفَّ المُسْلِمِينَ إلى
صَفَّيْنِ يَضْرِبُ بَعْضٌ بَعْضَ في حَرَدِ[٣]

(١) المصدر السابق، ص ٥١٥ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٣٣ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٢٤ .

المبحث الثاني

الأسلوب

الأسلوب

تعددت الأساليب في تجارب السنوسي الشعرية تعدداً واضحاً وملموساً ، ولعل في ذلك التعدد دليل على سعة ثقافة الشاعر وشمولها ، ومقدرته في اختيار الشكل أو الإطار الملائم لكل تجربة من تجاربه ؛ وذلك لإدراكه بأن لكل تجربة معجمها الخاص بها ، وصورها ، وموسيقاها، فما يصلح من تلك العناصر لتجربة لا يصلح - في الغالب - لتجربة أخرى .

ومن المعروف أن الأسلوب (الإطار) والأفكار والمعاني (المضمون) هما : الدعامتان الأساسيتان لكل عمل أدبي ، رغم اختلاف النقاد قديماً وحديثاً حول هاتين الدعامتين ممثلتين في (اللفظ والمعنى) وانقسامهم حيالها إلى فئتين : فئة تناصر اللفظ وبلاغته مقدمة إياه على المعاني ، كأبي عثمان الجاحظ ، وأبي هلال العسكري وغيرهما . ومن المحدثين الأستاذ مصطفى صادق الرافعي . وفئة تناصر المعاني فتقدمها ، وتجعل الألفاظ تابعة لها ، ويأتي في مقدمة هذه الفئة ، ابن قتيبة ، وعبد القاهر الجرجاني ، ومن المحدثين الدكتور زكي مبارك ، ورغم ذلك الإختلاف حول اللفظ والمعنى ، أو (الإطار والمضمون) إلا أن الحقيقة التي لا يختلف فيها اثنان « أنه لاانفصال بين الإطار والمضمون ، بل هما مترابطان أشد ما يكون الترابط ، وممتزجان في كل تعبير مقصود أقوى ما يكون الامتزاج »[1] نظراً للصلة الوثيقة بين المعاني وطريقة التعبير عنها بالألفاظ ، وللعلاقة القوية القائمة بين الدال والمدلول .

فصاحب الصياغة الفنية - مهما حرص على إبراز صياغته - لا يستطيع - بأي

(١) قضايا النقد الأدبي ، د. بدوي طبانة ص ١٧٢

حال من الأحوال - إغفال الأثر الذي يتركه المعنى في العمل الفني ، وكذا الحال مع الذي يُغلّب جانب المعاني على الألفاظ ، فهو لا يستطيع - أيضاً - إنكار ما للصياغة من دور فعال ومؤثر في عمله الفني .

وقصارى القول في هذه القضية أنه متى ما « استطاع الأديب أن يطابق بين بلاغتي اللفظ والمعنى فقد جمع بين الحسنيين ، .... أما إذا فرغ في جانب دون جانب فإنه لن يسلم من ألسن الناقدين »(١) .

والشعر الجيد هو الذي يمتاز بتجانس الألفاظ والمعاني ، فترق تلك الألفاظ في المواضع التي تتطلب تلك الرقة ، وتجزل وتشتد في المواضع التي تتطلب تلك الشدة والجزالة .

وإذا نحن تتبعنا ألفاظ شاعرنا التي استعان بها لأداء تجاربه الشعرية فإننا سنقف على مدى توفيقه في اختيار الألفاظ الملائمة لكل تجربة من تجاربه ، حيث ترق تلك الألفاظ في بعض التجارب التي تتطلبها ، وأكثر ما تتجلى تلك الألفاظ في وصفه ، وشكواه ، وغزله ، ورثائه ، وتشتد وتجزل في فخره بماضي أمته ، ومدحه ، وفي تجاربه التي كانت صدى للحملات الاستعمارية الشرسة التي شنتها أوروبا على عالمنا العربي والإسلامي .

ففي وصفه نجده يلائم بين رهافة حسه ورقة معانيه، وبين ما يختاره لها من ألفاظ تتسم بالرقة والعذوبة كما في قوله واصفاً الجو الروحاني السائد في الحرم المكي الشريف قبل اقتحامه من قبل الفئة المارقة(٢) :

فِي سَنَا الفَجْرِ فِي انْبِلَاجِ الصَّبَاحِ   والهُدَى فِي عَبِيرِهِ الفَوَّاحِ

---

(١) بلاغة الكتاب في العصر العباسي ، د. محمد نبيه حجاب ، ط(٢) ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة .

(٢) جريدة الندوة ، العدد (٦٤٠٧) في ١٤ /١/ ١٤٠٠هـ

والـوَرَى يَسْتَظِلُّ في كَنَفِ اللَّـ ـهِ وفي بَيْـتِـهِ بِخَيْرِ جَـنَـاحِ
زُمَـرَاً بَيْنَ طَـائِفٍ ومُصَلٍّ ومُنِيبٍ إلى نِـدَاءِ الـفَـلاَحِ
يَسْتَمِدُّونَ من نَـدَى رَحْمَةِ اللَّـ ـهِ وغُـفْـرَانِهِ بِكَفٍّ ورَاحِ
وسُـكُونُ الأَرْواحِ بَيْنَ يَدَيْـهِ خَاشِعَاتٍ في بَـهْـجَةٍ وانْشِرَاحِ
وحَفِـيـفُ المَلاَئِكِ الطُّهْرِ يَنْسَا بُ على المُسْلِمِينَ في خَيْرِ سَاحِ

فالألفاظ المستخدمة في وصف الشاعر لذلك الجو ألفاظ سهلة رقيقة رشيقة الجرس ، تلائم الجو الروحاني الذي عُني بتجسيده في وضوح تام ينبئ عن رقة طبعه ورهافة ذوقه ، نلمس ذلك في مثل قوله : (انبلاج الصباح) و (عبيره الفواح) و (الورى يستظل في كنف الله) و (منيب إلى نداء الفلاح) و (سكون الأرواح) و (خاشعات في بهجة وانشراح) و (حفيف الملائك الطهر ينساب) . ونستمع إلى مثل هذه الألفاظ الرشيقة العذبة في قوله واصفاً كلام أحد ابنائه الصغار[1] :

رَفْرَفَ العُصْفُورُ جَنْبِي وزَقَـا يَطْلُبُ قُرْبِي
وتَـهَادَى نَاعِمَ الخَطْـ ـوَةِ في رَقْصٍ وَوَثْبِ
وأَرَاقَ اللَّحْنَ في سَمْـ ـعِي فَهَزَّ اللَّحْنُ قَلْبِي
فَتَـلَفَّتُّ إلى صَـوْ تٍ نَدِيٍّ النَّبْرِ عَذْبِ
شَـدَّ إحْسَاسِي وأَنْفَا سِي وأَعْصَابِي ولُبِّي

إلى أن يقول:

إِنَّـهَا أَفْصَحُ من أَفْـ ـصَحِ شِـعْرِ المُتَنَبِّي
إِيْ ورَبِّي إِنَّـهُ ابْنِي إِنَّهُ عُصْفُورُ قَلْبِي

ونجد في مناجاته ألفاظاً رقيقة ، عذبة ، سهلة ، نستمع إليها في مثل قوله من

(١) الأعمال الكاملة ، ص٣٦٩ - ٣٧٢ .

قصيدة (رمضان)[١] :

رَمَضَانُ يَا شَهْرَ الصِّيَا ... مِ الحُرِّ من أَسْـــرِ الظَّلاَمْ
أَطْـلِقْ بِأَضْوَاءِ الهُدَى ... أَسْرَ النُّفُوسِ من الـحُطَـامْ
وأَنِـرْ بِقُدْسِيِّ الصَّفَا ... ءِ رُؤَى الحَيَاةِ من القَتَامْ[٢]
وانْضَحْ عَوَاطِفَنَا تُقىً ... واغْمُرْ نَوَازِعَنَا وِئَـــامْ

فالألفاظ هنا واضحة ، قريبــة المـأخذ ، حلـوة الجـرس ، نلمـس ذلـك في قولـه (الظلام) و (أسر) و (الحطام) و (قدسي الصفاء) و (رؤى الحياة من القتام) و(عواطفنا) و (وئام) .

وفي بعض قصائده الوطنيــة نقـف علـى ألفـاظ رقيقـة ، واضحـة ، ومـن ذلـك قوله[٣] :

هَـتَـفَتْ والشُّعُورُ رُوحٌ وَرَاحُ ... وَيْكَ غَرِّدْ فَقَدْ أَضَاءَ الـصَّبَاحُ
الصَّبَاحُ الَّذِي لَهُ من مُنَى النَّفْـ ... ـسِ انْبِلاَجٌ ومن هَوَاهَا انْصِيَاحُ
قِـــفْ على قِمَّةِ الزَّمَانِ مَعَ التَّأْ ... رِيخِ واهْتِفْ يَهُزُّكَ الارْتِيَاحُ[٤]
وتَـأَمَّــلْ شَوَاطِئَ النِّيلِ والبُشْـ ... ـرَى على ضِفَّتَيْهِ والأَفْــرَاحُ
هَـــدَأَتْ ثَوْرَةُ الخِضَمِّ وقَرَّتْ ... ونَجَا بِالسَّـــــــفِينَةِ المَلاَّحُ

فالشـاعر هنـا يشـارك إخوانـه في مصـر فرحتهـم بتـأميم قنـاة السـويس وطـرد البريطانيين منها . مظهراً فرحته تلك ، بألفاظ رشيقة ، تحمل جرساً رقيقـاً يتناسـب مع جو الفرحة التي يعيشها ، وتبدو تلك الألفاظ في مثل قوله : (أضاء الصباح) و

(١) المصدر السابق : ص ٣٢٤ .
(٢) القتام : الغبار .
(٣) الأعمال الكاملة ص ٢٦ – ٢٧
(٤) الارتياح : السرور والنشاط .

(لـه مـن منـى النفـس انبـلاج) و (مـن هواهـا انصيـاح) و (يهـزك الارتيـاح) و(البشرى على ضفتيه والأفراح)

ونقف في رثائه وشكواه من حاضر أمته الأليم على ألفاظ رقيقة موحية تشاكل الموضوع وتناسبه ، ومـن ذلـك وصفـه لحزنـه السـاري بـين جوانحـه في قولـه راثيـاً أباه[1]:

حَـــاطَنِي يا أَبِي بِفَقْدِكَ لَيْلٌ ... آدَنِي طُولُهُ وأَعْيَا سُـهَادِ
سَلَبَ النَّوْمَ من جُفُونِي وأَوْرَى ... بِفُؤَادِي جَمْرَ الغَضَا والقَتَادِ

وفي قوله :

صُـــوَرٌ تَبْعَثُ الأَسَى وعُهُودٌ ... أَنَا مِنْهَا في حُرْقَةٍ واتِّـقَـادِ
رَدَّدَتْ صَوْتِيَ السَّمَاءُ ولَمْ أَسْـ ... ـمَعْ جَوَاباً فَمَنْ تُرَانِي أُنَادِ
ومَـلأْتُ الفَضَاءَ جَهْشَةَ بَاكٍ ... رَجَّعَتْهَا الرِّيَاحُ في كُلِّ وَادِ

فالشـاعر في هـذه الأبيـات يعبر عـن الأسـى والحـزن الـذي ألم بـه ؛ نظـراً لوفـاة أبيـه ، بألفـاظ تقطـر ألمـاً ، فيهـا كثـير مـن الإيحـاءات الموجعـة ، وتتجلـى تلـك الإيحـاءات في قولـه: (آدنـي طولـه) و (أعيـا سـهاد) و (سـلب النـوم مـن جفونـي) و (أورى بفـؤادي جمـر الغضـا) و (صـور تبعـث الأسـى) و (جهشـة بـاكٍ) .

وفي فخـره بماضي أمتـه ، وإشـادته بالرسـالة الإسـلامية ، وكثـير مـن شـعره الوطـني، نقـف علـى ألفـاظ تخـالف مـا سـبق أن أشـرنا إليـه ، وأهـم مـا يميز هـذه الألفـاظ الشـدة والجزالـة الملائمتـان لمعـاني تجاربـه . ومـن ذلـك قولـه مشـيداً بالرسـالة الإسـلامية[2] :

---

(١) شعراء الجنوب ، ٩٦ – ٩٧

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٥١٥ – ٥١٦

نُــــورٌ تَــأَلَّقَ من نُـــورٍ فَرَقَّ بِهِ

قَلْبُ الحَيَــاةِ وبَضَّ الصَّخْرُ بِالبَرَدِ[١]

وفَــاضَ عَبْرَ شُعُوبِ الأَرْضِ مُنْدَفِقاً

يُحْيِي القُلُوبَ ويَشْفِي ثَغْرَ كُلِّ صَدِي

جَرَى فَـأَخْصَبَتِ الدُّنْيَا نَدًى وهُدَى

تَـمَــازَجَـا كَامْتِزَاجِ الرُّوحِ بِالجَسَدِ

وأَشْــــرَقَتْ بِابْنِ عَبْدِ اللهِ وأْتَلَقَتْ

رِسَـــــالَةُ اللهِ زَاهٍ نُورُهَا الصَّمَدِي

ففــي هــذه الأبيــات تظهــر ألفــاظ قويــة فخمــة تناســب مقــام الإشــادة بالرسـالة الإسـلامية . مثـل : (بـض الصخـر) و (وفـاض عــبر شــعوب الأرض مندفقـاً) و (زاهٍ نورهـا الصمـــدي) .

ومثـل هـذه الألفـاظ القويـة الفخمـة نجدهـا في قصـائده الــتي كــانت صــدى لبعـض الحمـلات الاسـتعمارية الشرسـة ، كمـا في قولــه[٢] :

أَثِــــرْهَا عـلى المُسْتَعْمِرِينَ وشُــنَّهَا

لَظًى تُشْعِـلُ الأَجْوَاءَ والبَرَّ والبَــــحْرَا

فَـقَدْ أَصْـلَتَتْ مِنْكَ الكِنَانَةُ صَارِمَــاً

وأَطْـلَـقَ مِنْكَ النِّيلُ في جَوِّهِ نَسْــــرَا

وهَـبَّــتْ أَعَـاصِيرُ العُرُوبَةِ والــرَّدَى

على المَارِدِ الجَبَّــارِ تَعْصِرُهُ عَـصْــرَا

(١) بض : سال .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ١٥٣ .

وَثَارَتْ شُعُوبُ الأَرْضِ لِلْحَقِّ غضْبَةً
على حُلَفَاءِ البَغْيِ تُمْطِرُهُمْ زَجْــــــرَا
صِرَاعٌ يَهُزُّ الغَرْبَ رُعْباً وثَـــــوْرَةً
تَــدُوسُ الهَوَى والطَّيْشَ والتِّيهَ والكِبْرَا

فالأبيات التي أمامنا تحفل بألفاظ جزلة قوية تحمل دلالات التهديد والإنذار للمستعمر الغادر ، وتركيبات تكشف عن ثورته الحماسية ، فيشحن حديثه بالألفاظ الطنانة الثائرة ، المليئة بالإيقاع والحركة . مثل : (أثرها على المستعمرين) و (شنها لظى) و (تشعل الأجواء والبر والبحرا) و (تمطرهم زجرا) و (يهز الغرب رعباً وثورة) و (تدوس الهوى والطيش والتيه والكبرا) .

ويمكننا بعد هذه الإلمامة أن نقول : إن السنوسي قد استطاع أن يحقق في شعره سلامة اللفظ وفصاحته ووضوحه ، وأنه قد وفق - كثيراً - في الملائمة بين ألفاظه ومعانيه .

وأسلوب السنوسي - كما أفصحت تجاربه - عربي محض ، لا تشوبه شائبة عجمه ، ولا ترى عليه أثارة سخف . وأسلوبه على نقائه لا يكاد يعتسف ضرورة أو يأخذ على غير أليف مأنوس ، وسبب ذلك راجع إلى تمكنه من اللغة وإمساكه بناصية الكلام ؛ لذلك نسمع في أسلوبه موسيقى عذبة النغم ، مستوية الجرس ، لا نحس فيها نبوّاً ولا شذوذاً .

وكثيراً ما يكون أسلوبه خطابياً ، يغلب عليه التنويع والتقطيع ، فاسترسال وتوقف أو التفات أو اعتراض ، وإخبار أوتعجب أوإضراب ، فإذا جلجله يتنوع فيها النغم ، وتتتابع الحركات في رشاقة وإسراع ، نستمع لمثل ذلك في قوله من قصدية (اليقظة العربية)[1] :

---

(١) المصدر السابق : ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

يا دُعَــاةَ السَّلَامِ تِلْكَ فَرَنْسَا
تَتَــــحَدَّى مَشَاعِرَ البَشَرِيَّــهْ

تَحْرِقُ الأَرْضَ بِاللَّهِيبِ وتَشْـوِ
يهَا جِهَاراً وتَصْلِبُ الحُرِّيَّـــــهْ

وهْيَ في ظِلِّكُمْ تَرُوحُ وتَغْدُو
أَفَلَا تَزْجُرُونَ تِلْكَ الشَّــقِيَّهْ ؟

أَتُقِيمُونَ مَأْتَماً يَمْلَأُ الكَــــوْ
نَ ضَجِيجَاً لِكَلْبَةٍ رُوسِيَّـــهْ ؟

وتَصُـمُّوا آذَانَكُمْ عن عَوِيلٍ
صَارِخٍ في الجَزَائِرِ العَرَبِيَّـــهْ

يا لَهَا دَعْوَةٌ يُصَلِّي لَهَا الذِّئْـ
ـبُ إِمَامَاً بَيْنَ الصُّفُوفِ التَّقِيَّهْ!

وهناك ظواهر أسلوبية متنوعة قد يشترك فيها كثير من شعراء العربية ، إلا أنهم يتفاوتون في تناولها من شاعر إلى آخر من ناحية الكم والكيف ، ويجد الدارس لشعر أحد الشعراء جملة من الخصائص اللفظية التي تكون عبارته الشعرية ، وتتكرر هذه الخصائص حتى تصبح سمة بارزة ، ولازمة من لوازم أسلوبه .

ومن أبرز الظواهر الأسلوبية في شعر (السنوسي) الإسلامي ما يأتي:

الاقتباس من الأسلوب القرآني:

يقف المتأمل في تجارب السنوسي التي عنينا بدراستها على تأثره ببعض الأساليب القرآنية، ومن تلك الأساليب: أسلوب الدعاء، والنداء، والمدح، والذم، والقسم، والتحذير .

ولن نقف في دراستنا هذه عند كل تلك الأساليب، وإنما سنقتصر على أكثرها

دوراناً في شعره، وأعمقها تأثيراً في نفس المتلقي .

ومن المعروف سلفاً « أن الأسلوب النثري القرآني لـه تعامله الخاص مع هـذه الأساليب اللغوية، وللشعر أسلوبه الخاص أيضاً »[1] فتعامل الشاعر مع الأسلوب القرآني الذي تأثر به فيه شيء من التصرف في الجملة القرآنية ، وذلك التصرف يقتضيه فنه الشعري القائم على مجموعة من العناصر ، لكل عنصر منها أهميته في البناء الشعري ، وفي التأثير على المتلقي ، ولهذا نرى الشاعر يلجأ إلى الحذف أو الإضافة من وإلى الجملة القرآنية ، أو التقديم والتأخير فيها ؛ حتى يحافظ على الوزن الشعري الذي أطَّر به تجربته ، والصياغة الشعرية ذات الطابع الخاص .

وأكثر الأساليب القرآنية حضوراً في تجارب السنوسي أسلوب الدعاء .

وهذا الأسلوب في شعره لم يكن مقصوراً على موقف شعري بذاته ، بل يرد في مواقف عدة ، وفي تجارب متنوعة ، منها : قصائده في الرثاء ، وقصائد مناجاته ، وفي قصائده التي كانت صدى لبعض الانتصارات التي حققها ابناء بعض دول عالمنا العربي والإسلامي ضد المستعمرين الأوربيين .

ومن صيغ الدعاء المتكررة لدى شاعرنا (عليك سلام الله) و (سلام لهم) .
ومن نماذجها قوله في رثاء الملك خالد بن عبد العزيز - رحمه الله -[2] :

يا أَبَا بَنْدَرٍ عَلَيْكَ سَلَامُ الـ ـلهِ تَشْدُو بِهِ إِلَيْكَ الحَنَاجِرْ
تَتَهَادَى بِهِ المَحَارِيبُ والسَّا حَاتُ في كُلِّ مَسْجِدٍ ومَنَابِرْ

فالسنوسي في استخدامه لهذه الصيغة (عليك سلام الله) الواردة في البيت الأول ، لا يبتعد بها كثيراً عن الصياغة القرآنية ، وإن كان هناك اختلاف فهو في

(١) أثـر القرآن في الشعر العربي الحديث ، د. شلتاغ عبود شراد ، ط(١) ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م ، ص ٨٧ .

(٢) جريدة البلاد ، العدد (٧٠٧١) في ٢٨ / ٨ / ١٤٠٢هـ .

المقام الذي وردت فيه هذه الصيغة ، فهي عند السنوسي ارتبطت بمقام الدعاء للملك خالد ـ رحمه الله ـ ، في حين وردت في القرآن مرتبطة بتحية الملائكة للمؤمنين وهم يتوافدون على الجنة . كما في قوله تعالى : ﴿ وَسِيْقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَآؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا، وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ ، فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾[1] .

ولا يخفى على المتذوق ما في لفظ (السلام) من الخصائص الموسيقية الفياضة ، والظلال الموحية ، التي تجعله حلو الوقع في الآذان ، سريع التمكن من الاستقرار في القلوب . وإذا كان القرآن أغنى أثر أدبي في لغة الضاد من حيث الموسيقى اللفظية، قد اتخذ من هذا اللفظ ـ لفظ السلام ـ لغة لأهل الجنة ، ولأهل الوحي من الأنبياء والرسل حين يقول : ﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴾[2] وحين يقول : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾[3] ؛ فلأن القرآن ما يزال مجالاً عبقرياً للعروض البلاغية العليا التي لا يتعلق بها قلم كاتب من كتاب العربية[4] .

والشاعر عندما يحاول أن يقترب في شعره من النص القرآني ، ويستهدي بأساليبه وطرقه في التعبير ، فإنه يحقق بذلك السمو والرفعة لفنه ؛ لأنه بذلك الاستهداء يجعله يتفيأ ظلالاً لغوية معجزة[5] .

وتأتي صيغة (سلام لهم) في قوله مهنئاً أبناء الجزائر بانتصاراتهم على الفرنسيين :

---

(١) سورة الزمر .الآية : ٧٣ .

(٢) سورة الحجر .الآية : ٤٦

(٣) سورة إبراهيم . الآية : ٢٣ .

(٤) نهضة الأدب المعاصر في الجزائر ، د. عبد الملك مرتاض ، ط(٢) ١٩٨٣م ، ص ٦٢ «بتصرف».

(٥) أثر القرآن في الشعر العربي الحديث ، د. شلتاغ عبود شراد ، ص ٨٨ « بتصرف » .

فَسَلَامٌ لَهُمْ وطُوبَى لِأَرْضٍ أَنْجَبَتْهُمْ سُهُولُهَا السُّنْدُسِيَّةْ
وسَلَامٌ لِدَوْلَةٍ يَفْخَرُ الضَّا دُ ويَزْهُو بِهَا ويَشْدُو تَحِيَّةْ[1]

فهو هنا لا يبتعد بصيغة دعائه (سلام لهم) كثيراً عما جاءت عليه في القرآن كما في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2].

إلا أنه لم يلتزم بالصياغة القرآنية في هذا الدعاء ، وإنما قدم ما أخر في الآية؛ لاعتبارات شعرية تفرض عليه ذلك التقديم . فالوزن العروضي الذي سارت عليه أبيات القصيدة يفرض على الشاعر ذلك التعامل مع تلك الصيغة حتى يحقق لقصيدته تلك الانسجام الموسيقي في سائر أبياتها .

وإذا كانت صيغة الدعاء السابقة صيغة دعاء مباركة ورضا ، فهناك في شعره صيغ دعاء وغضب ونقمة مثل (لك الويل) كما في قوله[3] :

لَكَ الوَيْلُ إِنَّ الحَرْبَ قَدْ دَارَ قُطْبُهَا
فَمَهْلاً يُصَفَّي لِلدُّيونِ حِسَابُ[4]

فالسنوسي في استخدامه لهذه الصيغة لا يبتعد بها عن الجو القرآني الذي وردت فيه هذه الصيغة كثيراً ، ومنها قوله تعالى : ﴿ بَل نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى البَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ، فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾[5] .

وإذا كان هناك اختلاف في الصياغتين فهو في المدعو عليه ، حيث جاءت في القرآن بصيغة الجمع (لكم) في حين جاءت في بيت السنوسي السابق بصيغة المفرد (لك) وإن كان يريد بها الجمع ، لأنه يدعو على أعداء الجزائر ، وهم جمع غفير،

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٣٣٤ .

(٢) سورة الأنعام . الآية : ١٢٧ .

(٣) الأعمال الكاملة ، ص ١٩٣ .

(٤) قطبها : القطب : القائم الذي تدور عليه الرحى .

(٥) سورة الأنبياء . الآية : ١٨ .

ولا يتصور أن السنوسي في دعوته تلك قد خص بها واحداً منهم ، وإنما وجهها إليهم جميعاً ، وهذا ما تفصح عنه سائر أبيات القصيدة .

وقريب من هذا الأسلوب في شعر السنوسي أسلوب النداء الذي توجه به إلى بارئه - عز وجل - وصور النداء في القرآن الكريم كثيرة جداً ، والسنوسي - كما تفصح تجاربه - قد وافق الأسلوب القرآني في صياغته للنداء وقد خالفه .

والمتأمل في أسلوب النداء في القرآن الكريم يجد أن الله - سبحانه وتعالى - في كتابه العزيز يخاطب المخلوقات بذكر أداة النداء في كثير من المواقف ، كما في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴾[١] وقوله تعالى : ﴿ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ ﴾[٢] أما نداؤنا نحن لله - سبحانه وتعالى - « فينبغي أن يكون غير ذلك . ينبغي أن يكون للمستوى الإلهي - إن صح التعبير - لأن ما ورد خطاباً لنا كان مشاكلاً لأسلوبنا ، وبهذا علمنا القرآن الكريم ، فلم ترد آية واحدة خطاباً من البشر لله - سبحانه وتعالى - بها أداة نداء مصرحاً بها ، وإنما كان النداء منوياً »[٣] ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾[٤] .

والسنوسي - كما سبق أن قلنا - وافق الأسلوب القرآني عندما يكون الخطاب صادراً من الانسان إلى خالقه، وخالفه . ومن شواهد موافقته له قوله[٥] :

رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَغفرَا ... نَكَ رَبِّي إِنِّي مُقِرٌّ وَذَاعِـــنْ

رَبِّ إِنَّ الحَيَاةَ زَاغَ بِهَا السَّيْـ ... ـرُ وحَادَتْ فاشْدُدْ عُرَاهَا وطَامِنْ

(١) سورة البقرة . الآية : ٢١ .

(٢) سورة هود .الآية : ٤٤ .

(٣) المجاز وأثره في الدرس اللغوي ، د. محمد بدوي عبد الجليل ، دار الجامعات المصرية الاسكندرية ، ط (١) عام ١٩٧٥م ص ٢٣١ .

(٤) سورة الأعراف . الآية : ١٥١ .

(٥) الأعمال الكاملة ، ص ٥٤٨ .

وقوله[١] :

رَبِّ أَوْزِعْ عِبَادَكَ الحَمْدَ شُكْــراً
فَمِنَ الشُّـــــــكْرِ لِلنَّعِيْمِ وَقُــودُ

ومن نماذج مخالفته للأسلوب القرآني قوله[٢] :

فَأَدِرْهُ يا رَبِّ مِلْءَ الأَحَاسِيــ ـــسِ وَمِلْءَ النُّهَى ومِلْءَ الشَّوَاجِنْ

ومخالفة السنوسي للأسلوب القرآني تشعرنا « بأن أسلوب النثر الفني في القرآن له طريقته الخاصة في التعامل مع اللغة ، وهو يختلف عن الأسلوب الشعري ، لاعتبارات دينية كما لاحظنا في صورة خطاب العبد لربه في القرآن ، أو اعتبارات فنية ، إذ أن الأسلوب الشعري قد يضطر الشاعر فيه إلى سلوك طريقة أخرى في التعامل مع هذه اللغة ، بناء على ضرورات الوزن ، أو الحالة النفسية للشاعر »[٣] .

ومن الأساليب القرآنية التي لها حضورها في تجارب شاعرنا أسلوب القسم ، وقد لجأ إليه لمعان في نفسه يريد توكيدها ، وإثبات صدقه فيها .

ومن المعروف أن هذا الأسلوب قد ورد في أشكال متعددة في القرآن الكريم ، فا لله ـ سبحانه وتعالى ـ أقسم بذاته في مواضع كثيرة ،كما أقسم بمخلوقاته ـ أيضاً ـ في مثلها ، وقد اختلفت الصيغ التي ورد بها هذا الأسلوب في القرآن الكريم ، فهو قد يأتي بصيغة القسم ، أو الحلف أو لفظه (شهد) ، وقد تكون بالياء أو الواو ، أو غير ذلك[٤] .

والسنوسي ـ كما تفصح الشواهد التي سنوردها ـ قد تأثر بالقرآن ـ حيناً ـ في

---

(١) المصدر السابق : ص ٢٧٧ .

(٢) المصدر السابق : ص ٥٤٧ .

(٣) أثر القرآن الكريم في الشعر الحديث ،ص ٩١ .

(٤) التعبير الفني في القرآن ، د. بكري شيخ أمين ، ط (٢) دار الشروق ، بيروت ١٣٩٩ - ١٩٧٩ ص٢٣٨ - ٢٣٩ « بتصرف » .

القسم بذات الله ، و ـ حيناً ـ في القسم به ـ سبحانه وتعالى ـ مضافاً إلى مخلوقاته وهو في هذه أو تلك لا يبتعد عن أجواء القرآن الكريم ولا عن معانيه .

ومن نماذج قسم السنوسي بذات الله قوله(١) :

نفَرٌ أقْسَمُوا بِرَبِّهِمُ الأعْـ ـلَى يَمِيْناً لِأَرْضِهِمْ أَنْ تُعَادَا

فهذه الصيغة التي استخدمها الشاعر في البيت السابق قد وردت في القرآن الكريم كثيراً ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِم لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا ﴾(٢) وقوله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ، قُلْ لا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾(٣) .

ومنها أيضاً قوله(٤) :

إِيْ وَرَبِّ العَادِيَاتِ في الضُّحَى والمُورِيَاتِ
والمُغِيرَاتِ صَبَاحاً ومَسَــاءً كالبُزَاةِ

فالسنوسي في هذين البيتين يقسم بالرب مضافاً إلى بعض مخلوقاته ، وبأداة القسم (الواو) المسبوقة بما يؤكد ما أراده الشاعر .

وهو في هذه الصيغة لا يبتعد البتة عما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾(٥) وقوله تعالى : ﴿ والعَادِيَاتِ ضَبْحاً ، فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً ، فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً ﴾(٦) وإن كان هناك اختلاف بين

---

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٤٩٠ .

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٠٩ .

(٣) سورة النور: الآية : ٥٣ .

(٤) الأعمال الكاملة ، ص ٧٩٢ .

(٥) سورة يونس: الآية : ٥٣ .

(٦) سورة العاديات: الآيات ١ ، ٢ ، ٣ .

الصياغتين فهو راجع إلى طبيعة الشعر .

فالشاعر - كما سبق أن ذكرنا - قد يضطر في أساليبه المتأثر فيها بأساليب القرآن إلى التقديم والتأخير ، أو الحذف والإضافة إليها ؛ ليحافظ على فنه البالغ الحساسية ، ولا يؤاخذ الشاعر على ذلك التصرف ، وإنما يؤاخذ إن هو ضحى بأحد عناصر فنه في سبيل ذلك .

تلك بعض الأساليب التي بدا فيها الأسلوب القرآني واضحاً وجلياً ، ليس في الطريقة أو في الإطار فحسب ، وإنما حتى في المعنى الذي حملته لنا تلك الصيغ التي استخدمها السنوسي.

وهناك أثر لبعض الأساليب القرآنية في شعر السنوسي ، إلا أن ذلك الأثر قد لا يدركه كثير من المتلقين لأن مظاهر التأثر فيه قد لا تتضح إلا لمن وقف على الأساليب القرآنية وطرق التعبير الفني فيها .

وهذا الأثر الذي نقصده هو تأثر السنوسي ببعض أساليب وطرق التعبير في القرآن الكريم في مواضع ومواطن معينة ، تقتضي ذلك الأسلوب ، أو تلك الطريقة؛ حتى يكون تأثيرها أعمق ، وفائدتها أعم وأشمل .

ومن نماذج ذلك التأثر قوله مادحاً الفلاح الريفي بعدد من الصفات والمعاني الجميلة(١) :

وَالنَّسِيمُ النَّشْوَانُ يَحْتَضِنُ الزَّهْـ ... ـرَ رَقِيقاً كَطِيبَةِ الفَلَّاحِ
الَّذِي قَلْبُهُ أَرَقُّ من الطَّـ ... ـلِّ وَأَصْفَى من الزُّلَالِ القَرَاحِ
والَّذِي يَزْرَعُ الحُقُولَ بُذُوراً ... وزُهُوراً بِهِمَّةٍ وكِفَاحِ
والَّذِي يَمْلأُ القُلُوبَ شُعُوراً ... بِجَمَالِ الطَّبِيعَةِ المِرَاحِ
والَّذِي يَغْرِسُ النَّوَاةَ بِكَفٍّ ... طُبِعَتْ من بَسَالَةٍ وسَمَاحِ

---

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٣٣٦ - ٣٣٧ .

فالسنوسي في الأبيات السابقة يورد جملة من الصفات التي يمتاز بها الفلاح في ريف وطنه ، وبها يعرف ويمتدح ؛ لأنها ـ في نظر السنوسي ـ تخصه دون غيره ، وقد لجأ السنوسي في إيراده وإبرازه لتلك الصفات إلى تكرار الاسم الموصول (الذي) وقد أعانه هذا الاسم لا في إبراز تلك الصفات فحسب ؛ بل في توكيدها وإثباتها ، وذلك لأن الجملة التي تعقب ذلك الاسم مرتبطة به أشد ما يكون الارتباط .

والمتأمل في هذا الأسلوب بجميع مظاهره ـ خاصة إذا كان ذا ثقافة قرآنية عالية ـ يدرك أثر الأسلوب القرآني في أسلوب الشاعر . فالله ـ سبحانه وتعالى ـ في مواضع كثيرة من كتابه العزيز امتدح المؤمنين بعدد من الصفات التي تميزهم عن غيرهم ، وقد كان للاسم الموصول حضوره في تلك الأساليب . وخير ما يؤكد ذلك قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ، إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ...﴾[1] .

فالله ـ سبحانه وتعالى ـ يمتدح المؤمنين بجملة من الصفات التي لا يشاركهم فيها أحد من أبناء هذه المعمورة ، فتلك الصفات ـ الحسية والمعنوية ـ هي الإطار الذي يحمل في فضائه وبين زواياه شخصية الإنسان المؤمن الحقة التي ارتضاها الله له، أما في حالة فقدان تلك الشخصية لأحد مكوناتها ، فإن ذلك الإطار سيمجها ، ولن يسمح باحتوائها حتى تستكمل بقية جوانبها التي تميزها عن غيرها .

وكذا الحال في تلك الصفات التي تتكون من مجموعها شخصية الفلاح

---

(١) سورة المؤمنون: الآيات : ١ - ٦ .

الريفي كما في أبيات السنوسي السابقة . وفي حالة فقدان الفلاح لأي صفة منها فإنه لا يكون أهلاً لأن يكون فلاحاً ريفياً .

فالطيبة ، والعمل الجاد المثمر ، والصبر الشديد ، من أهم الصفات التي تتكون من مجموعها شخصية الفلاح الريفي وبها يعرف .

تلك بعض الأساليب التي بدا فيها تأثر السنوسي بالأسلوب القرآني سواء في المبنى والمعنى كما سبق أن بينا ، أو في طريقة تعبيره ، وهذا ما أفصحت عنه تجارب السنوسي التي عرضنا لها في الصفحات السابقة .

التكرار

التكرار من الوسائل اللغوية التي جنح إليها الشاعر المعاصر في التعبير عن تجاربه الشعرية حتى أصبحت هذه الوسيلة اللغوية سمة تمتاز بها التجربة الشعرية الحديثة ولوناً من ألوان التجديد فيها[١] .

وليس معنى ذلك انتفاء هذا اللون من ديوان الشعر العربي القديم ، فهو «ظاهرة نصادفها في الشعر العربي القديم عند كثير من الشعراء ذوي الاتجاه الوجداني الذاتي وفي الشعر السياسي الذي يصدر عن عقيدة صادقة تخلع عليه صفة الذاتية كشعر الكميت ، وشعر العذريين »[٢] .

والتكرار عند شاعرنا له أشكال متعددة، إلا أنها لا تتجاوز التكرار البسيط، الذي يدل على إلحاح فكرة ما على ذهن الشاعر، وتأكيده عليها عن طريق التكرار، ويمكننا تقسيمه في شعره إلى (تكرار الحروف ، تكرار الألفاظ ، تكرار العبارات).

ونبدأ حديثنا بتكرار الحروف الذي يعد أبسط أنواع التكرار على الإطلاق ، وقد لجأ إليه الشاعر لتعزيز الإيقاع في قصائده ، ولخدمة بعض أغراضها وأفكارها . ومن نماذج تكراره للحروف في قصائده قوله في قصيدته (اليوم الخالد) مكرراً حرف العطف (الواو)[٣] :

فِي مِثْلِ هَذَا اليَوْمِ مِن كُلِّ عَامْ

يَزْدَهِرُ الحِجْرُ ويَزْهُو المَقَامْ

---

(١) قضايا الشعر المعاصر،نازك الملائكة،ط(٧) نيسان (ابريل)١٩٨٣،دار العلم للملايين ، ص ٦٣ «بتصرف»

(٢) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، ص ٣٨ .

(٣) الأعمال الكاملة ، ص ٤٤٨ - ٤٤٩ .

مَــقَامُ إبْرَاهِـيمَ سَامِي الخُطَى
وحِجْرُ إسْمَـاعِيلَ نِعْمَ الـغُـلَامْ
وتَسْــــــبَحُ الأَرْوَاحُ رَفَّافَةً
أَطْيَافُـهَا مِثْلُ رَفِيفِ الحَـمَـامْ
وتَـلْتَقِي الدُّنْيَا بِأَجْنَاسِـــــهَا
في وِحْدَةٍ رائِعَـةٍ وانْسِــــجَامْ
من كُلِّ فَجٍّ أَقْـبَلُوا حُسَّـــراً
شَوْقاً إلى البَيْتِ العَتِيقِ الحَرَامْ
كالسَّـــيْلِ فَاضُوا وأَفَاضُوا بِهِ
وانْسَكَبُوا بَيْنَ الذُّرَى والخِيَامْ

فالشاعر في هذه الأبيات يحاول بواسطة الكلمة أن يرسم الفرحة التي تغمر المسلمين وهم يتنقلون بين المشاعر والأماكن المقدسة في موسم الحج ، ومشاركة الأماكن المقدسة لهم في تلك الفرحة .

وقد ساعد حرف العطف (الواو) الشاعر على التنقل بين تلك الأماكن ، ورسم تلك الفرحة ، وذلك السرور الشامل ، بالإضافة إلى ما في صوته من جرس موسيقي عذب ، ناجم عن كثرة ترديده في تلك الأبيات المحدودة العدد ، حيث تكرر حرف (الواو) في الأبيات السابقة ثماني مرات .

ومن نماذج تكراره للحروف أيضاً قوله في قصيدته (خواطر لاجئ)[1]:

تَشَـــابَهَتْ فِيكَ أَيَّامِي وَمِلْءُ يَـدِي
عِشْرُونَ عَامَاً أَسَاهَا رَائِحٌ غَـــــادِ

(١) المصدر السابق : ص ٤٧٨ .

وأَنْتَ يَا عِيدُ مَاذَا أَنْتَ غَيْرُ لَظَى
ما بَيْنَ جَنْبِي وشَوْكُ مِلْءُ أَبْرَادِي
أُمْسِي وأُصْبِحُ لا لَيْلِي بِذِي قَمَرٍ
أَرْنُو إِلَيْهِ ولاَ يَوْمِي بَرَعَّادِ
تَهِيجُ لِي فِيكَ ذِكْرَى يَسْتَطِيرُ لَهَا
قَلْبِي وتَهْتَزُّ أَحْشَائِي وأَعْضَادِي
أَيَّامَ أَسْتَقْبِلُ الأَعْيَادَ في بَلَدِي
أَرْضِ النَّبِيِّينَ من قَوْمِي وأَجْدَادِي
في القُدْسِ والقُدْسُ مَهْوَى كُلِّ جَانِحَةٍ
مِنِّي ومَجْلَى أَحَاسِيسِي وأَمْجَادِي

فقد تكرر حرف (الياء) في هذه الأبيات سبع عشرة مرة ، وقد نجح السنوسي بواسطته في إلباس تجربته تلك ثوباً من الحزن والأسى الشفاف ، عن طريق تلك النغمة الخافتة المنكسرة التي يرسمها صوته مع ما جاوره من أصوات عمقت أسى الشاعر وحزنه ، أضف إلى ذلك أنه بهذا التكرار أكد عمق مشاركته الوجدانية لإخوانه في فلسطين ، حيث بدا وكأنه واحد منهم ، يجتر ما يجترونه من آلام ، ويتجرع ما يتجرعونه من مآس وأحزان .

أما تكرار الألفاظ عند السنوسي فيشمل : تكرار (الأسماء ، الأفعال ، الصيغ) ويتجلى تكرار الأسماء عند الشاعر في بعض قصائده ، كتكراره لفظ (جزيرتي) ست مرات في قصيدته (الجزيرة ماضياً وحاضراً) وتكراره ذاك يوحي بشدة ارتباطه بجزيرته التي تمثل في عصرنا الحاضر ذلك الوطن الذي حوى السنوسي في مراحل حياته المختلفة ، ويوحي بمحبته لذلك الوطن .

وتكراره لذلك اللفظ جاء في الأبيات الآتية[1] :

جَزِيرَتِي يا هَوَى رُوحِي وَيَا أَمَلِي
أَنْتِ الجَدِيرَةُ بالتَّشْبِيبِ والغَزَلِ

جَزِيرَتِي حَدِّثِينِي إِنَّنِي وَصِبٌ
وفي حَدِيثِكِ ما يَشْفِي من العِلَلِ

جَزِيرَتِي أَنْتِ مَأْوَى أُمَّةٍ سَمَقَتْ
أَخْلَاقُهَا الغُرُّ واسْتَعْلَتْ عن الوَحَلِ

جَزِيرَتِي أَلْهِمِينِي نَظْمَ قَافِيَةٍ
تَشْدُو بِصَقْرِكِ صَقْرِ الأُمَّةِ البَطَلِ

جَزِيرَتِي أَنْتِ لِلْإِسْلَامِ عَاصِمَةٌ
والأَرْضُ يَغْمُرُهَا الطُّوفَانُ بالزَّلَلِ

جَزِيرَتِي رُبَّمَا جاءَتْ مُعَلَّقَتِي
في كَعْبَةِ الشِّعْرِ دُونَ الوَعْدِ والأَمَلِ

ومن نماذج تكراره للأسماء ، قوله مكرراً اسم الإشارة (هنا)[2] :

لَقَدْ مَاتَ عَصْرُ الذُّلِّ والخَوْفِ وانْقَضَى
وهِيلَ على ذَاكَ الزَّمَانِ تُرَابُ

هُنَا جَبْهَةُ التَّحْرِيرِ والحَقِّ والهُدَى
تَخِرُّ النَّوَاصِي عِنْدَهَا وتُصَابُ

هُنَا عُصْبَةُ الأَحْرَارِ أَمَّا سَمَاؤُهُمْ
فَرَعْدٌ وأَمَّا بَحْرُهُمْ فَعُبَابُ

---

(١) الأعمال الكاملة : ص ٦٧٢ - ٦٨٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٩٠ - ١٩١ .

هُنَا الأَرْضُ زِلْزَالٌ هُنَا الجَوُّ عَاصِفُ
هُنَا الجَبَلُ الرَّاسِي وَغَىً وضِرَابُ
هُنَا النَّارُ زَادٌ لِلْجِيَاعِ وهَا هُنَا
حَمِيمٌ لِأَكْبَادِ الظِّمَاءِ شَرَابُ

فالسنوسي - كما هو واضح - قد عمد إلى تكرار اسم الإشارة (هنا) سبع مرات في أبيات معدودة لا تتجاوز الخمسة أبيات ، وهذا يدلنا على أن السنوسي في هذه الأبيات لا يسعى إلى مجرد التأكيد على أن سحب الخوف التي ظلت تعانق أفئدة الجزائريين فترة من الزمن قد انقشعت ، أو على استعداد أبناء الجزائر الرهيب لاستعادة حريتهم المفقودة ؛ وإنما كان يسعى إلى نحر إحساس ترسب في أعماقه وأعماق الكثيرين من أمثاله الذين شهدوا إنهزام أبناء أمتهم أمام الحملات الاستعمارية . وقد أعان اسم الإشارة (هنا) السنوسي على تحقيق غايته المقصودة، ووسع له دائرة التناول ، ومهد لأدلته القوية التي أذابت ذلك الاحساس ، وعملت على دحر ذلك الوهم .

أما تكراره للأفعال فقليل في تجاربه الشعرية ، ومن نماذجه قوله[1] :

أَفِيضُوا على الأَلْبَابِ من صُحُفِ العُلَى
رَوَائِعَ تَهْوَاهَا قُلُوبٌ وأَذْهَانُ
أَفِيضُوا شَآبِيبَ العُلُومِ زَوَاخِراً
لَهَا القَلْبُ حَقْلٌ والمشَاعِرُ وِدْيَانُ
أَفِيضُوا شُعَاعَ الفِكْرِ يَجْلُو حَنَادِساً
تَخَبَّطَ سَارٍ في دُجَاهَا ورُكْبَانُ

فالشاعر في هذه الأبيات يكرر الفعل (أفيضوا) بصيغة الأمر ثلاث مرات ،

(١) شعراء الجنوب ، ص ٨٩ .

محاولاً عن طريقة حث أبناء أمته على الاستفادة من تراثهم العريق واتخاذه ركيزة ودعامة أساسية في بناء نهضتهم المعاصرة .

وقد عكس ذلك الفعل المكرر شدة تعلق الشاعر بتراث أمته ، وحرصه على بعثه وإحيائه لما له من دور فعّال في إرساء دعائم حضارة أمتنا في حياتها المعاصرة .

ومن تكراره للفعل - أيضاً - قوله في قصيدته (تأميم وتصميم)[1] :

أَنِيبُوا أَنِيبُوا واسْتَعِيدُوا صَوَابَكُمْ أَفَقْنَا وَمَا زَالَتْ خَلَائِقُكُمْ سَكْرَى

فالشاعر هنا يكرر الفعل (أنيبوا) مرتين متتاليتين، منبهاً أقطاب العدوان الثلاثي على مصر، ومهدداً إياهم بالخطر المحدق بهم على أيدي أبناء الأمة العربية بعد أن أفاقوا من غفلتهم.

وتكراره لفعل الأمر في الشاهدين السابقين يعكس لنا شدة انفعال الشاعر، ويوحي بسيطرة الفكرة - التي استدعت ذلك الحث والتحذير والتوكيد عليهما - على ذهنه .

أما تكراره للصيغ والأدوات فيشمل ((الاستفهام ، والنداء) ، ومن نماذج تكراره لصيغ وأدوات الاستفهام قوله[2] :

يا رَائِدِي طَبقَاتِ الجَوِّ هَلْ فَرَغَتْ
مَشَاكِلُ الأَرْضِ أَوْطَاناً وسُكَّانَا
وَهَلْ أَضَاءَ السَّلَامُ الكَوْنَ وانْتَشَرَتْ
أَنْوَارُهُ واسْتَقَامَ الحَقُّ مِيزَانَا
وَهَلْ تَحَقَّقَ لِلْإِنْسَانِ مَطْلَبُهُ
من الحَيَاةِ وَأَضْحَى الكَوْنُ بُسْتَانَا

---

(١) الأعمال الكاملة ، ص ١٦١ .

(٢) المصدر السابق : ص ٣٩٢ - ٣٩٣ .

وَهلْ غَدَا العَالَمُ الأَرْضِيُّ مُنْسَجِمَاً

مَــذَاهِبَاً ومَـفَـاهِيمَاً وأَدْيَانَا

فالشاعر في هذه الأبيات قد عمد إلى تكرار صيغة الاستفهام (هل) أربع مرات ، طارحاً ـ من خلالها ـ عدداً من الأسئلة ، تعكس رؤيته الفكرية لهموم إنسان العصر ، وتشف عن توجسه وقلقه على مستقبل البشرية . وهذا التوجس يدل على أن السنوسي لم ينكف على ذاته ، ولم يحط نفسه بسياج يعزله عن قضايا عصره وإنسانيته ، وإنما هو شاعر مهموم بقضايا أمته وقضايا الإنسانية جمعاء[1] .

ومن نماذج تكراره لصيغ الاستفهام قوله[2] :

أَيْنَ نَزْعُ السِّلَاحِ يَا أَيُّهَا القَوْ مُ وأَيْنَ المَبَادِيءُ العَالَمِيَّةْ ؟

أَيْـنَ حُرِّيَةُ المَصِيرِ وإِقْرَا رُالمَوَاثِيقِ والعُهُودِ الجَلِيَّةْ ؟

أَفَمَا آنَ لِلْحَقِيقَةِ أَنْ تَحْـ يَا حَيَاةً لا تَعْرِفُ البُنْدُقِيَّةْ؟!

أَفَمَا آنَ لِلسَّلَامِ المُفَدَّى أَنْ يَسُودَ الوَرَى وُيلْقِي عُصَيَّهْ؟!

يَا إِلَهِي مَاذَا أَيَنْتَحِرُ السِّلْـ ـمُ على مَذْبَحٍ من المَدَنِيَّةْ؟!

فالشاعر في هذه الأبيات يكرر عدداً من صيغ الاستفهام ، مشعلاً أسئلة تتعلق بالسلام كأمل ينشده الشاعر ، ويتمنى تحققه في كل أرجاء المعمورة ، وتفصح عن ألم عميق يسري في وجدانه ؛ لتخاذل الهيئات ـ التي أنشأت لحفظ حقوق الأمم وإرساء دعائم السلام على الأرض ـ في تطبيق قرارتها على الدول العظمى التي اجتاحت كثيراً من الأراضي العربية والإسلامية .

ومن تكراره لصيغ النداء تكراره لـ (يا ثاني اثنين) في قصيدته التي قدم لنا فيها صوراً من حياة الصديق ـ رضي الله عنه ـ حيث تكررت تلك الصيغة ست

---

(١) دراسات في شعر محمد بن علي السنوسي ، لربيع محمد عبد العزيز وآخرين ، ط (١) ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م ، ص ٤٠ « بتصرف » .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٢٢٦ .

مرات في الأبيات الآتية[1] :

يـــا ثـَـانِيَ اثْنَيْنِ في دَارٍ هـِيَ الغَارُ
إِنَّ اخْـتِـيَـــارَكَ لِلْمُـخْتَارِ مُخْتَارُ
يا ثَانِيَ اثْنَيْنِ مَا لِي أَسْتَشِفُّ ضَنًى
على مُحَيَّاكَ وهْـوَ - الدَّهْـرَ - زَهَّــارُ
يا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِنَّ المُسْـلِمِيْنَ أُسـًى
قَدْ زَلْزَلَتْهُمْ أَحَادِيثُ وأَخْـبَـــارُ
يا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِنَّ الدِّينَ في خَـطَـرٍ
وأَنْتَ لِلدِّيْنِ مُذْ أَسْلَمْتَ نَـصَّـارُ
يا ثَانِيَ اثْنَيْنِ لَوْ أَبْصَرْتَ حَاضِرَنَا
والمُسْـــلِمُونَ حَيَارَى أَيْنَمَا دَارُوا
يا ثَانِيَ اثْنَيْنِ في ذِكْـرَاكَ مَوْعِظَةٌ
وفي جِـهَـادِكَ لِلسَّـــــارِيْنَ أَنْوَارُ

فالسنوسي في النص الذي أوردنا منه هذه الأبيـات يسـعى إلى تقديـم شـخصية أبي بكر الصديق - رضي ا لله عنه - لأبناء أمته كأنموذج ينبغي احتذاؤه، والسير على منواله، إذا كانوا راغبين في العودة بأمتهم إلى سابق عهدها .

وشخصية الصديق غنية بذكرياتهـا ، وبمواقفهـا البطوليـة منـذ بدايـات الدعـوة الإسلامية إلى أن توفاه ا لله .

وقد أتاحت صيغة النداء (يا ثاني اثنين) لشاعرنا اسـتحضار كثير مـن المواقـف والأحداث التي رافقته - رضي ا لله عنه - في مراحل حياته المختلفة، منذ بزوغ فجر الرسالة الإسلامية .

---

(١) المصدر السابق : ص ٥٣٢ - ٥٣٨ .

ولو تأملنا ما جاء بعد تلك الصيغة في كل الأبيات لوجدنا موقفاً من مواقفه الشجاعة تلك، ثم يأخذ الشاعر ـ بعد ذلك ـ في عرضه لأبعاد ذلك الموقف، عدا البيتين الأخيرين فقد حملهما الشاعر همه وشكواه من حاضر أمته الأليم ، محاولاً إطلاعه على الردة الحديثة التي تعيشها أمته الإسلامية ، وافتقادها لقائد يعيدها إلى صوابها ، كما فعل الصديق ذلك في الأمس البعيد مع كثير من القبائل العربية التي ارتدت عن الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ .

ومن تكراره للعبارات في شعره قوله[1] :

اللهُ أكبرُ موجةٌ من زاخرٍ	عبرَتْ غواربُها المحيطَ الأكبرا
اللهُ أكبرُ صيحةٌ من ظافرٍ	ملأَ اليقينُ فؤادَهُ وتفجّرا
اللهُ أكبرُ لفتةٌ من حائرٍ	لاحَ الطّريقُ لهُ فشمّرَ وانبرى
اللهُ أكبرُ لفظةٌ فتحتْ بها	والمسْلمونَ يدٌ مغاليقُ الذُّرى

فالسنوسي في هذه الأبيات قد كرر عبارة (الله أكبر) أربع مرات ، بدافع شعوري عميق، قوامه سيل من التداعيات والذكريات التي ارتبطت بهذه العبارة الجميلة في معناها ومبناها ، هيجتها تلك الالتفافة الجميلة لرؤساء المسلمين وزعمائهم في المهد الأول (أم القرى) لتلك العبارة .

وقد وفق الشاعر كثيراً في تكراره لتلك العبارة، وفي ربطها بما جاء بعدها من جمل تفصح عن ذكريات ارتبطت لا بمجرد التكرار لتلك العبارة في مواقف المسلمين في حياتهم المختلفة ، وإنما من خلال استشعارها ، والتفاني في سبيل إعلائها .

وهذا الذي كان يسعى إليه السنوسي ، موجهاً إليه أبناء أمته الإسلامية في عصرهم الحاضر.

---

(١) المصدر السابق : ص ١٨ - ١٩ .

الحوار

من الأساليب التي لها حضورها في تجارب السنوسي التي عرضنا لها أسلوب الحوار وهو« أن يحكي المتكلم مراجعة في القول ، ومحاورة بينه وبين غيره »[(١)] .

وميزة هذا الأسلوب أنه يمنح النص الشعري قيمة فنية بالغة ، فبواسطته يستطيع الشاعر الابتعاد بتجربته عن التقريرية والمباشرة ، ويضفي عليها الحركة والحيوية والنشاط .

ومن نماذج اعتماد السنوسي على هذا الأسلوب في تجاربه، ما جاء في قصيدته (القرد الفنان) الذي رمز به إلى بعض الشباب المتفسخ، في حوار بديع ، أقامه الشاعر بينه وبين أحد الطاعنين في السن ، ليعمق السخرية من ذلك الشاب .

يقول السنوسي في قصيدته تلك[(٢)] :

رَأَيْتُهُ وهْوَ يَمْشِي مَشْيَ فَنَّانِ
كَأَنَّهُ فَارِسٌ في وَسْطِ مَيْدَانِ
يَهُزُّ عِطْفَيْهِ إِعْجَاباً بِحُلَّتِهِ
ويَمْسَحُ الشَّعْرَ من آنٍ إِلَى آنِ
في (بَدْلَةٍ) تُبْرِزُ الأَعْطَافَ مَاثِلَةً
أَرْكَانُهَا وزَوَايَاهَا (كَفُسْتَانِ)

---

(١) تحرير التحبير ،ابن أبي الأصبع المصري ، تحقيق الدكتور حفني شرف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٩٦٣م القاهرة ، ص ٥٩٠ .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٤٤١ - ٤٤٣ .

فَقُلْتُ مَاذَا أَرَى يَا قَوْمِ هَلْ مُسِخَتْ
طِبَاعُ قَوْمِي وإِخْوَانِي وأَقْرَانِي؟
إِنِّي أَرَى بَيْنَكُمْ قِرْدًا فَكَيْفَ أَتَى
وكَيْفَ أَلْبَسْتُمُوهُ لِبْسَ إِنْسَانِ؟
فَقَالَ شَيْخٌ ظَرِيفُ الرُّوحِ يُعْجِبُهُ
حَبْكُ الفُكَاهَةِ فِي جِدٍّ وإِتْقَانِ
لاَ يَا أَخِي إِنَّهُ قِرْدٌ مُثَقَّفَةٌ
أَخْلاَقُهُ عَبْقَرِيُّ الفِكْرِ والشَّانِ
وسَوْفَ تَسْمَعُ مِنْهُ كُلَّ رَائِعَةٍ
من البَيَانِ المُصَفَّى والنُّهَى البَانِي
فَكَانَ مَا كَانَ مِمَّا لَسْتُ أَذْكُرُهُ
من الهُرَاءِ ومن إِسْفَافِهِ الدَّانِي
فَقُلْتُ لِلشَّيْخِ إِعْجَابًا بِنُكْتَتِهِ
وبِالطَّرَافَةِ فِي أُسْلُوبِهِ القَانِي
القِرْدُ قِرْدٌ وإِنْ رَقَّتْ شَمَائِلُهُ
وإِنْ تَعَلَّمَ نُطْقَ الإِنْسِ والجَانِ
تَرَاهُ يَرْقُصُ فِي جِدٍّ وفِي هَزَلٍ
لِيُضْحِكَ النَّاسَ مِنْهُ مِثْلَ (طَرْزَانِ)
يَلْغُو ويَلْهُو ويَأْتِي من عَجَائِبِهِ
بالمُضْحِكَاتِ كَأَحْلَى قِرْدِ فَنَّانِ

فالأصوات التي تجاذبت الحوار حول سلوك ذلك الشاب المشين ثلاثة أصوات هي : صوت الشاعر ، وصوت الجمهور الذين طرح عليهم ذلك التساؤل وإن لم يتكلموا ، وصوت ذلك الشيخ الذي انبرى ساخراً من

تصرفات ذلك الشاب الطائش .

وباعتماد السنوسي على هذا الأسلوب في سخريته من ذلك الشاب المنجرف في متاهات المدنية الوافدة من بلاد الغرب ، قد نجح في الابتعاد بقصيدته عن التقريرية والمباشرة ، ومنحها قدراً من الحيوية والحركة والنشاط ، أضف إلى ذلك أنه استطاع - عن طريق ذلك الأسلوب - توجيه نصيحته لأبناء مجتمعه بالمحافظة على عاداتهم وتقاليدهم المستمدةمن تعاليم وقيم دينهم الحنيف ، كما أبان عن موقف الكثير من الآباء الطاعنين في السن من بعض المظاهر السلبية للمدنية الحديثة في مجتمعنا .

وفي قصيدته (رحلة إلىالقمر) يدير السنوسي حوراً بديعاً بينه وبين أحد الأشخاص حول القمر واقتحام روّاد الفضاء لعالمه ، وتمكنهم من سبر أغواره وفك طلاسمه ، وعن عدم صلاحيته لأن يكون الصورة المثال لوجه حبيبته ؛ لأنه لم يعد يختلف عن الأرض في شيء ، بينما يظل القمر عند شاعرنا هو الصورة المثال لجمال حبيبته . يقول السنوسي في قصيدته تلك[1] :

قَالَ لِي وهْوَ سَاخِرٌ ... وهْوَ لَا يُحْسِنُ السَّخَرْ
أَيُّهَا الشَّاعِرُ الكَبِيـْ ... ـرُ أمَا جَاءَكَ الخَبَرْ
وصَلَ القَوْمُ لِلسَّمَا ... ءِ وطافوا بِهَا زُمَرْ
واسْتَفَاقَتْ حَبِيبَتِي ... من خِدَاعٍ ومن خَدَرْ[2]
لَمْ يَعُدْ حُسْنُ وجْهِهَا ... أَبَداً يُشْبِهُ القَمَرْ

(١) المصدر السابق : ص ٤٥٥ - ٤٥٩ .

(٢) خدر : الخادر : المتحير ، والخادر والخدور من الدواب وغيرها : المتخلف الذي لم يلحق ، وقد خدر.

بَـعْـدَ مَادِيْسَ وجْـهُـهُ ومَشَى فَوْقَهُ البَشَـــــرْ
كَانَ إشْــرَاقُ لَوْنِهَــا بَهْجَةَ غُرَّةَ الغُــــــرَرَ
قُلْتُ مَـهْــلاً وخَــلِّنِي من هُرَاءٍ ومن هَــــذَرْ
ذَاكَ شَـــيءٌ عَلِمْـتُـهُ مُذْ وَعَى قَلْبِيَ الفِكَــــرْ
كَانَتِ الأَرْضُ والسَّمَا ءُ أَمَا تَقْرَأُ السُّــــــوَرْ
فَـتَــقَ ا للهُ رَتْـقَـهَــا فَانْدَحَى الكَوْنُ وانْتَشَرْ
غَـــيْرُ أَنــيِّ ولَمْ أَزَلْ بِشُعُورِ الهَوَى الأَغَـــرْ
يَسْــــتَبِي قَلْبِيَ الجَمَا لُ ويَسْتَحْسِنُ الصُّــوَرْ

فالسنوسي في تلك القصيدة التي أوردنا منها هـذه الأبيات يجلي رؤية الشاعر للجمال ، ويعمق الإحساس به في كل الأشياء التي لا يجد فيها غيره جمالاً . وذلك لأن الشاعر ـ كما هو عند شاعرنا ـ يتجاوز دائماً الشكل الظاهري إلى الماهية ، والقشور إلى اللباب ؛ ولهذا يطلعنا الشاعر في كل رحلة من رحلاته الوجدانية التأملية على كنز ثري بالجمال الذي لم تقع عليه أحداقنا من قبل ، حتى في تلك الأشياء التي تبدو لنا غير جميلة ، أو في الأشياء التي فقدت سر جمالها مع مرور الوقت .

ولعل شاعرنا قد نجح ـ باستخدامه لهذا الأسلوب ـ في بيان الاختلاف الواضح بن رؤية الشاعر وغيره من الناس للجمال في كثير من الأشياء التي تحفل بها حياتنا اليومية ، وفي جذب المتلقي إلى آفاق تجربته تلك ، وإغرائه بمتابعتها وصولاً إلى النهاية التي أسفرت عنها.

ويتكىء على هذا الأسلوب في قصيدته (اليتيم السعيد) حيث أدار حواراً مع طفل أغرته سعادته في يوم العيد بسؤاله عن أبيه ، فيفاجئه الطفل

بيتمه ، وبتفكيره الذي سبق عمره الزمني بمراحل .

يقول السنوسي في تلك القصيدة[1] :

مَرَّ من جَانِبِي يُزَقْزِقُ (كالعُصْـ ـفُورِ) في كُلِّ خُطْوَةٍ تَغْرِيدُ
فَهَفَتْ مُهْجَتِي إِلَيْهِ حَنَاناً أَبَوِيّاً يَضُمُّهُ ويَزِيدُ
وتَأَمَّلْتُهُ مَلِيّاً وفي قَلْـ ـبِي سُؤَالٌ بِهِ لِسَانِي يَمِيدُ
وَسَأَلْتُ الوَلِيدَ في نَشْوَةِ العِيـ ـدِ وقَدْ سُرَّ بالسُّؤَالِ الوَلِيدُ
ابْنُ مَنْ أَنْتَ يَا بُنَيَّ وأَصْغَيْـ ـتُ إِلَيْهِ وَبِي اشْتِيَاقٌ شَدِيدٌ؟
أَنَا يَا سَيِّدِي يَتِيمٌ ولَكِنِّـ ـي سَعِيدٌ لا بَائِسٌ أَوْ شَرِيدُ
سَكَنِي وَارِفٌ ومَائِيَ مَسْكُو بٌ وزَادِي مُرَفَّهٌ مَنْضُودُ[2]
وفُؤَادِي تَرُبُّهُ من يَدِ العِلْـ ـمِ يَدٌ بَرَّةٌ وقَلْبٌ ودُودُ[3]
فَانْتَشَى قَلْبِيَ المُغَرِّدُ وانْثَا لَتْ قَوَافِيهِ واسْتَفَاضَ القَصِيدُ

والمتأمل في هذه الأبيات التي بدا فيها الحوار بين السنوسي وذلك الطفل اليتيم واضحاً ، يقف على مقدرته في استغلاله لتوجيه نصيحة غير مباشرة لأبناء مجتمعه . فهو هنا يرسم الطريق المؤدي إلى وجدان كل يتيم ، ويضع أمام أحداقنا الأشياء التي يمكننا عن طريقها إدخال البهجة والسرور إلى عالمهم . كما أن تلك الأبيات تحوي توجيهاً غير مباشر للأيتام أنفسهم، فهو يحثهم على طلب العلم ؛ لأنه السلاح الوحيد الذي سيمكنهم من التغلب على الصعوبات التي تحفل بها الحياة .

(١) المصدر السابق : ص ٤٠٧ - ٤٠٩ .

(٢) وارف : واسع ممتد ، ومرفه : من الرفاهية وهي : الخصب والسعة في المعاش ، منضود : بالتحريك: ما نضد من متاع البيت ، وقيل : عامته ، وقيل : هو خياره وحره .

(٣) تربه : تصلحه .

وفي قصيدته (أنشودة الصقر) يتكئ على هذا الأسلوب ، حيث أدار حواراً بين الصقر والحية .. ، وفي ذلك يقول[١] :

زَحَفَتْ نَحْــــوَهُ فَمَدَّ إِلَيْهَا ... نَظَراً ثَاقِباً وَرُوحاً قَــوِيَّــا
فَتَهَاوَتْ على التُّرَابِ وقَالَتْ: ... إِنَّنِي أَنْشُــدُ اللِّقَاءَ الحَفِيَّا
أَفَتَرْضَى بِأَنْ أُطَــارِحَــكَ القَوْ ... لَ سَمِيراً وأَنْ أَكُونَ نَــجِيًّا؟
أَنْتَ في هَذِهِ الدِّيَـــارِ غَرِيبٌ ... يا صَدِيقِي فَضَعْ يَداً في يَدَيَّا
واسْتَفَاضَ الحَدِيثُ بَيْنَ الصَّدِيقَـــيْنِ زُلَالاً تَعُبُّ منه النُّفُوسُ
حِيْنَ قَالَتْ: من أَيِّ أَرْضٍ ومن أَيِّ مَكَانٍ هَذَا الجَمَالُ النَّفِيسُ؟!
كَيْفَ لَمْ نَهْتَدِي إِلَيْهِ ولَمْ تَخْـ ... ـطُرْ بِهِ فِكْرَةٌ عَلَيْنَا الرُّؤُوسُ؟! [٢]
قَالَ : إِنَّنِي من عَالَمِ النُّورِ يا أُخْـ ... ـتُ وَدَارِي نُجُومُهُ والشُّمُوسُ

فالحوار في هذه الأبيات دائر بين الصقر الذي دارت حوله قصة السنوسي الشعرية ، والحية التي أغراها ذلك الجمال ، فجذبها إلى السؤال عن مصدره .

ويظهر الحوار بين الشاعر وذلك الطيف الذي زاره في كبره ؛ ليهيج في عالمه الذكريات ، حيث يقول في قصيدته (عودة الماضي)[٣] :

قُلْتُ وَقَدْ جَازَ إِلَيَّ الظُّلَـــمْ ... رَيَّانَ من خَمْرِ الصِّبَا والجَمَـــالْ
يُثِيرُ عن قَلْبِي غُبَارَ الهَـــرَمْ ... وَيَنْتَضِي سَيْفاً جَفَاهُ الصِّقَالْ[٤]
أَنَّى تَخَطَّيْتَ إِلَيَّ الـقِــــدَمْ ... وكَيْفَ لَمْ تَرْقُبْ خُطَاكَ اللَّيَالْ؟
قَالَ وفي فِيــــهِ رَنِينُ النَّغَمْ ... في خُطْوَةِ الفِكْرِ وَوَثْبِ الخَيَالْ

(١) الأعمال الكاملة : ص ١٧٨ - ١٨٠ .

(٢) أثبت الشاعر (الياء) في الفعل المضارع المجزوم حتى لا ينكسر الوزن في البيت .

(٣) الأعمال الكاملة ص ٥١ - ٥٢ .

(٤) الهرم: أقصى الكبر ، والصقال : الصقل : الجلاء .

وكَيْفَ تَسْتَذْنِي شَبَابِي البَعِيدْ ... من قَبْضَةِ التَّارِيخِ يا آسِري؟
دَعْنِي بِحُبِّكَ القَدِيمِ الجَدِيدْ ... أَعِيشُ في المَاضِي وفي الحَاضِرِ
إِنِّي بِآلَامِي وهَمِّي سَعِيدْ ... أَحْيَا حَيَاةَ الطَّيْرِ والشَّاعِرِ

فالحوار في هذه الأبيات قائم بين السنوسي وذلك الطيف الذي زاره فجأة في إحدى خلواته بنفسه ؛ ليهيج في عالمه ذكريات دفينة لحب عميق عاشه في فترة من فترات حياته .

والذي ساعد على إبراز هذه الحوار الجميل تنويع الشاعر للقوافي في تلك المقاطع، بالإضافة إلى وضوح اللغة في ذلك الحوار، وقصر تراكيبها، ووفرة أدوات الاستفهام والتعجب فيها .

الأسلوب القصصي

من الأساليب التي لها حضورها القوي في تجارب (السنوسي) الأسلوب القصصي ، وأعني به في دراستي هذه « استخدام الشاعر الغنائي لبعض أدوات التعبير التي يستعيرها من فن آخر هو فن القصص »[١] .

والشاعر عندما يستعير من القصة بعض أساليب بنائها وبعضًا من لغتها ، لا يعني هذا - بالضرورة - أنه ينسج شعراً قصصياً ، أو قصة شعرية ، إنما يستعير طاقة تعبيرية ، يستطيع أن يعبر بها عن محتوى ، وبذلك تزداد طاقة القصيدة التعبيرية[٢] .

وقدلاحظ أحد الباحثين استفادة كل من الشعر والقصة من بعضها البعض ، فالقصة كما يرى تستفيد من الشعر التعبير الموحي المؤثر ، بينما يستفيد الشعر من القصة التفصيلات المثيرة الحية ، فهي بنية متفاعلة ، يستفيد كل شق فيها من الآخر، وينعكس عليه في الوقت نفسه[٣] .

وهذا الأسلوب الذي نحن بصدد الحديث عنه في شعر شاعرنا، أسلوب مألوف ظهر - منذ القدم - على يد امرىء القيس ، خاصة عندما يتصدى لوصف مغامراته الليلية ، التي كان يتسلل فيها - والظلام مطبق على الكون - إلى حبيبته ، وسار على نهجه - فيما بعد - عمر بن أبي ربيعة ، ففصل ما أجمل أستاذه ، مكثراً من الحوار في شعره الحاوي للعنصر القصصي .

---

(١) الشعر العربي المعاصر ، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، د . عز الدين اسماعيل ط (٣) ١٩٨١م، دار العودة ودار الثقافة ، بيروت . ص ٣٠٠ .

(٢) لغة الشعر العراقي ، عمران خضير حميد الكبيسي ، ط (١) ١٩٨٢ م ، ص ١١٧ «بتصرف» .

(٣) الشعر العربي المعاصر ، ص ٣٠١ « بتصرف » .

وقد تطور هذا الأسلوب في عصرنا الحديث إلى ما يعرف بالقصة الشعرية على يد خليل مطران ، والذي ساعد مطران على براعته في هذا اللون « أنه محدث من الطراز الأول ، وأنه يلتفت في كتاباته إلى الدقائق ، ويعنى بالتفاصيل »[١] .

ونحن إذا أمعنا النظر في قصائد السنوسي (فارس الأحلام ، عودة الماضي موكب السحاب ، أنشودةالصقر ، ليلة الهجرة ، الكيان الكبير ، اليتيم في العيد ، الفيلسوف والطائر الأعمى ، عصبة السفاح) نستطيع أن نخرج من كل منها بما يشبه القصة ، ولكنها لم تكن غاية ، أو هدفاً ، فهي قصائد شعرية قبل أن تكون قصة ، باستثناء (أنشودة الصقر) فهي في الأصل قصة للكاتب العالمي مكسيم جوركي) صاغها السنوسي بأسلوب شعري أخاذ .

وهذه القصائد التي أشرنا إليها ، نجد السنوسي يستفيد فيها من بعض الوسائل الفنية التي يستخدمها كل قاص بارع ، كالتشويق ، والإثارة ، والحبكة ، والخاتمة ، والتعبير الدارمي. ونجد فيها لغة تفصيلية ، ونلمس تصدر أسلوب التجسيد ، ولكنها لغة مجازية موحية ، مصبوبة في قالب بلاغي ، وهذا ما يجب توافره في كل قصيدة شعرية .

ومن نماذج شعره الحاوي للعنصر القصصي قصيدته (فارس الأحلام) التي رمز بها لفتح الرياض كما يقول[٢] . فهو يبدأ فيها بتجسيد الزمن الذي اختاره الملك عبد العزيز لاقتحام أسوار الرياض ، حيث يقول[٣] :

الـدُّجَى يَزْحَفُ والنَّجْمُ يَرُودُ ... وهِلَالُ الأُفْقِ في الأُفْقِ وَلِيدُ
والجِبَالُ الشُّمُّ تَسْتَافُ السَّنَا ... والسَّنَا البَاهِتُ يَطْوِيهِ الصَّعِيدُ[٤]

(١) مطران (نوابغ الفكر العربي) محمد عطا ، ط دار المعارف ١٩٥٩ م ، ص ٦٢ .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ١٣٣ .

(٣) المصدر السابق : ص ١٣٣ - ١٣٤ .

(٤) الجبال الشم : أي العالية الرفيعة الرؤوس ، والصعيد : الأرض وقيل الأرض الطيبة .

والنَّسِيمُ الطَّلْقُ لا يَـهْـفُــو بِهِ نَفَسٌ يَجْرِي ولا غُصْنٌ يَمِيــــدُ
والنَّخِيلُ الشُّعْثُ قَدْ مَالَتْ بِهَا سَكْرَةُ اللَّيْلِ وغَشَّاهَا الهُمُودُ(١)
وعَذَارَى البِيدِ يَلْبَسْنَ الأَسَى من وِشَاحِ العِيدِ والعِيدُ جَـدِيدُ
ورُبَى الوَادِي على أَغْصَانِـهَـا حَبَبٌ غَافٍ وأَزْهَارٌ رُقُــودُ(٢)
وكَأَنَّ الكَوْنَ قَدْ لَفَّ الـوَرَى صَمْتُهُ الدَّاجِي وسَجَّاهُ الجُمُودُ

فالسنوسـي في هـذه الأبيـات وفـق إلى حـد بعيـد في اسـتدراج المتلقـي وتشـويقه، بواسـطة لغتـه التفصيليـة الـتي تجسـد تلـك الليلـة الـتي هـم فيهـا الملـك عبد العزيز باقتحـام أسـوار الريـاض . فالمشـاهد المتلاحقـة الـتي انتظمهـا خيـال السنوسي المحلق توحي بزمـن ذلـك الاقتحـام ، وإنـه كـان ليـلاً . نلمـس ذلـك في زحـف الدجـى علـى الفضـاء ، وفي ذلـك النجـم الـذي يجـوب السـماء وحيـداً ، وفي الهـلال الـذي مـا زال في بداياتـه . ومعنـى ذلـك أن الظـلام في تلـك الليلـة كـان كثيفـاً ، والـذي يعمـق تلـك الكثافـة الصمـت الـذي ران علـى الطبيعـة بنوعيهـا ، والسـكون العميـق الـذي عـانق كـل شـيء فيهـا . تفصـح عـن ذلـك المشاهد التي تجسـد لنـا ذلـك الصمـت الرهيـب :

(السـنا البـاهت يطويـه الصعيـد ، والنسـيم الطلـق لا يهفـو بـه نفـس يجـري ولا غصـن يميـد ، والنخيـل الشـعث قـد مـالت بهـا سـكرة الليـل وغشّـاها الهمـود...) .

وينتقـل السنوسـي مـن تجسـيده المدهـش لتلـك الليلـة إلى عـالم (هنـد) الـتي رمـز بهـا لمدينـة الريـاض ، فيطلعنـا علـى مـا يحتويـه وجدانهـا ، ومـا يجـول فيه من مشـاعر وأحاسيس تعلـو تـارة ثـم تنخفـض ، رغبـة ورهبـة .

---

(١) الشعث : التشعث : التفرق والتنكث .

(٢) حبب : الطل الذي يصبح على النبات .

يقول السنوسي في ذلك[1] :

وانتحَتْ (هِنْدٌ) وقَدْ طَافَتْ بِـهَا
نَشْوَةُ الذِّكْرَى وأَضْنَاهَا السُّهُودُ

أَيُّ حُلْمٍ رَفَّ في أَجْفَانِهَا
مِن خَيَالٍ زَارَ والمَنْأَى بَعِيدُ

طَائِفٌ هَبَّتْ تُنَاجِي رُوحَهُ
وتُنَادِيهِ وتُبْدِي وتُعِيدُ

أَيُّهَا النَّازِحُ عن أَيْكِ الهَوَى
صَوَّحَ الوَرْدُ وفي قَلْبِي وُرُودُ[2]

يَا (كِيُوبِيدَ)[3] الهَوَى في كَبِدِي
جَمْرَةُ الجَمْرِ وأَشْوَاقِي وَقُودُ

تَنْقُصُ الدُّنْيَا على حُلْوِ المُنَى
وعلى الآلامِ آمَالي تَزِيدُ

أَنَا مَا زِلْتُ على عَهْدِ الهَوَى
أَبَدَ الدَّهْرِ وقَلْبِي لا يَحِيدُ

هَكَذَا قَالَتْ لِهِندٍ نَفْسُهَا
ونُفُوسُ الغِيدِ لِلْأَحْلَامِ غِيدُ

---

(١) الأعمال الكاملة : ص ١٣٤ - ١٣٦ .

(٢) صوَّح : صوح النبات إذا تشقق وييس .

(٣) كيوبيد : إله الحب عند الإغريق . انظر ، معجم الأعلام ، في الأساطير اليونانية والرومانية ، ترجمة أمين سلامة ، ط (١) ١٩٥٥م ، دار الفكر العربي . ص١٠٤ - ١٠٥ .

وتَـلاَشَيَ في رَجَـــــاءٍ يَـائِسٍ
حُلُمٌ لاَحَ تُوَارِيهِ السُّـــــدُودُ
دُونَهُ قَصْرٌ وَقَفْرٌ ولَـــــظًى
يَنْشُرُ الرُّعْبَ ونَارٌ وحَـدِيــــدُ
وسَـــــرَتْ تَهْتِفُ في أَعْمَاقِهَا
لَـيْـتَــهُ عَــادَ وَوَيْلِي لَوْ يَعُودُ

فالشاعر في هـذه الأبيـات يعنى بتجسيد العلاقـة المتينـة الـتي تربـط بـين هنـد (الريـاض) والملـك عبـد العزيـز ـ رحمـه الله ـ فهـي علاقـة محبـة عميقـة يحملهـا كل واحـد منهمـا للآخـر . ولـك أن تـدرك ذلـك في وصفـه للحالـة النفسـية الـتي تقمصـت روح هنـد ، وعوامـل الرغبـة والرهبـة الـتي تجاذبتهـا في تلـك الليلـة ، فهـي ترغـب في اقتحـام الملـك عبـد العزيـز لأسـوارها ؛ لتلقـاه بعـد فـراق مريـر ، وفي الوقـت ذاتـه تتمنـى أن لا يحـدث ذلـك ـ وهـي كارهـة ـ لخوفهـا علـى حبيبها المنتظر من بطـش أعدائـه بـه ؛ لأنهـا تـدرك قـوة ابـن الرشـيد .

ثـم يقـدم لنـا شـخصية الملـك عبـد العزيـز ـ رحمـه الله ـ مـن خـلال رسمـه لملامحهـا ، وتجسيده لآمـال وطموحـات تلـك الشـخصية الفـذة ، والصعوبـات التي تقف بينـه وبـين تحققهـا .

يقـول السنوسـي في ذلـك[1] :

وفَـتىً يَخْطُرُ في بُرْدِ الـصِّـــبَـا
والرَّدَى يَخْطُرُ و الأَرْضُ تَمِـيـدُ[2]
قَاتِمُ الوَفْرَةِ وضَّاءُ السَّـــنَـا
حَــالِمُ النَّظْرَةِ كَالرُّمْحِ مَدِيـــدُ

---

(١) المصدر السابق : ص ١٣٩ ـ ١٤٠ .

(٢) بردد: ثوب، والأرض تميد: تتحرك وتتمايل .

حَدَثٌ شَبَّ وفي أَعْطَافِـــــهِ
شِـــيَمٌ تَسْمُو وأَخْلَاقٌ تَسُودُ
بَيْنَ عَيْنَيْهِ ضِيَاءٌ لَامِـــــعٌ
من سَنَا مَاضٍ أَقَامَتْهُ الجُدُودُ
وبِـــأُذْنَـيْهِ صَدًى من غَابِرٍ
يُخْرِسُ الأَوْتَـارَ شَادِيهِ السَّعِيدُ
المُنَى الغُرُّ نَشَـــاوَى حَوْلَـهُ
والوَغَى المُرُّ بِعَيْنَيْهِ قَـعِـيـدُ
وطَرِيقُ المَجْدِ مَشْـبُوبُ اللَّظَى
جَاحِمُ الرَّمْضَاءِ مَلْغُومٌ كَؤُودُ(1)
والثَّرَى تَسْرَحُ في أَشْـــبَاحِهِ
العَمَالِيقُ وعَادٌ وثَمُــــــــودُ
شَقَّ جُنْحَ اللَّيْلِ عَزْمَاً ومَضَى
يَرْكَبُ الهَوْلَ ويُزْجِي ويَقُودُ
يَمْتَطِي طِرْفَاً ويَنْضُو صَارِمَـــاً
مَا لَهُ في وَثْبَةِ المَجْدِ حُـــدُودُ
يَقْنُصُ المَجْدَ ويَصْطَادُ العُـلَى
والظُّبَا تَلْمَعُ والمَوْتُ رَصِيـــدُ
العُلَى أَبْعَدُ شَيءٍ يَبْـتَـغِـــى
والرَّدَى أَقْرَبُ مَطْلُوبٍ يُرِيدُ

---

(١) ملغوم كؤود : أي مليء بالصعاب .

وهْــوَ إِمَّا الصَّدْرُ والمُلْكُ وَلاَ

شَيءَ إِلاَّ القَبْرُ مَا عَنْهُ مَحِيدُ[١]

ثم يدلف السنوسي إلى الحدث، والذي يكمـن في التقـاء كـل مـن الملـك عبـد العزيز وابن الرشيد ، ولم يعن السنوسي بوصف ذلك الحدث ، وإنما ألمح إلى قوته ، بقوله :

وتَـــلاَقَى في مَجَـالٍ ضَـيِّقٍ

القَوِيِّ الغِرُّ والحَقُّ الـرَّشِيـــدُ

مَوْقِفٌ قَفَّ لَهُ جِلْدُ الــثَّرَى

واكْفَهَرَّ الجَوُّ وارْبَدَّ الوُجُـودُ[٢]

ثم يرسم الخاتمة، والتي تكمن في انتصار الملك عبد العزيز على عـدوه ، وتمكنـه من استعادة ملك أجداده من قبضة ابـن الرشـيد. وقـد كـان لذلـك النصـر أثـره في تضوع الفرحة وانتشارها في الكون ، وله أثره في عالم (هند) التي رمز بها الشـاعر للرياض . يقول السنوسي في ذلك[٣] :

وانجَـــــلَى العِثْيَرُ عن تَكْبِيرَةٍ

رَجَّعَ البِيدُ صَدَاهَا والنُّجُودُ[٤]

---

(١) هذا البيت تضمين لمعنى بيت أبي فراس الحمداني :

ونحن أناس لا توسط بيننا لنا الصدر دون العالمين أو القبر

ديوان أبي فراس الحمداني ، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي ، ص ٦٦ .

(٢) قف : قام أو ارتعد من الفزع ، واكفهر : المكفهر من السحاب : الـذي يغلـظ ويسـود ويركـب بعضه بعضا .

(٣) الأعمال الكاملة ، ص ١٤١ - ١٤٢ .

(٤) العثير : الغبار المتطاير من أرض المعركة . والنجود ، واحدها النجد وهـو : مـا غلـظ مـن الأرض وأشرف وارتفع واستوى .

هَلَّلَ الكَـــوْنُ على أصْدَائِها
واسْتَهَلَّ النَّصْـرُ وافْتَرَّ السُّعُودُ
وأَضَـــاءَ الفَجْرُ في إشْرَاقِهِ
لِسَمَاءِ الشَّـرْقِ تَارِيخٌ جَدِيدُ
وَصَحَتْ هِنْدٌ عَلَى شَدْوِ المُنَى
وعلى الغَـــازي تَحِيَّةِ الوُفُودُ
واسْـــتَمَرَّ الدَّهْرُ يَرْوِي قِصَّةً
نَسْــجُهَا فَذٌّ وشَادِيْهَا فَرِيدُ

والمتأمل في هذه القصيدة يجدها مشبعة بالتقنية القصصية ، فاللغة التفصيلية التجسيدية ملمح بارز فيها ، نلمس ذلك في تجسيده لزمن ذلك الاقتحام ، وتجسيده للمشاعر والأحاسيس التي تتجاذب عالم (هنـد) الوجداني ، ثـم تجسيده لملامح الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ ولأحلامه وطموحاته ، وتجسيده لقوة ذلك الالتحام الذي وقع بين الملك عبد العزيز ومن معه وابن الرشيد وأتباعه ، ولتلك الفرحة الـتي غمرت الدنيا بأسرها إثر ذلك النصر ، والفتح المبين .

وفي حديث الشاعر عن (هنـد) يعمـد إلى المفاجـأة ، فيتقمص روح تلـك العاشقة ، وكأنه هي ، وتغيب ذاتية الشاعر عن الوجود ، وتحل محلها ذات العاشقة، فتحاور نفسها ، وتصارع هواجسها .

وهذا الأسلوب الذي انتهجه السنوسي يعزز الموقف الدرامي في القصيدة وينتشلها من المباشرة والتقريرية .

ونجد في هذه القصيدة الشخصيات وهي من أهم العناصر التي يقوم عليها العمل القصصي ، ولن أحيد عن الصواب إن قلت : إنها الأساس الأول الذي قامت عليه قصيدة السنوسي تلك ، خاصة إذا عرفنا أن القصيدة ـ منذ بدايتها ـ معنية بإبراز شخصية الملك عبد العزيز والإشادة بشجاعته وبطولاته .

وهناك شخصية أخرى ، إلا أن السنوسي لم يقدمها لنا كما قدم شخصية الملك عبد العزيز - رحمه الله - ولم يعن بتحديد ملامحها ، واكتفى بالإشارة إليها . إلا أننا نستطيع أن نحدد بعض ملامحها ، فهي شخصية ظالمة متكبرة .

وهاتان السمتان تفهمان من إشارة السنوسي إلى قصة العماليق وعاد وثمود ، في وصفه للصعوبات التي تنتظر الملك عبد العزيز ، وتعترض طريقه .

وهذا ما يسمى في القصة بتداعي المعاني أو ما يسمى بتيار الوعي .

ونجد في هذه القصة أهم ما يميز القصة على الإطلاق وهو الحل ، ويكمن الحل في هذه القصيدة في تلاقي الملك عبد العزيز بخصمه اللدود ابن الرشيد وأتباعه ، ومن ثم انتصار الملك عبد العزيز ، واستعادته لمدينة الرياض موطن أسرته الأول ومقر حكمهم .

والهدف الذي يرمي إليه السنوسي - من خلال هذه القصيدة التي صاغها بأسلوب قصصي ، حاوية لبعض تقنيات القصة - تبصير أبناء أمته الإسلامية بما يجب عليهم عمله ، وما يجب عليهم أن يتحلوا به من صبر ؛ حتى يتسنى لهم استعادة ما سلبه أعداؤهم منهم ، آخذين العبرة من الملك عبد العزيز - رحمه الله - الذي لم تحد من طموحاته في استعادة ملك آبائه وأجداده ، قلة عدد جيشه وعدته.

ويتخذ السنوسي هذا الأسلوب إطاراً لقصيدته (أنشودة الصقر) حيث يقول فيها[1] :

نَهَضَ الصَّقْرُ والسَّمَاءُ حَـواليَـ ـهِ سَحَاباً وَبَارِقاً وشُعَاعَا
جَـذَبَتْهُ إلى السَّمَاءِ مَعَانِيـ ـهَا فَلَبَّى نِدَاءَهَا و أَطَاعَا
وَمَضَى كُلَّما تَمَـادَى بِهِ الأُفْـ ـقُ اتِّسَاعاً سَمَا إِلَيْهِ انْدِفَاعَا

(١) الأعمال الكاملة ، ص ١٧٤ - ١٧٦.

نَبَضَتْ فِي فُؤَادِهِ نَشْوَةُ الحُـبِّ فَجَلَّى عُلاً وحَامَ ارْتِفَاعَا

* * *

طَائِـرٌ تَزْدَهِيهِ إِطْلالَةُ الفَجْـرِ ويَهْفُو بِقَلْبِهِ الإِشْرَاقُ

غَمَرَتْ رُوحَهُ الأَشِعَّةُ والأَضْـوَاءُ والنَّيِّرَاتُ والآفَاقُ

أَبَداً يَطْلُبُ السُّمُوَّ ويَعْلُو لِلْمَعَالِي جَنَاحُهُ الخَفَّاقُ

عَشِقَ الشَّمْسَ واسْتَبَدَّتْ بِهِ الشُّهْـبُ وأَلْوَتْ بِنَفْسِهِ الأَشْوَاقُ

* * *

رَنَّقَ الطَّائِرُ العَظِيمُ جَنَاحَيْـهِ وهَوَّى فُؤَادُهُ المَحْمُومَا(١)

ورَنَا يَكْرَعُ الضِّيَاءَ بِعَيْنَيْـهِ ويَلْهُو مُدَوِّماً مُسْتَقِيمَا(٢)

يَرْشُفُ الحُبَّ والسَّلَامَ كُؤُوساً ويُنَاجِي من النَّسِيمِ نَدِيمَا

فَإِذَا طَلْقَةٌ تُطَوِّحُ بِالصَّقْـرِ جَرِيحاً يَئِنُّ مِنْهَا أَلِيمَا

* * *

فَزِعَ الصَّقْرُ حِينَ مَسَّ ثَرَى الأَرْ ضِ جَنَاحَيْهِ وانْتَحَى وتَعَالَى

ومَضَى زَاحِفاً يَجُرُّ جَنَاحاً طَالَمَا رَوَّعَ الطُّيورَ صِيَالَا

لَمْ يُدَنِّسْ أَدِيمَهُ وَحَلُ الطِّيـنِ غِلَاباً ولَمْ يُنَفِّضْ رِمَالَا(٣)

فَإِذَا حَيَّةٌ تُطِلُّ عَلَيْهِ ثُمَّ تَطْوِي إِلَى مَدَاهُ حِبَالَا

* * *

زَحَفَتْ نَحْوَهُ فَمَدَّ إِلَيْهَا نَظَراً نَافِذاً ورُوحاً قَوِيَّا

فَتَهَاوَتْ على التُّرَابِ وقَالَتْ : إِنَّنِي أَنْشُدُ اللِّقَاءَ الحَفِيَّا

---

(١) رنق : رنق الطائر : إذا خفق بجناحيه في الهواء ولم يطر .

(٢) يكرع الضياء : أي صوب رأسه إليه ، ومدوماً : أي حلق في السماء ولم يحرك جناحيه .

(٣) أديمه : جلده .

أَفَتَرْضَى بِأَنْ أُطَارِحَكَ القَوْ ... لَ سَمِيراً وأَنْ أَكُونَ نَجِيَّا؟
أَنْتَ عن هَذِهِ الدِّيَارِ غَرِيبٌ ... يَا صَدِيقِي فَضَعْ يَداً في يَدَيَّا

* * *

واسْتَفَاضَ الحَدِيثُ بَيْنَ الصَّدِيقَيْـ ... ـنِ زُلَالاً تَعُبُّ مِنْهُ النُّفُوسُ
حِيْنَ قَالَتْ: من أَيِّ أَرْضٍ ومن أيِّ مَكَانٍ هَذَا الجَمَالُ النَّفِيسُ؟!
كَيْفَ لَمْ نَهْتَدِي إِلَيْهِ ولَمْ تَخْطُـ ... ـرْ بِهِ فِكْرَةً عَلَيْنَا الرُّؤُوسُ؟!
قَالَ: إِنِّي من عَالَمِ النُّورِ يَا أُخْـ ... ـتُ ودَارِي نُجُومُهُ والشُّمُوسُ

* * *

أَنَا لَا أَعْرِفُ التُّرَابَ ولا الطِّيْـ ... ـنَ ولا ضَمَّنِي من الأَرْضِ جُحْرُ
أَنَا من عَالَمٍ يَعِيشُ ويَحْيَا ... في سَمَاءٍ لَهَا صَفَاءٌ وطُهْرُ
لَا غُبَارٌ يَلُوحُ في جَوِّهَا الصَّا ... ـفِي شَقَاءً ولا دُخَانٌ وغَدْرُ
وهْيَ كَوْنٌ من الطَّلَاقَةِ والإِشْـ ... ـرَاقِ والبِشْرِ بَلْ خَيَالٌ وشِعْرُ

* * *

في شُمُوخِ الجِبَالِ رَفَّ جَنَاحَـ ... ـيَّ ومن نَبْتِهَا النَّضِيرِ غَذَيْتُ
وعلى قِمَّةٍ هُنَالِكَ شَمَّا ... ءَ تَرَعْرَعْتُ فَوْقَهَا وَرَبِيْتُ
رَشَفَتْ مُهْجَتِي الشَّآبِيْبَ والأَنْـ ... ـدَاءَ حَتَّى تَضَلَّعَتْ وانْتَشَيْتُ[1]
أَيْنَ مِنِّي سَنًا تَفَجَّرَ في نَفْـ ... ـسِي وأُفْقٌ من حُسْنِهِ مَا ارْتَوَيْتُ؟!

* * *

وشَكَى حَسْرَةً يُؤَجِّجُهَا العَجْـ ... ـزُ وضَعْفاً تُذْكِي لَظَاهُ الجِرَاحُ
ورَمَى طَرْفَهُ إِلَى الأُفُقِ أَسْيَا ... نَ وقَدْ هِيضَ رِيشُهُ والجَنَاحُ[2]

---

(١) تضلعت : أي امتلأ ما بين أضلاعه شبعاً ورياً .

(٢) هيض : أي كسر .

ثُمَّتَ اسْتَجْمَعَ القُوَي يَرْمُقُ الجَـــوَّ وقَدْ لاحَ في رُؤاهُ الصَّبَاحُ
زَفَّ في قُوَّةٍ وأَهْوى إِلَى البَحْـ ـرِ غَرِيقاً تبكي عَلَيْهِ الرِّيَاحُ (١)

* * *

شَاقَتِ الحَيَّةَ الأَحَادِيثُ حَتَّى لَمَعَتْ في لحَاظِهَا الأَطْمَاعُ
وأَسَرَّتْ عَزِيمَةً تَقْصِمُ الظَّهْـ ـرَ وتَعْيَا بِحَمْلِهَا الأَضْلاَعُ
جَمَعَتْ نَفْسَها انطِوَاءً وهَمَّتْ واشْـــرَأَبَّتْ وسَرَّهَا الانْدِفَاعُ
وثَبَتْ وثْبَةَ البُرُوقِ فَرَدَّتْـ ـهَا إِلَى الأَرْضِ شِيْمَةٌ وطِبَاعُ

* * *

وهَوَتْ تَفْحَصُ التُّرَابَ وتَهْتَـ ـزُّ على قَاعِهِ من الرَّجَفَانِ
وعلى حُفْرَةٍ هُنَالِكَ أَلْقَتْ جِسْمَهَا في حَقَارَةٍ وهَوَانِ
نَضْنَضَتْ والْتَوَتْ ومَالَتْ ودَسَّتْ رَأْسَهَا في رُطُوبَةِ الأَطْيَانِ (٢)
واسْتَفَاقَتْ مِمَّا عَرَاهَا فقَالَتْ : تِلْكَ عُقْبَى خُرَافَةِ الطَّيَرَانِ

* * *

لا لَيْسَتِ السَّمَاءُ لِصِلٍّ زَاحِفٍ في الظَّلاَمِ والأَدْغَالِ
أَنْتِ لَمْ تُخْلَقِي لإِشْرَاقَةِ الجَــوِّ ولاَ رَوْعَةِ الذُّرَى والجِبَالِ
ولِكُلٍّ حَيَاتُهُ يَا رُقَيْطَا ءُ فَلاَ تَهْرِفي بِسُخْفِ المَقَالِ
تِلْكَ عُقْبَى تَمَرُّدِ الطَّبْعِ والنَّفْـ ـسِ وإِسْرَافِهَا وسُوءِ الخِلاَلِ

* * *

واسْتَمَرَّتْ أُنْشُودَةُ الصَّقْرِ تَنْسَا بُ بِأَلْحَانِهَا على الأَكْوَانِ
يُطْرِبُ النَّفْسَ وَقْعُهَا وتُثِيرُ الـ ـفِكْرَ أَصْدَاؤُهَا وتُحْيِي الأَمَانِي

---

(١) زف : زفَّ الطائر في طيرانه يزف زفا وزفيفاً وزفزفة : ترامى بنفسه ، وقيل : هو بسطه جناحيه.

(٢) نضنضت : النضنضة : صوت الحية إذا حركت لسانها .

في تَلَاحِيْنِهَا من السِّـــحْرِ أَلْوا نٌ ومن فِتْنَةِ الجَمَالِ مَـــعَـــانِي
نَغَمٌ سَاحِرُ الصَّدَى ونَشِـــيدٌ من صَمِيْمِ الشُّعُورِ والوِجْـــدَانِ[1]

* * *

والمتأمل في هذه القصيدة يجدها مشبعة بالتقنية القصصية منـذ بدايتهـا ، نلمس ذلك في عنايته بتجسيد كل شيء ، فالبحر ذو العباب يحيي الشاطئ الحالم ، والأفق بهي ، والسنا الذائب يشعشع في الموج رحيقاً ، والشعاع الأبيـض يسـكب الصفـاء النقيا ، هذه المشاهد المتلاحقة لجمال الطبيعة في ذلك اليوم ؛ أغرت الصقـر بمفارقـة وكره ، والتحليق في أجوائها .

ويواصل الشاعر في بقية أبيات القصيدة تجسيده لكل ما حدث ، عن طريق لغة موحية ، تهتم بالتفصيل والتنقل بين الجزئيات علـى لسـان الشـاعر ، سـواء للحالـة الخارجية أو للوقائع ، فيحدثنا السنوسي عـن « قصـة هـذا الصقـر وكيـف تعـرض لطلقة نارية طوحت به جريحاً ، وهو طائر يعز عليه أن يتمرغ في الطين والأوحال ، وإذا حية تطل عليه وتقترب منه رويداً ، وبنظرة واحدة منه تراجعـت وطلبـت منـه صداقته ، ويجري بينهما حوار قصير ، تعلم منه أن هذا الصقر جاء من أراض بعيـدة كانت مهـداً للجمـال والحـب والصفـاء والوفـاء .... ، ثـم يسـتجمع الصقـر قـواه ويطير، ويترك الحية تحاول أن تطير ، لكنهـا تخيـب في محاولتهـا لأن الطـيران مخـالف لتركيبها وطبيعتها ، أما هو فيهوي في البحر ويموت ... »[2] .

ولا يخفى على القارئ المتعمق ما تحفـل بـه هـذه القصيـدة مـن أشياء هـي مـن صميم عقيدتنا الإسلامية .

فالصقر ذلك الطائر القوي ، عاشق السـماء ، ومرهـق الطيـور بملاحقتـه لهـا

(١) الأعمال الكاملة ص: ١٨٣ - ١٨٧ .

(٢) شعراء من أرض عبقر ، ج (٢) ص ١٥٥ - ١٥٦ .

كان مآله إلى المـوت ، مطلقاً حقيقـة حتميـة أنـه لا بقـاء إلا لله . والحيـة ـ ذلـك المخلـوق الزاحـف ـ تواجـه بالفشـل الذريـع، عندمـا تحـاول التمـرد علـى فطرتهـا وماهيتها رغبة في الطيران، مطلقة هي أيضـاً حقيقـة حتميـة، تكمـن في أنـه مـا مـن مخلوق إلا وهو ميسر لما خلق له[1] .

وهاتان الحقيقتان من شأنهما أن يعمقا إيمان المتلقي بـا لله ـ سبحانه وتعـالى ـ وبقضائه وقدره .

ومن قصائده التي بدت فيها النزعة والـروح القصصيـة بالإضافـة إلى مـا سبق الاستشهاد به قصيدته (موكب السحاب) التي يقول فيها[2] :

هَـبَّ والأُفْقُ دِيمَـــةٌ وغَمَامَةْ ... وجَبِينُ السَّـمَاءِ بَادِي الجَهَامَةْ[3]

وَوَمِيـْــضُ النُّجُومِ إِيمَاءُ لَحْظٍ ... وسَنَا البَرْقِ بَسْـــمَةٌ والْتِثَامَةْ

والدُّجَى عَاطِرُ النَّسِيْمِ نَدِيُّ الضَّـ ... ـوءِ زَاهِي الرُّؤَى مَلِيحُ الوَسَامَةْ

شَـاعِرٌ رَفْرَفَتْ على لَحْنِهِ الطَّيْـ ... ـرُ هُيَامَاً ورَدَّدَتْ أَنْغَامَـــهْ

شَاقَهُ مَوْكِبُ السَّحَابِ وقَدْ سَـا ... رَ على الأُفْقِ نَاشِـراً أَعْلَامَـهْ

وزَفِيفُ الرِّيَاحِ يَخْتَرِقُ الجَـ ... ـوَّ صَفِيراً والبَرْقُ يَجْلُوحُسَـامَهْ

وازْدَهَتْهُ الرُّعُودُ تَخْتَلِبُ النَّـفْـ ... ـسَ جَلَالاً وتَطَّبِيهَا فَـخَامَـهْ

مُشْمَخِرُّ الذُّرَى رَقِيقُ الحَوَاشِـي ... سَابِغُ الذَّيْلِ مُسْبِلاً أَكْمَامَـهْ

عَيْلَمٌ تَسْـبَحُ الكَوَاكِبُ فِيْهِ ... وتَشُقُّ الدُّجَى بِهِ عَوَّامَـهْ

---

(١) في الأدب الاسلامي ، د . محمود شاكر سعيد ، ط (١) ١٤١٣ هـ ، دار المعارج الدولية للنشر ، ص ٤٤ « بتصرف » .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ١٢٥ - ١٣١ .

(٣) الديمة : المطر الذي ليس فيه رعد ولا برق ، الجهامة ، الجَهْمَةُ ، والجُهْمَةُ : أول مآخير الليل ، وقيل : هي بقية سواد من آخره ، ولعل الشاعر أراد بالجهامة هنا : غلظ ذلك السحاب وكثافته لأنه قد غطى السماء من حوله .

ضَرَبَتْهُ الرِّيَاحُ فَاسْتَقْبَلَ الأَرْ … ضَ حَثِيْثاً يَبُثُّها آلامَه

ثَائِرٌ و السُّكُونُ يُضْفِي على الكَوْ … نِ جَلالاً واللَّيْلُ يَرْعَى نِيامَه

جَلَّلَ الأَرْضَ والسَّمَاءَ وأَعْيَا … صَائِلَ الرَّعْدِ أَنْ يَدُكَّ رُكَامَه

غَدَقٌ أَيْقَظَ الحَيَاةَ على الأَرْ … ضِ وأَحْيَا مِنَ الوُجُودِ رُمَامَه

سَالَ عَبْرَ الفَضَاءِ ذَوْبَ لُجَيْنٍ … واسْتَفَاضَتْ بِهِ البِطَاحُ مُدَامَه

وجَرَى في الشِّعَابِ تِبْراً مُذَاباً … وسَجَى عَسْجَداً وفَاضَ رُخَامَه

نَعِمَتْ قُرَّةً بِهِ أَعْيُنُ الأَرْ … ضِ ورَفَّتْ قُلُوبُهَا المُسْتَهَامَه

وتَجَلَّتْ بِهِ الطَّبِيْعَةُ حَسْنَا … ءَ تُثِيرُ الهَوَى وتُذْكِي ضِرَامَه

تَتَضَاحَى بِهَا المَنَاظِرُ والأَفْـ … ـلامُ حُسْناً على مَجَالِي تِهَامَه

دَوْحَةٌ عِنْدَ جَدْوَلٍ وغَدِيرٍ … عِنْدَ عُشْبٍ وَظَبْيَةٍ وبَشَامَه

ومُرُوجٌ تَهَدَّلَتْ تَمْلأُ الوَا … دِي وتَسْتَوْقِفُ النَّسِيْمَ سَلامَه

سَطَعَتْ في ظِلالِهَا لُمَعُ الشَّمْـ … ـسِ ورَقَّتْ بِهَا دُمُوعُ الغَمَامَه

ومَشَتْ حَوْلَهَا المَهَا تَقْطِفُ الزَّهْـ … ـرَ وتَحْسُو النَّدَى وتَرْعَى الخُزَامَه

وشَدَا في الفُرُوعِ صَادِحُ أَيْكٍ … جَاوَبَتْ لَحْنَهُ الرَّقِيقَ حَمَامَه

ونَضَا الفَجْرُ فَوْقَهَا ضَوءَهُ الزَّا … هِي وأَلْقَى على الرِّيَاضِ لِثَامَه

وجَلاهَا أَزَاهِراً كَالشِّفَاهِ الـ … ـلُعْسِ حَارَتْ على لَمَاهَا ابْتِسَامَه

صُوَرٌ يَرْقُصُ الخَيَالُ عَلَيْهَا … وتَطِيرُ المُنَى بِهَا حَوَّامَه

ورُؤَى تَسْتَفِزُّ عَاطِفَةَ القَلْـ … ـبِ وتَسْتَهْبِطُ النُّهَى إِلْهَامَه

والمتأمل في هذه القصيدة يقف على سريان الروح القصصية فيها ، والروح القصصية في الشعر كما يرى الدكتور عبد الله الحامد « هي أصعب الأمور ، وغاية الفن ، والتي لا يصل إليها إلا القلائل من الموهوبين»[١] .

---

(١) في الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية، د.عبد الله الحامد،ط (١) ١٤٠٢ هـ ص ١١٢ .

نلمس تلك الروح في المشاهد المتلاحقة التي جسدها لنا الشاعر لذلك السحاب منذ بداياته إلى أن اختلط بتراب الأرض ، وما أسفر عنه ذلك الاختلاط من استعادة الأرض لبهجتها وزينتها .

والناظر لتلك المشاهد يجدها مترابطة أشد ما يكون الترابط ، فالمشهد الأول يفضي إلى المشهد الثاني ، والمشهد الثاني يفضي إلى المشهد الثالث ، وهكذا تستمر المشاهد حتى نهاية القصيدة ، فالمشهد الأول، اعتنى السنوسي فيه بتجسيد السحاب، بدءاً من سيره البطيء الموحي بكثافته، وامتداده ليغطي كل الآفاق ، مروراً بتجسيده لصفير الرياح القوية وشدتها، وانتهاءاً بلمعان البروق ، وأصوات الرعد المتلاحقة . وهذه المناظر الجزئية ـ التي تكون هذا المشهد ـ تؤكد أن السحاب الذي أغرى شاعرنا بمتابعته يحمل في طياته الخير للأرض ومن عليها . وهذا ما تفصح عنه المناظر المتلاحقة التي كونت المشهد الثاني ، فالرياح ضربت ذلك السحاب، فهوى على الأرض يبثها آلامه ، ولأن خيره كثير فقد أيقظ الحياة على الأرض ، ثم جرى في الشعاب كالتبر المذاب .

أما المشهد الثالث، فقد اهتم فيه السنوسي بتجسيد أثر المياه التي انهمرت من ذلك السحاب لتعانق الأرض . نلمس ذلك في المناظر المتلاحقة التي تكون هذا المشهد الذي يوحي بالحياة والجمال ، فالطبيعة قد تجلت وظهرت في أحسن حللها بعد طول احتجاب، والمروج الخضر تهدلت على جنبات الوادي مستقبلة سلام النسيم ، والمها تقطف الزهر تارة وأخرى تحسو قطرات الندى المستقر على أوراق تلك الزهور ، بينما راحت الطيور بأنواعها المختلفة تعلن فرحتها بواسطة أصواتها الجميلة...الخ.

ولا يخفى على القارىء لهذه القصيدة قدرتها على شده وجذبه إلى

آفاقها رغم طولها ، ولعل السبب في ذلك راجع إلى تماسكها العجيب . فمشاهدها المتلاحقة مترابطة فيما بينها ، بحيث لا يستطيع القارىء لها الوقوف عند مشهد دون أن يفضي به إلى المشهد الثاني فيها ، وهذا يدلنا على براعة السنوسي في استخدامه للأسلوب القصصي ، ومقدرته الفذة على النفاذ به إلى عالم المتلقي من خلال عنصري الإثارة والتشويق اللذين تحفل بهما كل قصائده التي أشرنا إليها، والتي عرضنا لها بالدراسة والتحليل.

ويبدو لي أن طبع السنوسي المتدفق ، وتمكنه من فن الوصف وإجادته فيه ، ساعدا - كثيراً - على إبراز تلك الروح القصصية التي ابتعدت بكثير من تجاربه عن التقريرية والمباشرة .

المبحث الثالث

الصورة الفنية

الصورة الفنية

يعد التصوير الأداة البارزة التي اتكأ عليها السنوسي في التعبير عن أبعاد وجوانب تجربته الشعرية .

ومن المعروف أن التجربة الشعرية لا تكتمل ولا يتحقق لها التأثير المأمول في نفس متلقيها إلا عن طريق الصورة الشعرية ، ذلك أن الشاعر «بواسطة الصورة يشكل أحاسيسه وأفكاره وخواطره في شكل فنّي محسوس، وبواسطتها يصور رؤيته الخاصة للوجود وللعلاقات الخفية بين عناصره»[1] ، وعن طريقها يستطيع الشاعر التأثير في نفس المتلقي ، ومن ثم حمله على المشاركة الوجدانية عن طريق إثارته لمشاعره وانفعالاته .

وقد لفت انتباهي وأنا أتتبع الصور الشعرية التي استعان بها السنوسي لتجسيد رؤيته الشعرية ، وتحديد أبعادها ، تنوع تلك الصور ، وتعدد مصادرها .

ولهذا رأيت أن أتناول بالدراسة في هذا المبحث ما يلي :

أولاً : مصادر صور الشاعر:

ثانياً : الخيال والصورة الشعرية .

ثالثاً : المفارقة التصويرية .

---

(١) عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، د. علي عشري زايد ، ط (٢) ١٩٧٩ م ، ص ٦٨ .

أولاً : مصادر صور الشاعر :

إن دراسة الصورة الشعرية في شعر السنوسي الإسلامي تؤكد أنها تعود إلى مصادر ثلاثة هي :

١ ـ مصادر ثقافية .

٢ ـ الطبيعة .

٣ ـ الإنسان .

وسنحاول الوقوف عند كل مصدر على حده لنرى إلى أي حد استطاع الشاعر أن يفيد من تلك المصادر المتنوعة والمتعددة في رسم وخلق صوره في شعره الإسلامي .

١) المصادر الثقافية :

كان لثقافة شاعرنا الدينية والأدبية أثر كبير وفعّال في تشكيل صوره الشعرية ، والمتأمل في شعره الإسلامي يقف على ذلك الأثر الذي أحدثه القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، والتاريخ الإسلامي، وتراثنا الأدبي ، في الجانب التصويري فيه .

ويأتي القرآن الكريم في مقدمة تلك المصادر التي أثرت في شعر شاعرنا الإسلامي من حيث الكثرة والعمق .

والقرآن الكريم كما هو معروف « كتاب ديني بالدرجة الأولى ، ولكن الهدف الديني والتربوي فيه لا يظهر عارياً مباشراً ، بل يلبس صورة فنية في أغلب الأحيان، وإنك لا تعدم التصوير فيه حتى في التعبير الحقيقي الذي لا تجده يندرج تحت الأنماط البلاغية المعروفة »[1] ومعنى ذلك أن

---

(١) أثر القرآن الكريم في الشعر العربي الحديث ، ص ١٠٩ ـ ١١٠ .

الصورة القرآنية ملازمة للتعبير القرآني، وهذا ما أكده سيد قطب : « إن التصوير هو الأداة المفضلة في القرآن »[1] .

وشاعرنا أظهر مقدرة فائقة في التعامل مع الصورة القرآنية في تجاربه الشعرية ، ولعل في تلك المقدرة دليلاً على احتوائه للصورة القرآنية وتفاعله معها .

وهذان الأمران جعلاه لا يكتفي بمجرد النقل الحرفي للصورة القرآنية ، ومن ثم تضمينها في نسيجه الشعري على سبيل الاقتباس ، وإنما أضاف إلى كثير منها شيئاً من شاعريته الفياضة، بحيث تصبح الصورة القرآنية المستوحاة ، أو المشار إليها ، جزءاً من نسيجه الشعري لا غنى لتجربته عنها . فهي بالإضافة إلى أدائها لمهمتها في تلك التجربة ، تقوم بعملية الإثراء لتلك التجربة بواسطة إيحاءاتها وامتداداتها القرآنية العميقة الأثر .

وقد تعددت طرقه في التعامل مع الصورة القرآنية ، فتارة يميل إلى استخدام بعض المفردات القرآنية التي تدل على معانيها من خلال هيئتها أو جرسها أوظلها ، وميزة تلك الألفاظ تكمن في قدرتها على تصوير المعنى المراد تصويراً ينبض بالحركة والحيوية .

ومن استخدامه لمثل هذه المفردات قوله في قصيدته (أم القرى) واصفاً الأثر الذي أحدثته الرسالة الإسلامية في المعمورة[2] :

هَزَمَتْ أَشِعَّتُهَا الظَّلاَمَ وَزُلْزِلَتْ ... كِسْرَى وَرَاءَ الخَافِقَيْنِ وقَيْصَرَا

فلفظة (زلزلت) التي وردت في هذا البيت تصور دلالتها المعجمية المعروفة ، ولكن أغلب الظن أن الصورة القرآنية لهذه اللفظة كانت حاضرة

(١) التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب ، ط (٨) ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ، دارالشروق - ص ٣٧ .
(٢) الأعمال الكاملة ، ص ١٦ .

في ذهنه، وهو سابح في أفق الماضي الجميل ، فاراً من الحاضر الأليم ، مستحضراً الأثر الذي أحدثته الرسالة الإسلامية في كل أرجاء المعمورة ، من نشر للعدل ، وتحقيق للمساواة ، ودحر للظلم والطغيان المتمثلين في أقوى أمتين على وجه الأرض في تلك الفترة .

وإذا كانت هذه اللفظة قد وردت في القرآن الكريم لتصف مشهداً من مشاهد القيامة كما في قوله تعالى: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾[1] حيث انتهاء الحياة الدنيا ، ومن ثم البدء في أمور الحياة الأخرى ، وما ينتظر الإنسان من حساب وعقاب قبل الولوج إلى أحد الدارين ، فهي في بيت السنوسي السابق تصور نهاية الطغيان والظلم التي جاءت نتيجة طبيعية لانتهاء نفوذ كل من الفرس والرومان على هذه المعمورة ، وانتشار قيم ومبادىء الرسالة الإسلامية .

ومن تلك الألفاظ التي استعان بها السنوسي في نسيجه الشعري لفظة (فظة) و (غلاظ) كما في قوله يصف فدائية المجاهد الفلسطيني[2] :

وأَقْذِفُ بِالمَنَايَا والشَّظَايَا قُلُوباً فَظَّةً وقُوىً شَرِيرَهْ

وقوله في وصف أخلاق المنافقين الذين ابتلي بهم مجتمعه[3] :

بَسَمَاتٌ مُلَوَّنَاتٌ وأَخْلَا قٌ وصُولِيَّةٌ غِلَاظٌ سَخِيْفَهْ

فإيقاع لفظتي (فظة) (وغلاظ) عن طريق هذه (الظاء) التي يجد اللسان ثقلاً وغلظة في نطقها ، يحكي ويصور واقع المستعمرين الإسرائيليين ومدى قسوة قلوبهم في البيت الأول ، كما يحكي ويصور لنا أخلاق أولئك الوصوليين الذين يسعون إلى غاياتهم عبر الطرق الملتوية .

---

(١) سورة الزلزلة ، الآية : ١ .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٤٩٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٣٨ .

ولهاتين اللفظتين وجودهما في القرآن الكريم ، ومن ذلك قوله تعالى في نفس هذه الصفة عن رسوله الكريم : ﴿وَلَوْكُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ القَلْبِ لانْفَضّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾(١) .

وقوله تعالى في وصف نار جهنم : ﴿عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾(٢) .

وقد عبرتا عن دلالتهما أدق تعبير كما هو واضح في الآيتين السابقتين .

وتارة يستخدم بعض المفردات التي لها صلة عميقة بالصورة ، لا من حيث بنيتها اللغوية أوالموسيقية كما سبق أن بينا ، وإنما من حيث قدرتها على إثارة واستحضار صورة أو مشهداً قرآنياً . وتقوم المفردة بهذه المهمة « حين يضعها الشاعر في سياق خاص ، ويكون لهذه المفردة فضلها في جعل الصياغة الشعرية صياغة تصويرية ، كما أنها تساعد على تداعي المعاني والصورة في مخيلة المتلقي ذي الثقافة القرآنية ، وتجعل المدلول الشعري أوسع وأغنى من الدلالة المباشرة »(٣) .

وأمثلة هذا النوع في شعر السنوسي كثيرة جداً ، ومنها قوله في قصيدته (العالم العربي) واصفاً صحوة أبناء أمته من غفوتهم التي طالت(٤) :

نَهَضَ الكَيَانُ الضَّخْمُ من أَغْلاَلِهِ ... ورَمَى سَلاسِلَهُ بِكُلِّ إبَاءِ
سَبْعُونَ مِلْيُوناً يُضِيءُ طَرِيْقَهَا ... قَبَسٌ يُؤَجِّجُهُ دَمُ الشُّهَدَاءِ

والمتأمل في تعبير السنوسي (قبس يؤججه دم الشهداء) يجده يحمل صورة ثرية ، خاصة إن نحن ربطناه بنفسية الشاعر التواقة لتلك الصحوة التي ستثمر عن

(١) سورة آل عمران . الآية ١٥٩ .
(٢) سورة التحريم . الآية : ٦ .
(٣) أثر القرآن الكريم في الشعر العربي الحديث ، ص ١١٦ .
(٤) الأعمال الكاملة ، ص ٨٧ - ٨٨ .

استعادة أمتنا لأمجادها التليدة ، وكذا جو النص العام الذي ورد فيه . ولكن هذا الثراء الذي يكتنزه ذلك التعبير في ذاته سيكون أعمق وأعظم إذا عرفنا أن للمفردة (قبس) امتدادات قرآنية موحية ، ويكفي أن نذكر هذه الصورة القرآنية : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيْكُم مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ على النَّارِ هُدًى ﴾[1] . فموسى - عليه السلام - كما تحكي هذه الآية القرآنية « ذهب يطلب قبساً من النار ، ويطلب هادياً في السرى .. ولكنه وجد المفاجأة الكبرى ، إنها النار التي تدفىء لا الأجسام ولكن الأرواح ، النار التي تهدي لا في السرى ولكن في الرحلة الكبرى »[2] .

ومن هنا يكون عمق المفردة في امتداداتها العميقة ، واستثارتها لأجواء ومشاهد قرآنية ، من شأنها أن تكسب الصياغة الشعرية قوة تصويرية ، وعمقاً تخييلياً .

واستخدام السنوسي لهذه المفردة، يوحي برغبته في التحرر من القيود، والانسلاخ من حالة الضعف والهوان ، وتطلعه إلى استعادة الأراضي العربية الإسلامية التي ترزح تحت وطأة الاستعمار بعد أن أريقت فوقها دماء أبنائها .

ومن تلك المفردات القادرة على إثارة المتلقي ، واستحضار كثير من المشاهد القرآنية الموحية - لفظة (صرصر) كما في قوله معمقاً أثر الصحوة العربية ، وواصفاً قدرتها على تحقيق غاياتها[3] :

وهُدُوءُ أَمْوَاجِ البِحَارِ تَأَهُّبٌ

لِلْمَدِّ يَكْتَسِحُ الشَّوَاطِىءَ صَرْصَرا

---

(١) سورة طه . الآية : ٩ ، ١٠ .

(٢) في ظلال القرآن . سيد قطب ، ج (٤) ط (١٥) ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، دار الشروق ص: ٢٣٣٠

(٣) الأعمال الكاملة ، ص ٢٤ .

فالشطر الثاني من هذا البيت (للمد يكتسح الشواطىء صرصرا) يحمل صورة ثرية وفق في اقتناصها خيال الشاعر ؛ لتعميق أثر تلك الصحوة ، ولكن هذا الثراء سيكون أعظم إذا عرفنا أن للمفردة (صرصر) امتدادات قرآنية موحية ، ولك أن تتأمل ورودها في الآيات القرآنية الآتية : قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴾[2]
وقوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لا يُنْصَرُونَ ﴾[3] .

فهي في الآيات السابقة تصور شدة العذاب الذي أنزله الله بقوم عاد لطغيانهم وتجبرهم ، وأقرب الظن أن السنوسي قد استحضر ذلك المشهد القرآني الموحي بالهلاك والإبادة الجماعية ، فوظف ما يدل من ذلك المشهد عليه، في تجربته التي جاءت كصدى لتلك الصحوة العربية المنذرة بهلاك أعدائهم المتربصين بهم .

ولم يتوقف تأثر السنوسي بالصورة القرآنية عند هذا الحد ـ الذي سبق أن أشرنا إليه ـ وإنما تعداه إلى رسم بعض الصور الكلية،مستمداً جزئياتها من القرآن الكريم.

ومن نماذج هذا النوع من التصوير في شعره قوله[4] :

ذَاكَ شَـــيءٌ عَلِمْتُهُ مُذْ وَعَي قَلْبِيَ الفِكَرْ
كَانَتِ الأَرْضُ والسَّمَا ءُ أَمَا تَقْرأُ السُّــوَرْ
فَـتَـقَ اللهُ رَتْـقَـهَا فَانْدَحَى الكَوْنُ وانْتَشَرْ

فالسنوسي هنا وإن لم ينقل لنا الصورة القرآنية حرفياً على طريقة الاقتباس

(١) سورة الحاقة .الآية : ٦ .
(٢) سورة القمر . الآية : ١٩ .
(٣) سورة فصلت . الآية : ١٦ .
(٤) الأعمال الكاملة ، ص ٤٥٧ .

المباشر ، فهويشير في هذه الأبيات إلى كيفية خلق السموات والأرض ، وهذه الصورة التي استحضرها خيال السنوسي مستمدة من قول الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ ﴾[١] ، وقوله تعالى : ﴿ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾[٢] .

وهناك نمط من التصوير « تتدخل ملكة الشاعر التخييلية في الصورة القرآنية ، فتقوم بالحذف أوالإضافة ، أوالتحوير ، وفق ما تستوعبه الصياغة الشعرية ، أو الموقف الذي يعني الشاعر بتجسيده »[٣] .

ومن نماذج هذه النمط من التصوير قول السنوسي واصفاً ليلة الهجرة النبوية[٤]:

لَيْلَةٌ ما تَنَفَّسَ الصُّبْحُ عن مِثْـ ـلِ سَنَاهَا على ثَرَى الصَّحْرَاءِ

فالأصل القرآني لهذه الصورة التي تدخل الشاعر في بناء صورته الشعرية من مادتها هي قول الله ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾[٥] والتحوير الذي قام به السنوسي في هذه الصورة هو أن القرآن الكريم كان يعني تجسيد الصبح ذاته ، وهو ينشر نفسه على الكون ؛ ليشعرنا بعظمته وجمال مشهده .

أما السنوسي فلم يعن بتجسيد الصبح ـ وإن كان يرمي إلى انتشاره على صفحة الكون، وبيان جمال مشهده ـ وإنما كان يجسد أثر تلك الليلة التي ترتب على نجاة الرسول ـ ﷺ ـ فيها، انتشار الرسالة الإسلامية في الآفاق ، فاستعار لها الصبح ، وما ينبثق منه من أنوار .

---

(١) سورة الأنبياء . الآية : ٣٠ .

(٢) سورة النازعات . الآية : ٣٠ .

(٣) أثر القرآن في الشعر العربي الحديث ، ص ١٢٧ .

(٤) الأعمال الكاملة ، ص ٢٦١ .

(٥) سورة التكوير . الآية : ١٨ .

ولعل الناظر في هذه الصورة ومدى التحوير الذي أجراه السنوسي فيها يقف على براعته في تطويع الصورة القرآنية ، وصياغتها بما يناسب هدفه وتوجهه .

ونمط آخر من التعامل مع الصورة القرآنية يواجهنا به الشاعر وهو ما يمكننا تسميته بالصورة الإيحائية ، وأقصد بها تلك الصورة التي تومىء إلى الصورة القرآنية لتضمنها شيئاً منها ، ومثل هذه الصور تحتاج إلى حضور ذهن المتلقي الذي سيقوم بدوره بالتقريب بينها وبين عناصر الصورة القرآنية المستوحاة[١] .

ومن نماذج ذلك التعامل قوله في قصيدته (أمامك دنيا)[٢] :

فَلَمْ يُطْغِنِي نُجْحٌ ولاَ هَدَّنِي أَسىً
وَمَا نَكَثَتْ كَفِّي نَسِيجاً ولاَ غَزْلاَ

فالسنوسي هنا يبين موقفه من الحياة في موقفين من مواقف الحياة المكرورة ، موقفه وقد حالفه النجاح ، وموقفه وقد رافقه الأسى الذي أتى نتيجة لفشله في شيء ما . وقد أبدى رضاه في الحالين وهذا ما ينبىء عنه الشطر الثاني:

(وما نكثت كفي نسيجاً ولا غزلا)

وهو غني بإيحائه المستمد من تلك الإيماءة إلى الصورة القرآنية التي جاءت في قول الله تعالى : ﴿ ولاَ تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا من بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً ﴾[٣] .

ومن ذلك النمط قوله[٤] :

فَقُلْ لِدُعَاةِ الزَّيْغِ مَهْلاً فَإِنَّكُمْ
على جُرُفٍ هَارٍ وفَوْقَ شَفَاً مُودِي

---

(١) أثر القرآن في الشعر العربي الحديث ، ص١٢٤ « بتصرف » .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٥٥٧ .

(٣) سورة النحل .الآية : ٩٢ .

(٤) مجلة المنهل ، المجلد (٢٣) شعبان ١٣٨٢هـ ، ص ٥٠٥

فالصورة التي يحملها لنا الشطر الثاني (على جرف هار وفوق شفا مودي) فيها إيماءة إلى صورة قرآنية يتضمنها قول الله تعالى : ﴿ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾[١] .

وكما تأثرت الصورة الشعرية عند شاعرنا بالصورة القرآنية تأثرت كذلك بالصورة في الحديث النبوي ، وليس أدل على ذلك من قوله[٢] :

أَمْلَى إِرَادَتَهُ وضَمَّ صُفُوفَهُ ... والْتَفَّ من قُطرٍ إلَى البَيْضَاءِ

مُتَمَاسِكُ اللَّبنَاتِ مُتَّحِدُ الخُطَى ... مُتَجَاوِبُ الدَّعَوَاتِ والأَصْدَاءِ

تَتَبَايَنُ الأَسْمَاءُ فِي تَعْرِيفِهِ ... كالجِسْمِ وهو مُوَحَّدُ الأَعْضَاءِ

فهذه الصورة التي تحمل لنا حلمه الجميل مستوحاة من قول الرسول - ﷺ - (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، ثم شبك بين أصابعه)[٣] .

ومن صوره المتأثرة بالصورة في الحديث النبوي، صورته التي اجتلبها ليجسد لنا مبدأ المساواة الذي عملت على ترسيخه الرسالة الإسلامية[٤] :

شَرِيعَةٌ كَشُعَاعِ الشَّمْسِ نَيِّرَةٌ

النَّاسُ في ظِلِّهَا كَالمُشْطِ أَسْنَانَا

فالصورة التي يحملها الشطر الثاني مجسدة المساواة بين الناس في ظل الرسالة الإسلامية مستوحاة من قول الرسول - ﷺ - برواية أنس بن مالك : (الناس مستوون كأسنان المشط ليس لأحد على أحد فضل إلا بتقوى الله عزوجل)[٥] .

---

(١) سورة التوبة . الآية : ١٠٩ .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٨٧ .

(٣) فتح الباري ، الجزء العاشر ، ص ٤٥٠

(٤) الأعمال الكاملة ، ص ٣٩٤ .

(٥) الفردوس في مأثور الخطاب ج(٤) ص ٣٠١ ، رقم ٦٨٨٣ ، وقال أبو حاتم عنه : هذا حديث منكر ، وأبو سعيد مجهول .انظر في ذلك اللآلىء المصنوعة ، ج(٢) ص ٢٩٠ ، وانظر كشف الخفاء ، ج(٢) ص ٣٢٦ . وهو حديث ضعيف .

وكما تأثرت الصورة الشعرية - في شعر شاعرنا - بمصدريْ التشريع الإسلامي كما مر بنا آنفاً تأثرت - أيضاً - بالتاريخ الإسلامي ، خاصة في تجاربه العميقة الصلة بالرسالة الإسلامية وتاريخها المشرق وأبطالها العظام .

ونماذج استمداده لمواد صوره من التاريخ الإسلامي كثيرة جداً ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر قوله في قصيدته (المغرب العربي)[1] :

كَــأَنِّي أَرَى مُوسَى أَمَــامِي بِخَيْلِهِ
وأَسْمَعُ وثْبَ الخَيْلِ والرَّكْضَ والقَمْصَا
ولَمْحَ المَوَاضِي والسَّــفِينَ وطَارِقٌ
يَخُــوضُ عُبَابَ اليَمِّ واليَمُّ قَدْ غصَّا
وخُطْبَتُهُ كَالرَّعْــدِ تَقْتَحِمُ الذُّرَى
وإِيمَانُهُ لا يَعْرِفُ الخَوْفَ والحِرْصَــا
مَآثِرُ لِلْإِسْلَامِ وهَّاجَةُ السَّــنَا
قِبَاباً وأَلْبَاباً سَــوَامِقَ لا وَقْصَا
وكَمْ لِهُدَي الإِسْلَامِ فِي الأَرْضِ من يَدٍ
بِهَا صَفَعَتْ مُسْــتَعْمِراً ورَمَتْ لِصَّا

فالسنوسي في هذه الأبيات يقدم لنا صورة مشرقة من صور تاريخنا الإسلامي ، محاولاً بواسطتها التأثير في أبناء أمته الذين تخلوا عن أمجادهم وبطولاتهم بعد أن ركنوا إلى الخمول، واستسلموا للضعف والهوان .

وقد اكتسبت تلك الصورة الجمال من عنصر الحركة الموجود فيها ، من خلال الألفاظ (وثب ، الركض ، لمح ، يخوض ، تقتحم) ومن الصور الجزئية التي تداعت في ذاكرة السنوسي مكونة الصورة الكلية ، مثل : (أسمع وثب الخيل ، ولمح

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٦٢٥ - ٦٢٦ .

المواضي والسفين ، وطارق يخوض عباب اليم ، وخطبته كالرعد تقتحم الذرى).

وبالإضافة إلى تلك المصادر التي وقفنا على تأثيرها في صور شاعرنا في شعره الإسلامي ، هناك مصدر آخر له آثره - أيضاً - في صوره إلا أنه لا يفوق المصادر السابقة ، وهذا المصدر هو تراثنا الشعري الضخم في عصور قوته وازدهاره .

ومعظم الصور الشعرية التي وقفت عليها ، والتي تمثل تأثره بهذا المصدر ، ليست منقولة بحذافيرها في تجاربه وصوره الشعرية ، وإنما هي مستوحاة استيحاءً ، وهذا الضرب من التأثير محمود ويحسب للشاعر ، ويؤاخذ إن عمد إلى النقل الحرفي من تراثه سواء في مجال الشعر أو التراث الفكري عموماً . وهذا ما أكده الناقد الإنجليزي : (ت . س اليوت) في التعامل مع التراث[١] .

ومن تلك الصور على سبيل المثال لا الحصر : صورة السيف ، وما توحي به من معاني القوة والعزة والمنعة ، استخدمها الشاعر في بعض تجاربه ، محاولاً بها تصوير ميل نفوس أبناء أمته - منذ بداياتهم - إلى المجد والمعالي من الأمور ، وتجسيد ما يمور فيها من مشاعر لتحقيق ذلك بحد السيوف وصليلها في معاركهم الضارية . نلمس ذلك في قوله مادحاً الملك سعود - رحمه الله -[٢] :

أَنْتَ المؤَمَّـــلُ لِلْيَوْمِ الأَغَرِّ إِذَا
هَزَّتْ فِلَسْطِينُ سَيْفاً والظُّبَا عَلِقُ

وفي حديثه عن الجيش السعودي وتجسيده لاستعداده الدائم للمتربصين بأمن وخيرات وطنهم[٣] :

---

(١) انطوينو وكليوباترا ، دراسة مقارنة بين شكسبير وشوقي ، د. عبد الحكيم حسان ، ط(٢) ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، ص ٣٥ - ٣٨ .

(٢) مجلة المنهل ، المجلد (١٥) ، ربيع الأول ١٣٧٤هـ ، ص ١٢١ .

(٣) الأعمال الكاملة ، ص ٤١٩ .

كُلُّ شِبْرٍ من حِمَانَا وذُرَانَا غَابَةٌ تزْأَرُ سَيْفَاً وسِنَانَا

وفي وصفه لفدائية أبناء مصر وشجاعتهم[١] :

وانْبَرَى فَوْقَ كُلِّ كَنْزٍ على الأَرْ ضِ شُجَاعٌ حُسَامُهُ سَفَّاحُ

وصورة الأسد ، وما توحي به من قوة وشجاعة وإقدام ، وردت في كثير من تجاربه التي عرض فيها للحركات النضالية ، التي قامت بها بعض الشعوب العربية والإسلامية ضد المستعمرين .نلمس ذلك في قوله واصفاً ثورة الفدائيين الفلسطينيين[٢] :

في الطَّرِيقِ الرَّهِيبِ طَارُوا صُقُوراً ومَشَوا في ظِلاَلِهَا آسَادَا

وفي تجسيده لانتفاضة أبناء أمته العربية[٣] :

فَاللَّيْثُ يَجْمَعُ نَفْسَهُ مُتَحَفِّزاً لِلْوَثْبِ حِيْنَ تَرَاهُ يَمْشِي القَهْقَرَا

وصورة الجبل ، وما توحي به من معاني الثبات والقوة والشموخ ، استخدمها الشاعر في مواطن كثيرة تستدعي كل تلك المعاني التي يوحي بها الجبل . نلمس ذلك في قوله واصفاً ثبات الرسول - ﷺ - على موقفه أمام كفار قريش[٤] :

والرَّسُولُ العَظِيمُ كَالطَّوْدِ إِيْمَا نَاً وكَالنَّجْمِ في السَّنَا والسَّنَاءِ

وفي وصفه لفدائية المجاهد الفلسطيني وموقفه في وجه المستعمر البغيض[٥] :

وقَفُوا كَالجِبَالِ حَزْمَاً وعَزْمَاً وتَحَدَّوا الطُّغَاةَ والمُرَّادَا

وصورة الشمس ، وما توحي به من معاني الظهور والرفعة ، استخدمها في مواطن من شعره استدعت حضورها وحضور المعاني التي توحي بها، نلمس ذلك

---

(١) المصدر السابق ، ٣٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ٤٩١ .

(٣) المصدر نفسه ، ٢٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ٢٦٣ .

(٥) المصدر نفسه ، ٤٩١ .

في قوله مشيداً بالرسالة الإسلامية[١] :

فِي دَعْوَةٍ كالشَّمْسِ سَاطِعَةِ السَّنَا

تَـــهْدِي الضَّلِيلَ وتُرْشِدُ المتحَيِّرَا

وفي مدحه للملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ[٢] :

مُتَأَلِّقٌ كالشَّمْسِ زَاهٍ كالضُّحَى عَالٍ على فَلَقِ الزَّمَانِ مُحَلِّقُ

وصورة الجلمود ، وما توحي به من معاني الصلابة والشدة ، استدعاها الشاعر محاولاً بواسطتها تأكيد المعاني التي يرمي إليها ، كما في قوله واصفاً مصارعة البحارة لأمواج البحر العاتية بسواعدهم الصلبة[٣] :

ويُصَارِعُونَ الموْتَ في أَعْمَاقِهِ بِسَوَاعِدٍ صَمَّاءَ كالجَلْمُودِ

هذه بعض الصور التي استوحاها الشاعر ، واستمد موادها من ذاكرته التي اختزنت في داخلها الكثير من تراثنا الشعري الضخم الذي انكب عليه في مطلع حياته الأدبية .

والمتأمل في الشواهد الشعرية التي أوردناها ، والصور التي تضمنتها ، يدرك أن الشاعر لم يعمد إلى نقلها حرفياً كما هي في مصادرها ، وإنما استوحاها استيحاء ، في مواطن تستدعي حضور مثل تلك الصور الشعرية .

وهذا التأثر من قبل شاعرنا ببعض الصور التراثية القديمة ـ لا يجعلنا نحكم بفقدانه لأصالته الشعرية ، وذلك لأن الشاعر « ليس نبتاً شيطانياً ، وإنما هو حلقة في سلسلة المبدعين ، يتأثر بمن سبقه ، ويؤثر فيمن لحقه ، ومن ثم فإن تأثره بالآخرين لا يطيح بأصالته الشعرية، ولا يفقده تميزه بين أقرانه من الشعراء »[٤] .

(١) المصدر السابق : ص ١٧ .

(٢) شعراء الجنوب ، ص ٨٠ .

(٣) الأعمال الكاملة ، ص ٧٧٧ .

(٤) دراسات في شعر محمد بن علي السنوسي ، ص ٤٤ .

٢) **الطبيعة :**

تعد الطبيعة ـ بما تحتويه من حيوانات ونباتات وجمادات ـ المصدر الثاني لصور شاعرنا ، وتأتي الجمادات كأكثر أنواع هذا المصدر ظهوراً في صوره. ويبدو لي أنه قد وجد في معظم مظاهر هذا النوع ما يشبع نفسه التي تأبى الخنوع وحياة الذل والهوان ، وتعشق السمو في كل شيء . وهذا ما أكده بقوله[١] :

شَاقَنِي ذَلِكَ السُّمُوُّ وَلِي قَلْـ ـبٌ وَلُوعٌ بِكُلِّ سَـامٍ وعَالِ
كَلِفٌ بالسُّـمُوِّ أَنَّى تَجَلَّى شَامِخاً في الجِبَالِ أَوْ في الرِّجَالِ

ولهذا نرى في صوره الشهاب ، الكواكب ، الأفق ، السماء ، الشمس ، الفضاء ، السحاب ، السنا ، القبس ، الذرى ، الربوة ، الجبل ، الجو ، الأنجم ، كقوله[٢] :

جَذَبَتْهُ إلى السَّـمَاءِ مَعَانِيـ ـهَا فَلَبَّى نِدَاءَهَا وأَطَاعَـا
ومَضَى كُلَّمَا تَمَادَى بِهِ الأُفْـ ـقُ اتِّسَاعاً سَمَا إِلَيْهِ انْدِفَاعَا

وقوله[٣] :

عَشِقَ الشَّمْسَ واسْتَبَدَّتْ بِهِ الشُّهْـ ـبُ وأَلْوَتْ بِنَفْسِهِ الأَشْـوَاقُ

وقوله[٤] :

أَلْقَاهُ في لَمْعِ الكَوَاكِبِ والدُّجَى يَرْنُو إِلَى إِطْـرَاقَةِ الشُّـعَرَاءِ
وأَرَاهُ يَـلْمَعُ في الفَضَاءِ فَيَنْتَشِي قَلْمِي بِكُلِّ سَحَابَةٍ وطْفَـاءِ[٥]

وقوله[٦] :

---

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٣٤٤ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٧٤ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٧٦ .
(٤) المصدر نفسه : ص ٨٦ .
(٥) سحابة وطفاء : الديمة السَّح الحثيثة ، طال مطرها أو قصر ، إذا تدلت ذيولها .

والذُّرى تَنْطَحُ السَّحابَ سَناءً والسَّنا يَقْدَحُ الكَواكِبَ زَنْدَا

وقوله(١) :

وشِـــهَابٌ لَهُ على كُلِّ أُفْقٍ قَبَسٌ يَهْتِكُ الظَّلامَ ويُودِي

وقوله(٢) :

والجَـــوُّ والأَنْجُـــمُ رَفَّافَةٌ والقَمَرُ السَّاطِعُ يَزْهُو ابتِسَامْ

وهنـــاك صـــور مرتبطـــة بظواهـــر الطبيعـــة الصامتـــة الأخـــرى ، كـــالأرض، والـثرى ، والـزلازل ، والـبراكين ، والنـــار ، واللظـــى ، والريـــاح ، والعواصـــف، والأعاصير ، والنســيم .

ومن ذلــك قولــه(٣) :

والأَرْضُ نَشْوَى من عَبِيْرِ الشَّذَى والكَـــوْنُ يَهْفُو بِأَرِيْجِ الخُزَامْ

وقوله(٤) :

تُحَـــلِّقُ تارَةً وتَسِفُّ أُخْرَى يَكَادُ يَمَسُّ جُؤْجُؤُهَا التُّرَابَا(٥)

وحُقَّ لَهَا وَقَدْ وَرَدَتْ وَرَادَتْ ثَرَى خَصْباً وأَوْدِيَةً رِحَابَـــا

وقوله(٦) :

هُنَا الأَرْضُ زِلْزَالٌ هُنَا الجَوُّ عَاصِفٌ

هُـــنَا الجَبَلُ الرَّاسِي وَغىً وضِرَابُ

---

(٦) الأعمال الكاملة : ص ١٠٣ .

(١) المصدر السابق : ص ٤٣ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٤٥١ .

(٣) المصدر نفسه : ص ٤٥١.

(٤) المصدر نفسه : ص ٢٣٩ .

(٥) جؤجؤها : صدرها .

(٦) الأعمال الكاملة : ص ١٩١ .

هُنَا الـنَّـــارُ زَادٌ لِلْجِيَاعِ وهَا هُنَا

حَمِـيْـــمٌ لِأَكْبَادِ الظِّمَاءِ شَـرَابُ

وقوله[١] :

الخَائِضِيْنَ الوَغَى والكَوْنُ مَعْمَعَةٌ من الكَوَارِثِ يَرْمِي بالبَرَاكِيْنْ

وقوله[٢] :

أَثِـرْهَا على المُسْـتَعْمِرِيْنَ وشُنَّهَا

لَظَىً تُشْعِلُ الأَجْوَاءَ والبَرَّ والبَحْرَا

وقوله[٣] :

وَهَبَّتْ أَعَاصِيْرُ العُرُوبَةِ والرَّدَى على المَارِدِ الجَبَّارِ تَعْصِرُهُ عَصْرا

ويلي الجمادات في الصور الطبيعية ـ في شعر السنوسي ـ الحيوان ، وأكثر صوره تدور حول الحيوان الطائر : كالنسر ، والصقر ، والحمام ، والبلبل . وذلك مثل قوله[٤] :

والنَّسْرُ يَنْفُضُ من جَنَاحَيْهِ النَّدَى

قَـبْـلَ الصُّعُودِ إلى السَّمَاءِ مُبَكِّرا

وقوله[٥] :

نَهَضَ الصَّقْرُ والسَّمَاءُ حَوَالَيْـ ـهِ سَـحَـابـاً وَبَارِقاً وشُعَاعَا

وقوله[٦] :

هَبَّ من نَوْمِهِ يُغَنِّي كَمَا غَـنَّـى على الأَيْكِ بُلْبُلٌ غِرِّيْدُ

---

(١) المصدر السابق : ص ١٦٦ .

(٢) المصدر نفسه : ص ١٥٣.

(٣) المصدر نفسه : ص ١٥٣ .

(٤) المصدر نفسه : ص ٢٣ .

(٥) المصدر نفسه : ص ١٧٤ .

(٦) المصدر نفسه : ص ٤٠٧ .

وقوله[١] :

وشَدَا في الفُرُوعِ صَادِحُ أيْكٍ　　　　جَاوبَتْ لحْنَهُ الرَّقِيقَ حَمَامَهْ

ومن صور الحيوان السائر ، قوله[٢] :

مَثالِبُ تَأْبَاهَا الذِّئابُ تَرفُّعاً　　　　وتَخْجَلُ من أمْثَالِهِنَّ كِــلابُ

وقوله[٣] :

فَــإذَا حَـيَّـةٌ تُــطِـلُّ عَلَيْهِ　　　　ثُمَّ تَطْوِي إلى مَدَاهُ حِبَالا

وقوله[٤] :

ومَشَتْ حَوْلَهَا المَهَا تَقْطِفُ الزَّهْـ　　　　ـرَ وتَحْسُو النَّدَى وتَرْعَى الخُزَامَهْ

وقوله[٥] :

واللَّيْثُ أَكْرَمُ أنْ يَكُونَ ضَحِيَّةً　　　　وأَجَلُّ من رَسَنٍ ومن أعْبَاءِ[٦]

ويأتي النبات كأقل محتويات الطبيعة أثراً في صوره ، وقد اقتصر منه على المنظر الجمالي الرمزي ، حيث يختار منه الصور التي تؤدي إلى ذلك ، فنجد صوره تدور حول الخميلة ، والجنة ، والرياض وما تحويه من زهور وأغصان مثل قوله[٧] :

رَفَّافَةٌ كَشَذَى الزُّهُو　　　　رِنَقِيَّةٌ كَنَدَى الغَمَامْ

---

(١) المصدر السابق : ص ١٣٠ .
(٢) المصدر نفسه : ص ، ١٩٣ .
(٣) المصدر نفسه : ص ١٧٨ .
(٤) المصدر نفسه : ص ١٣٠ .
(٥) المصدر نفسه : ص ٨٤ .
(٦) رسن : الرسن : الحبل الذي يقاد به البعير وغيره .
(٧) الأعمال الكاملة : ص ٣٢٥ .

وقوله[١] :

نَغَمَاتٌ كَأَنَّهَا نَسَمَاتٌ رَقْرَقَتْهَا خَمَائِلٌ وجَنَائِنْ

وقوله[٢] :

ورُبَى الوَادِي على أَغْصَانِهَا حَبَبٌ غَافٍ وأَزْهَارٌ رُقُودُ

٣) الإنســان :

يعد الإنسان ـ ذكراً وأنثى ـ من المصادر الأساسية التي استقى منها شاعرنا صوره في هذا الاتجاه ، وقد تناولت صور الشاعر الإنسان في صراعه مع الحياة ، إما لتحقيق بعض أمانيه التي يسعى إليها، أو في صراعه من أجل البقاء . كما تناولته وهو يصارع الظلم الذي يمنى به من قبل أخيه الإنسان .

أما صراعه من أجلِ تحقيق أمانيه فيتمثل في سعيه الدؤوب بحثاً عنها بكل الوسائل ، من ذلك قوله[٣] :

كَأَنَّ على الإِنْسَانِ ضَرْبَةُ لازِبٍ
عُبُورَ الطَّرِيْقِ الوَعْرِ مَهْمَا تَزَوَّدَا

يَسِيْرُ على أَرْضٍ مَشَى في شِعَابِهَا
أَبُوهُ ويَعْدُو في الطَّرِيْقِ الَّذِي عَدَا

يُرَافِقُهُ وَهْمُ الحَيَاةِ وزَيْفُهَا
يُؤَمِّلُ إِنْ أَمْسَى ويَرْجُو إِذَا غَدَا

(١) المصدر السابق : ص ٥٤٦ .

(٢) المصدر نفسه : ص ١٣٤ .

(٣) المصدر السابق : ص ٣٦٤ - ٣٦٥ .

غَرِيْراً تُمَنِّيهِ الأَمَانِي فَيَنْتَشِي
وَيَلْهُو فَمَا يَنْفَكُّ غِرّاً مُعَرْبِدَا[١]
إِذَا مَا مَضَتْ من يَوْمِهِ سَاعَةٌ هَفَا
إلى غَيْرِهَا مُسْتَعْجِلاً يَطْلُبُ الغَدَا

ويتمثل صراعه من أجل البقاء في الحاجة إلى العيش ، ومن صوره التي تجسد هذا الصراع قوله[٢] :

تَهْوِي بِهِ رِجْلاهُ حَيْثُ هَوَتْ   والدَّرْبُ يَلْفُظُهُ وَيَزْدَرِدُهُ
في كُلِّ زَاوِيَةٍ لَهُ أَمَلٌ   يَقْتَادُهُ من مُحْسِنٍ يَجِدُهُ
مَمْدُودَةٌ يَدُهُ مُتَمْتِمَةٌ   شَفَتَاهُ مَا يُوحِيْهِ مُعْتَقَدُهُ

وهذا الصراع قد يلجئ بعض الناس إلى ما يغضب الشاعر ، كالنفاق ، والرياء، والاهتمام بالمادة ونسيان ما عداها ، ومن الصور التي تجسد هذا الصراع المرفوض من قبل الناس قوله[٣] :

أَصْدِقَائِي أَمْ أَصْدِقَاءُ الوَظِيْفَةْ   أَنْتُمُ يَا ذَوِي النُّفُوسِ الضَّعِيْفَةْ
الأُولِي تَهْزَأُونَ بالمُثُلِ العُلْـ   ـيَا وَتَلْهُونَ بِالمَعَانِي الشَّرِيْفَةْ
بَسَمَاتٌ مُلَوَّنَاتٌ وأَخْلا   قٌ وصُولِيَّةٌ غِلاظٌ سَخِيْفَةْ

وقوله[٤] :

وَلَكِنَّنِي أَسْتَهْجِنُ المَالَ إِنْ غَدَا   تُقَاسُ بِهِ الأَقْدَارُ وهو حَقِيرُ
عَبَدْنَا حُطَامَ المَالِ حَتَّى كَأَنَّهُ   إِلهٌ على كُلِّ الأُمُورِ قَدِيرُ

(١) غريراً : الغِر : الشاب الذي لا تجربة له ، ولا يفطن للشر ويغفل عنه ، ومعربدا : العربدة : سوء الخلق ، ورجل معربد : يؤذي نديمه في سكره .
(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٣٧٩ .
(٣) المصدر السابق : ص ٤٣٨ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٥٤٣ .

وسِرْنَا إِلَيْهِ خَاضِعِينَ كَأَنَّنَا قَطِيعُ شِيَاهٍ ما لَهُنَّ خَفِيرُ (١)

وكثيراً ما يتناول شاعرنا في شعره الإسلامي صراع الإنسان مع أخيه الإنسان ، ويتجلى ذلك كثيراً في شعره الذي ندد فيه بالاستعمار والمستعمرين الغربيين . ومن ذلك قوله مصوراً صراع أبناء الجزائر لإعدائهم، حفاظاً على دينهم وأرضهم وأعراضهم(٢) :

شَبَابُهُمْ وَصَبَايَاهُمْ وصِبْيَتُهُمْ في الرِّيفِ والسِّيْفِ والآكَامِ والقِمَمِ
يَسْتَقْبِلُونَ المَنَايَا في مُثَابَرَةٍ ذَوْداً عن الدِّيْنِ والأَعْرَاضِ والحُرَمِ
والثُّكْلُ واليُتْمُ والبَأْسَاءُ قَائِمَةٌ في كُلِّ بَيْتٍ على السُّكَانِ مُنْهَدِمِ
عَارِينَ إلاَّ من الإِيمَانِ يُشْعِلُهُمْ حَمِيَّةً في صِرَاعِ الظُّلْمِ والظُّلَمِ

(١) خفير : الخفير : المجير ، ولعل الشاعر أراد به هنا الحامي الذي يحمي الشياه .
(٢) الأعمال الكاملة ، ٢٨١ .

ثانياً : الخيال والصور الشعرية:

من المعروف - سلفاً - أن الشعر يخاطب الوجدان الإنساني ويؤثر فيه ، وحتى تتحقق له هذه الخاصية فإنه يتوجب على الشاعر التأثر بنفس التجربة التي يود نقلها إلى المتلقي .

وتكتسب الصورة الشعرية ــ سواء اعتمد فيها الشاعر على المجاز بأساليبه وطرقه المختلفة أو على الحقيقة - الحيوية ، وتكون قادرة على النفاذ إلى أعماق المتلقي إذا كانت صادرة عن تجربة صادقة عاناها الشاعر وتأثر بها ، وإن لم يكن ذلك فإن الصورة تموت قبل أن تصل إلى الآذان أو الأحداق ؛ لهبوطها وبرودها .

والشاعر المتميز في نظري هو الذي يستطيع تجسيد عواطفه وأحاسيسه ويجلوها في صور شعرية ، تعبر عن خلجات حسه ومكنون وجدانه .

وهكذا كان السنوسي في صوره الشعرية التي جسد لنا بواسطتها أبعاد رؤيته الشعرية ، ورسم بها أحاسيسه ومشاعره في حالاتها المختلفة .

والناظر في صور السنوسي ــ التي اعتمد فيها على الأساليب المجازية أو الحقيقية - يلمس حضور خياله المحلق ، وتدخله في رسم أبعاد الصورة ، وإلباسها الظلال والإيحاء والألوان والحركة .

والخيال كما هو معروف « جوهر الأدب ، وغاية لمعان يمثلها تصور انطباعات الكون في ذهن الأديب وليس حلية أو وشياً »[1] وهو بالنسبة للشاعر «سمة مميزة لفنه وصياغته ، فالخيال عنصر أساسي في التجربة الشعرية يترجم عن مخيلة الشاعر ،

---

(١) اتجاهات وآراء في النقد الحديث ، د. محمد نايل ط الرسالة ، القاهرة سنة ١٩٧٤ م ؛ ص ٧٩ - ٨٠ .

ويوصل القارئ إلى تجربته ، وكثيراً ما يقوم النتاج الشعري بمستوى الخيال فيه»[١].

وخيال السنوسي كما تنطق صوره « بعث الحياة في المعاني والمجردات ، وحرك الأفكار والجمادات في صور أدبية حية تموج بالحركة والحياة ، وتنبض بالحيوية والقوة، وتشع منها الألوان والأضواء والظلال ، وترتسم في شكل يتناسب مع طبيعة الغرض ، وحجم يتفق مع المغزى »[٢] .

ولك أن تتأمل دور خياله في التقاط أجزاء الصورة من الأفق البعيد، ومن ثم جمعها عن طريق خياله الخلاق ، في وصفه لأذان الفجر ، وما يصاحبه من تجدد في الحياة والحركة ، بعد ذهاب الليل وهدأته وسكونه . حيث يقول[٣] :

ارْتِفَاعُ الأَذَانِ فَوْقَ المآذِنْ ... في انْبلاَجِ الصَّبَاحِ واللَّيْلُ سَاكِنْ
دَعْوَةٌ تَحْمِلُ الحَيَاةَ إِلَى الكَوْ ... نِ وسُكَّانِهِ قُرًى ومَدَائِنْ
ونِدَاءٌ من السَّمَاءِ إِلَى الأَرْ ... ضِ إِلَى ظَاهِرٍ عَلَيْهَا وبَاطِنْ
ولِقَاءٌ بَيْنَ المَلاَئِكِ والإِيْـ ... ـمَانِ والمُؤْمِنِيْنَ من غَيْرِ آذِنْ
وانْطِلاَقٌ إِلَى الفَلاَحِ إِلَى الخَيْـ ... ـرِ إِلَى الحَقِّ والهُدَى والمحَاسِنْ
كُلَّمَا رَدَّدَ المُؤَذِّنُ لَفْظاً ... شَعْشَعَ النُّورُ وانْجَلَى كُلُّ غَايِنْ
نَغَمَاتٌ كَأَنَّهَا نَسَمَاتٌ ... رَقْرَقَتْهَا خَمَائِلٌ وجَنَائِنْ
تَتَنَدَّى بِهَا النُّفُوسُ وتَرْتَا ... حُ ارْتِيَاحَ الرُّبَى بِقَطْرِ الهوَاتِنْ

فالصورة هنا حية متحركة ، تتلاحق فيها الأجزاء مكونة الصورة الكبرى : ارتفاع الأذان ، في انبلاج الصباح ، والليل ساكن ، ولقاء بين الملائك والإيمان

---

(١) أثر الإسلام في الشعر الحديث في سورية ، ص ٢٦١ .
(٢) المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية ، ص ١٣٧ .
(٣) الأعمال الكاملة ، ص ٥٤٥ - ٥٤٦ .

والمؤمنين من غير آذن ، ودعوة تحمل الحياة إلى الكون كله . هذا التتابع أعطى الصورة قدراً كبيراً من الجمال . ثم إن الخيال ألبس الصورة ثوباً بديعاً ، اعتمد فيه الشاعر على الأشياء المحسوسة لتقريب المعنى ، فنغمات الأذان كالنسمات العليلة في الخمائل والجنائن ، والنفوس ترتاح لتلك النفحات ارتياح الروابي لقطرات المطر الذي يبعث فيها الحياة والإخصاب . وهذا التنظير بين المعنويات والمحسوسات أسهم في إدراك الصورة[١] .

وحين يصور الأرواح المؤمنة وفرحتها بليالي وأيام شهر رمضان المبارك - يعتمد على المحسات في تجسيمه للأمور المعنوية في قوله[٢] :

طَافَتْ بِكَ الأَرْوَاحُ سَا ... بِحَةً كَأَسْرَابِ الحَمَامْ
بِيْضٌ يُجَلِّلُهَا التُّقَى ... نُوراً وَيَصْقُلُهَا الصِّيَامْ
رَفَّافَةً كَشَذَى الزُّهُو ... رِ نَقِيَّةً كَنَدَى الغَمَامْ

فالروح من الأمور المعنوية التي لا تدرك « لكن الشاعر عمد إلى تجسيمها وتقريبها للسامع فشبهها تارة بأسراب الحمام السابحة ، وأخرى بشذى الزهور ، وثالثة بندى الغمام ، وهذا التجسيد للمعنوي عن طريق ذكر نظائره من المحسات يقربه للذهن فيدركه بسهولة »[٣] .

والملاحظ على صور الشاعر التي عمد فيها إلى تجسيم المعنويات ، محاولاً تقريبها للمتلقي - امتزاجها بحالته النفسية ، ومشاعره وأحاسيسه ، وهذا الامتزاج من شأنه أن يحمل المتلقي على التفاعل مع تجارب الشاعر ، ومن ثم حمله على مشاركته في أحاسيسه ومشاعره .

---

(١) الإتجاه الإسلامي في الشعر السعودي الحديث قيمه في موازين النقد ، ص ١٨٣ « بتصرف» .
(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٣٢٥ .
(٣) الإتجاه الإسلامي في الشعر السعودي الحديث ، ص ١٨٥ .

والصور التي تقدمت معنا لا تخلو من هذا الامتزاج الجميل بين صور الشاعر وحالته النفسية ، ومما يؤكد هذا الملمح في صور السنوسي تجسيده لأثر الدين في الحياة ، ومدى حاجة الإنسان له في كل زمان ومكان في قوله[1] :

أَرَأَيْتَ الزُّهُورَمن غَيْرِ مَاءٍ كَيْفَ تَذْوِي وتَنْتَهِي لِلْفَنَاءِ ؟

أَرَأَيْتَ الحَيَاةَ من غَيْرِ نُورٍ كَيْفَ تَغْدُو في ظُلْمَةٍ عَمْيَاءِ ؟

هَكَذَا الدِّينُ إِنَّهُ شُعْلَةُ القَلْـ ـبِ ونَبْعُ الظَّمَاءِ في الصَّحْرَاءِ

فَاتَّخِذْهُ رَكِيــزَةً وعِمَاداً وضِمَاداً لِكُلِّ جُـرْحٍ ودَاءِ

فالدين وأثره في الحياة ، ومدى حاجة الإنسانية إليه ، أمور معنوية لا تدرك ، وحتى يستطيع السنوسي تقريبها من ذهن السامع اعتمد على الأشياء المحسوسة التي تقع عليها عيون الناس في حياتهم اليومية ، فجاء بالزهر وهونبت جميل تهش له النفس الإنسانية وتبتهج يحتاج إلى الماء حتى ينمو ويترعرع ويظل مصدراً للجمال ، وقادراً على زرع الراحة في نفوس عشاقه . وجاء بالحياة وقد انقطع عنها النور الذي يعد أهم مصادر بهجتها ، وعانقها الظلام الدامس .

وقد نجح الشاعر ـ من خلال تجسيمه ـ في بيان أثر الدين في الحياة ، وفي الحياة الإنسانية بعامة ، فالدين بالنسبة للإنسان كالماء للزهور ، وكالنور للحياة .

وكما هو ملاحظ على صورة الشاعر السابقة امتزاجها بحالة الشاعر النفسية ، وأحاسيسه ومشاعره التواقة إلى خير البشرية جمعاء ، وهوإلى جانب ذلك قد وفق في تقديم صورتين مختلفتين للحياة الإنسانية في ظل تغلغل الدين في أعماقها ، وفي حالة افتقادها له .

وحينما يتناول الماديات يميل إلى التشخيص ، محاولاً بواسطته إبراز معالم الصورة وجوانبها؛ حتى يقترب المعنى الذي جلبت لتأديته ويتضح .

---

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٥٥٢ .

نلمس ذلك في تصويره لتعاطف الطبيعة الصامتة وبعض المظاهر الكونية مع رسول الله - ﷺ - ليلة الهجرة النبوية ، حيث يقول[1] :

جَثَمَتْ حَوْلَهُ تَضُمُّ جَنَاحَيْـ ـهَا حُنُوّاً عَلَيْهِ كَالوَرْقَاءِ
والسُّكُونُ العَمِيْقُ يَمْلأُ قَلْبَ الـ أَرْضِ والكَوْنُ عَامِرٌ بِالرَّجَاءِ
وعُيُونُ السَّمَاءِ من كُلِّ نَجْمٍ رَصَدٌ لِلْعِصَابَةِ الرَّصْدَاءِ
يَطَأُ الأَرْضَ نُورُهَا في خُفُوتٍ ويُرَى لَائِذاً بِكُلِّ خِبَاءِ
كَمَّ أَنْفَاسَهُ الدُّجَى واقْشَعَرَّ الـ ـلَيلُ رُعْباً وارْبَدَّ وَجْهُ الفَضَاءِ

فالليل والنجوم والأرض والكون بما يحتويه أمور مادية لا روح فيها ، ولكن خيال الشاعر المحلق بث فيها الحياة ، فجعلها تتعاطف مع رسول الله - ﷺ - تتجاذبها مشاعر الخوف والقلق عليه من أعدائه المتربصين به ، والشوق والتطلع إلى نجاته و عدم افتضاح أمر هجرته .

نلمس ذلك في الليلة التي استحالت إلى حمامة أسبلت جناحيها ؛ لتواريه عن أعين أعدائه المتربصين به .وفي حركات النجوم الدائبة - ملامسة ثغر الأرض في هدوء ؛ لتضيء للرسول - ﷺ - دربه في الليلة الكثيفة السواد ، وتارة ترصد كفار قريش ، وتكشف مواقعهم ؛ حتى يأخذ رسول الله - ﷺ - حذره منهم - وفي حبس الدجى لأنفاسه ، والفرق الذي عانق جسد الليل ، والفضاء الذي استحال إلى كتلة سوداء ؛ خشية وهلعاً على رسول الله - ﷺ -.

وفي موضع آخر تتخلى (مكة المكرمة) قبلة المسلمين ، ومهوى أفئدتهم عن جمودها ، وتتحول إلى أم رؤوم تحتضن الدنيا بأسرها ، وتلطف بأناملها الرقاق جسد العالم المتوتر ، ثم توجه أبناءها وتحثهم على ضرورة الوحدة :

(١) المصدر السابق : ص ٢٦٢ .

تَتَضَرَّعُ الدُّنْيَا لَدِيْكِ وَيرْتَمِي في لا بَتَيْكِ جَبِيْنُهَا مُتعَفِّرَا
وإلَيْكِ تَتَّجِهُ القُلُوبُ فَوَجِّهِي قَلْبَ العُرُوبَةِ نَحْوَ تَوْثِيْقِ العُرَى
مُدِّي أَنَامِلَكِ الرِّقَاقَ وَلَطِّفِي بِيَدَيْكِ هَذَا العَالَمَ المُتَوَتِّرَا[1]

وتتخلى بعض المواقع الإسلامية عن جمودها ، بعد أن خلع عليها الشاعر ثوب الإنسانية ، فإذا بالقدس يستاف النسائم العليلة القادمة من طوى ، وإذا بالطور يمد يده ليقتبس شيئاً من نور حراء[2] :

القُدْسُ يَسْتَافُ النَّسَائِمَ من طُوَى والطُّورُ يَقْتَبِسُ الأَشِعَّةَ من حِرَا

وهناك صور شعرية عديدة اعتمد فيها الشاعر على عبارات حقيقية الاستعمال، والعبارات الحقيقية الاستعمال كما يرى الدكتور محمد غنيمي هلال : قد تكون «دقيقة التصوير ، دالة على خيال خصب »[3] خاصة إن استطاع الشاعر استثمار طاقات الألفاظ التي تكتنزها في ذاتها سواء من خلال هيئتها وجرسها ، أو الظلال والمعاني التي توحي بها .

وصور شاعرنا التي اعتمد فيها على الاستعمالات الحقيقية للألفاظ غنية بإشعاعاتها وطاقاتها الإيحائية ، قادرة على تجسيد حالته النفسية .

ومن صوره تلك قوله[4] :

يُخْزِ الضَّمِيرَ وَيَجْرَحُ الإحْسَاسَا حَقٌّ يُهَانُ فَلَا يُثِيرُ النَّاسَا
وعَجِيْبَةٌ أَنْ تَسْتَمِرَّ عِصَابَةٌ تَطَأُ الهُدَى وتُلَوِّثُ الأَقْدَاسَا
رَعْنَاءُ أَسْكَرَهَا الغُرُورُ فَأَمْعَنَتْ بَطَراً وَزَادَتْ خِسَّةً وشَرَاسَا
تَلْهُو وتَعْبَثُ لا تُقِيمُ لِمَنْطِقٍ وَزْناً ولَا لِمَبَادِئٍ مِقْيَاسَا

(١) المصدر السابق : ص ٢١ .
(٢) المصدر نفسه : ص ٢٠ .
(٣) النقد الأدبي الحديث ، د. محمد غنيمي هلال ، ص ٤٣٢ .
(٤) الأعمال الكاملة ، ص ٥٧١ - ٥٧٣ .

وَمُنَظَّمَاتُ الحَقِّ كُلُّ جُهُودِهَا لِلْحَقِّ لا تَتَجَاوَزُ القِرْطَاسَا
لا مَجْلِسُ الأَمْنِ اسْتَعَادَ وَقَارَهُ وأَقَامَ هَيْبَتَهُ وثَارَ حَمَاسَا
كَلَّا ولا جَمْعِيَّةُ الأُمَمِ انْتَهَتْ يَوْماً إِلَى حُكْمٍ يَرُدُّ شِمَاسَا[1]
وَيُقَالُ إِنَّ العَصْرَ عَصْرُ مَبَادِئٍ فُضْلَى تُقِيمُ الوَزْنَ والقِسْطَاسَا
قَوْلٌ تُخَالِفُهُ الفِعَالُ ورُبَّمَا خَدَعَ الدُّهَاةَ وضَلَّلَ الأَكْيَاسَا
مَاذَا يُرَادُ بِنَا فَدَيْتُكِ أُمَّتِي لِنُقِيمَ دَاخِلَ أَرْضِنَا حُرَّاسَا؟
اللِّصُّ في بَيْتِي وبَيْنَ مَحَارِمِي يُؤْذِي النُّفُوسَ ويَكْتُمُ الأَنْفَاسَا
وَيُقَالُ لِي لَا تَسْتَثِيرُ شُعُورَهُ أَبَداً ولا تَبْخَلْ لَهُ إِينَاسَا
سُخْفٌ وسَفْسَطَةٌ وأَيَّةُ مَنْطِقٍ هَذَا لَقَدْ خَسِيءَ العَدُوُّ وخَاسَا[2]

فالأبيات التي أمامنا تكاد تخلو من العبارات المجازية التي يستعين بها الشعراء عادة لتجسيد حالاتهم النفسية المختلفة ، وقد اتكأ الشاعر هنا على التصوير عن طريق استعماله للعبارات الحقيقة ـ باستثناء ثلاث عبارات مجازية : أولها : (تطأ الهدى) ، ثانيتها : (أسكرها الغرور) ، ثالثتها : (تجرح الإحساسا) ـ مستنكراً بواسطتها موقف هيئة الأمم المتحدة ، ومجلس الأمن من العدو الإسرائيلي والقضية الفلسطينية ، ومبديا حزنه العميق وأسفه على تخاذلهما في تطبيق العقوبات على ذلك العدو ، وتخليهما عن المبادىء والقيم التي أوجدا لتحقيقها في هذا العالم المترامي الأطراف ، ويأتي في مقدمتها إحلال السلام .

ومما زاد من أثر تلك الصور في النفوس استخدامه للأفعال (يخز ، يجرح ، يهان، يثير ، تلهو ، تعبث ، يؤذي ، يكتم ، تلوث) والأسماء (الضمير ، الإحساس، الحق ، عصابة ، الهدى ، الغرور ، البطر ، الخسة ، الشراسة ، القسطاسا) .

(١) شمساسا : الشماس: المعاداة والمعاندة .
(٢) خاسا : أي ذل .

وذلك لتظاهر تلك الأسماء والأفعال ـ لما بينهما من علاقة حميمة ــ في اطلاعنا على عالم الشاعر الوجداني ، وجلاء موقفه مما يحدث في بعض أراضي المسلمين .

أضف إلى ذلك أن الأسماء المشار إليها مشحونة بظلال من المعاني ، اكتسبتها من استعمالها على مدى تاريخنا الأدبي والديني ، وقدرة الأفعال (يثير ، تلهو ، تعبث ، يؤذي ، يكتم ، تلوث) على بث الحيوية والحركة في أوصال الصورة التي رسمها لنا الشاعر، وذلك من خلال عنصر الحركة الموجود فيها .

ويعمد السنوسي في تصويره عن طريق العبارات الحقيقية الاستعمال ـ أحياناً ـ على بعض الألفاظ القادرة على رسم المعنى المراد من خلال جرسها ، أو ظلها .

ومن ذلك استخدامه للفظة (ضعضعوا) في الدلالة على قوة الجيوش الإسلامية التي خاضت المعارك الضروس ضد كل من الفرس والرومان ، وقد ساعد على ذلك صوتا (الضاد) و (العين) المتكررين في قوله[1] :

فَلَقَدْ ضَعْضَعُوا قُوَى كُلِّ دِهْقَا ... نٍ وعِلْجٍ وانْقَذُوا كُلَّ عَانِي

وقوله مصوراً قوة وفضاعة أصوات المجرمين الذين اقتحموا المسجد الحرام[2] :

لَـعْـلَـعَـتْ فَجْأَةً تَشُقُّ طُمَأْنِيـ ... ـنَةَ الأَرْوَاحِ أَصْوَاتُ مُجْرِمِيْنَ وِقَاحِ

فالجرس الناتج من تكرار حرفي (اللام) و (العين) ساعد على إدراك فضاعة ذلك الصوت وقوته .

ومن الألفاظ القادرة على رسم المعنى عن طريق ظلها لفظتا (يخر ، تهاوى) في قوله مصوراً أثر وقع اكتشاف الحقيقة ــ التي كان ينكرها الفيلسوف ــ على نفسه[3] :

---

(١) الأعمال الكاملة : ص ٥٦٨ .

(٢) جريدة الندوة ، العدد (٦٤٠٨) في ١٤/ ١/ ١٤٠٠هـ .

(٣) الأعمال الكاملة ، ص ٦٣١ .

فَإِذَا الفَيْلَسُوفُ من حَكْمَةِ اللّـ ـهِ ومن لُطْفِهِ يَخِرُّ وُجُومَا
فَتَـهَاوَى خِزْياً وآمَنَ بِاللّـ ـهِ تَعَالَى وجَلَّ رَبّاً رَحِيمَا

فهتان اللفظتان تجسدان فجيعة ذلك الفيلسوف ببطلان عقيدته التي اعتقدها ، ودأب على تأكيدها .

والذي لا شك فيها أن عمق ثقافة الشاعر وسعتها يمنحان خياله قيمة الشمول والعمق ، وأكثر ما تتمثل تلك القيمة في مقدرة الشاعر على توليد عدد من الصور الذهنية التي قد يكون أغلبها بعيداً عن الحس ومعطياته ، ولا أحد يجزم بالكيفية التي تصبح بها تلك الصور ـ نتيجة المعاناة أو التجربة الشعرية ـ رموزاً وتشكيلات حيوية لها القدرة على بلورة الرؤية التي يسعى الشاعر إلى تحديدها . ولما كان التراث جزءاً أساسياً من ثقافة العصر فإن أي شاعر طموح ـ من قبيل السنوسي ـ يسعى إلى توظيف ذلك التراث مدخلاً فيه التاريخ والشخصيات التي أدى أصحابها أدواراً حاسمة في تطور الإنسان[١] .

والناظر في شعر شاعرنا الإسلامي يقف على استدعائه لعدد من الشخصيات التراثية الدينية ، واستخدام الشخصية التراثية كما يرى الدكتور على عشري زايد ، في الشعر العربي المعاصر « يعني توظيفها تعبيرياً لحمل بعد من أبعاد تجربة الشاعر المعاصر أي أنها تصبح وسيلة تعبير وإيحاء في يد الشاعر يعبر من خلالها أو بها عن رؤياه المعاصرة »[٢] وبذلك تتجاوز المفردة اسم صاحبها ، لتصبح رمزاً لغوياً يحمل ذكريات شعورية لكل الأفعال والأعمال التي اقترنت بتلك الشخصية التراثية[٣] .

---

(١) شعر حسين سرحان دراسة نقدية ، أحمد عبد الله صالح المحسن ص ٢٩٣ . « بتصرف »
(٢) استخدام الشخصية التراثية، د. علي عشري زايد ، رسالة دكتوارة ، ١٩٧٤ ، دار العلوم ص ٨.
(٣) لغة الشعر العراقي المعاصر ، عمران خضير حميد الكبيسي ، ط(١) ١٩٨٢م ص ٤١ « بتصرف».

وهـذا الأمـر يتحقـق إن أحسـن الشـاعر في اسـتخدامه لتلـك الشـخصية الغنيـة بمواقفهـا ، في موقـف يسـتدعي حضورهـا ، ولا يتنـافر معهـا بحيـث تستطيع تلك الشخصية تجسيد مـا يرمـي إليـه الشـاعر فعـلاً[١] :

وقد وفق شاعرنا في استخدامه لشخصياته التي استدعاها في بعض تجاربه ، وفي توظيفها توظيفاً يشـي بغاياتـه ، وليـس أدل علـى ذلـك مـن توظيفـه لقصـة سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ مع النمرود في قصيدته (فتح) حيث يقول[٢] :

سِرْ في طَرِيْقِكَ مُسْتَقِيْما ... حَتَّى ولَوْ كَانَتْ جَحِيْمَا
وامْـلأْ فُؤَادَكَ بِالهُدَى ... والحَـقِّ إِيْمَاناً قَوِيْمَا
فَالنَّارُ إِبْـرَاهِيمُ لَمْ ... يَعْبَأْ بِهَا ونَجَا سَلِيْمَا
خَاضَ اللَّظَى لَمْ يَرْتَعِدْ ... فَرَقاً ولَمْ يَرْهَبْ خُصُومَا
كَانَتْ على إِيْمَانِـهِ ... بَرْداً وكَانَ بِهَا كَرِيْمَا

فالشـاعر في هـذه الأبيـات يسـتدعي شـخصية إبراهيـم ــ عليـه السـلام ــ وأحـداث قصتـه مـع الطاغيـة نمـرود ، محـاولاً بواسـطتها دفـع همـم أبنـاء فلسطين، إلى المضي قدماً في طريـق الجهـاد الـذي يـدعوه ضـد أعدائهـم مـن اليهـود ، مرغبـاً إيـاهم في تحمـل المشـاق والصعـاب الـتي سـتواجههم في دربهـم الطويـل؛ إن أرادوا لحركـاتهم الجهاديـة النجـاح ، متخذيـن القـدوة مـن رسـول الله ونبيه إبراهيـم ــ عليـه السـلام ــ الـذي لم يتنـازل عـن دعوتـه الـتي كلـف بتبليغها رغم إلقائـه في النـار مـن قبـل أعدائـه .

---

(١) هناك عدد كبير من شعراء العرب المحدثين استخدموا عدداً من الرموز التراثية في معان لا تتفق مع واقعها الذي نعرفه عنها في ثقافتنا الإسلامية . فالحلاج – مثلاً – استخدم عند كثير منهم كرمز للاستقامة والصبر على الحق ، وهو في الحقيقة صوفي مغال ، قتله أجدادنا لأنه كان منحرفاً .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٤٩٨ – ٤٩٩ .

ويستدعي شخصية أبي بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ في قصيدته (ياثاني اثنين) وغاية شاعرنا من استدعائه لتلك الشخصية ــ بالإضافة إلى الإشادة بمواقفه الشجاعة ــ محاولة الربط بين حركة الردة التي شهدها المجتمع الإسلامي بعد وفاة الرسول ــ ﷺ ــ من بعض القبائل العربية ، وتصدي الصديق لها ، والردة التي يعيشها المسلمون في العصر الحديث ، والتي تتمثل في تقليدهم للغرب في إلحادهم وزندقتهم، ووقوفهم عاجزين عن التصدي لها .

يقول السنوسي واصفاً الردة الحديثة بعد أن عرض لموقف الصديق من المرتدين عن الإسلام في فترة ولايته أمر المسلمين(١) :

يا ثَانِي اثْنَيْنِ لَوْ أَبْصَرْتَ حَاضِرَنَا
والمُسْلِمُونَ حَيَارَى أَيْنَمَا دَارُوا

في رِدَّةٍ لاَ أَبَا بَكْرٍ يُصَاوِلُهَا
ولاَ يُقَاوِمُهَا عَمْرٌو وعَمَّارُ

في رِدَّةٍ من ثِيَابِ العَصْرِ لاَ بِسَةً
تَحَرَّرُ قِيلَ عَنْهَا وهْيَ آصَارُ(٢)

تَفَرَّقَ الجمْعُ وانْحَلتْ شَكِيمَتُهُمْ
وانْهَارَ إِيْمَانُهُمْ بِاللهِ فَانْهَارُوا

نُقَلِّدُ الغَرْبَ إِلْحَاداً وزَنْدَقَةً
ومن تَحَلُّلِهِ نُجْنِي ونَسْتَارُ

ولا نُقَلِّدُهُ عِلْماً وتَقْنِيَةً
ولاَ انْطِلاَقاً لَهُ نَفْعٌ وأَثْمَارُ

(١) المصدر السابق : ص ٥٣٩ - ٥٤٠ .
(٢) آصار : آثام .

يا ثَانِيَ اثْنَيْنِ في ذِكْرَاكَ مَوْعِظَةٌ

وفي جِهَادِكَ لِلسَّارِيْنَ أَنْــــوَارُ

ومن الشخصيات التي استدعاها ووفق في استخدامها من خلال إثارة ذكرياتها الشعورية في وجدان أبناء الأمة الإسلامية شخصيتا: (جنكيزخان) و (هولاكو) كرمزين للدمار والتخريب ، رابطاً بين الماضي وغصصه التي تجرعتها أمتنا الإسلامية على يد كل منهما ، وحاضرها المنتظر على يد الجنرال الفرنسي (ديجول) ، محاولاً استرجاع تلك الذكريات الدامية التي فيها تنبيه للمسلمين وتبصير بالخطر المحدق بهم ، حاثاً إياهم على التصدي له ، وفي ذلك يقول(١) :

تَــكَادُ تَسْتَعِرُ النِّيْرَانُ مِـــلْءَ دَمِي

ويَصْرُخُ القَلْبُ مَلْسُـــوعاً من الأَلَمِ

إِذَا أَصَخْتُ إلى المِـــذْيَاعِ وانْطَلَقَتْ

أَمْــوَاجُـــهُ تَلفظُ الأَنْبَاءَ كَالحِمَمِ

(جَنْكِيْزُخَانٍ) و (هُولاَكُو) ولَفَّهُمَا

وكُـــلُّ مَا سَجَّلَ التَّارِيْخُ من نِقَمِ

عَـــادُوا وعَادَتْ مَخَازِيهِمْ يُمَثِّلُهَا

(دَيجُــولُ) في قُحَّةٍ نُكْرًا وفي نَهَمِ(٢)

---

(١) الأعمال السابقة : ص ٢٧٩ .

(٢) قحة : القُحُّ :الخالص من اللؤم والكرم ومن كل شيء ؛ يقال : لئيم قح إذا كان معرقاً في اللؤم.
نهم : النهمة بلوغ الهمة والشهوة في الشيء .

ثالثاً : المفارقة التصويرية:

المفارقة التصويرية من الوسائل التي استخدمها الشاعر في التعبير عن بعض تجاربه الشعرية. وهي « عبارة عن إبراز التناقض بين طرفين أووضعين كان من المفروض ألاَّ يختلفا أو أن يقع بينهما التناقض ، والغاية من ذلك هي استنكار هذا التناقض أو التعجب منه ، أوتعميق الإحساس به »[١] .

وقد تعددت أنماط هذه الوسيلة في تجارب شاعرنا، فتارة يشعل روح المفارقة التصويرية بين طرفين مستمدين من عصره وواقعه الذي يعيشه . وخير مثال لذلك ما جاء في قصيدته (القلب الكبير) ومنها قوله[٢] :

يَرْفُضُ القَلْبُ إِذَا كَانَ كَبِيْرَا ... عُقَدَ النَّقْصِ سُلُوكاً وشُعُورَا

ويَرَاهَا دنَساً مُسْتَقْذَراً ... تَأْلَفُ القَزْمَ وتَسْتَهْوِي الصَّغِيْرَا

يَحْجُبُ النَّاقِصُ سُفْلَى نَفْسِهِ ... بِتَعَالِيْهِ على النَّاسِ غُرُورَا

وَرَمُ الأَنْفِ دَلِيْلٌ وَاضِحٌ ... أَنَّ في النَّفْسِ جُرُوحاً وبُثُورَا

وكَبِيْرُ القَلْبِ تَلْقَاهُ على ... كُلِّ حَالَيْهِ عَظِيْماً وخَطِيْرَا

هُوَ كَالبَحْرِ جَلَالاً رَائِعَاً ... وهْوَ كالرَّوْضِ زُهُورَاً وعَبِيْرَا

وضِيَاءُ البِشْرِ في غُرَّتِهِ ... خُلُقاً سَمْحاً وإِيْمَانَاً غَزِيرَا

يَرْفُضُ العُجْبَ وإِنْ هَشَّ لَهُ ... مَبْسَمُ الدَّهْرِ نَعِيْمَاً وسُرُورَا

فالسنوسي في هذه الأبيات يقدم لنا صورتين مختلفين من واقعه وعصره الذي يعيشه ، وطرفاها شخصان ، أحدهما : قد ابتلى بداء الغرور ، فتعالى علىمن حوله

(١) سيد قطب حياته وأدبه ، عبد الباقي محمد حسين ، ط(١) ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ص ٢٤١ .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٧١٥ - ٧١٦ .

وتكبر، وثانيهما : إنسان طيب القلب يحب الخير لجميع الناس ، ويتعامل معهم كإخوان جمعتهم الأقدار على سطح هذه الأرض .

وغاية السنوسي من مفارقته تلك التنفير من الكبر والغرور والتعالي على الناس ، وترغيبهم في التواضع والاتصاف بالأخلاق الحميدة .

وهي إلى جانب ذلك تفصح عن عشقه للخير والجمال في كل شيء ، ولعل احتفاله واهتمامه بإبراز معالم صورة الإنسان الطيب القلب، يؤكد ذلك الحب والعشق الذي يحمله لكل ما هو جميل في الحياة .

ولا يخفى على المتلقي تأثر السنوسي في مفارقته تلك بجانب من التصوير الفني في القرآن الكريم ، فكثيراً ما نجد فيه صورة الجنة تقابل صورة النار ، وصورة الكفار والمنافقين تقابلها صورة المؤمنين ، وهذه الطريقة في الأداء لها أثرها العميق في نفس المتلقي ، لأنها تقوم على الجمع بين مشهدين مع إبراز ما فيهما من تناقض ، فيسهل بذلك على الإنسان اختيار الأصلح والأجمل ، والضد ـ كما قيل ـ يظهر حسنه الضد .

وفي قصديته (أم القرى) يشعل المفارقة التصويرية بين فترتين تاريخيتين تراثيتين : تصور الأولى الوضع الذي كان عليه الناس قبل نزول خاتمة الرسالات السماوية ، وتصور الثانية وضعهم بعد نزولها وانبثاق أنوارها في آفاق المعمورة . ويتضح ذلك في قوله[1]:

طَلَعَتَ على التَّأْرِيْخِ وَهْوَ سَخَافَةٌ ... كُبْرَى تَخُطُّ بِهِ الخُرَافَةُ أَسْطُرا

الـعُـنْـصُرِيَّةُ تَسْتَبِيْحُ كَيَانَهُ ... وَشَوَائِبُ التَّمْيِيزِ تَخْزِمُهُ بُرَى

وشَـرِيْعَةُ الغَابَاتِ تَنْتَظِمُ الدُّنَا ... والحَقُّ مَطْلُولُ الدِّمَاءِ مُهَدَّرا

(١) الأعمال الكاملة ص: ١٦ - ١٧ .

فَإِذَا ابْنُ عَبْدِ اللهِ يَـرْفَـعُ صَوْتَهُ | وَيَدُكُّ ما شَادَ الضَّلاَلُ وَسَـوَّرَا
في دَعْوَةٍ كالشَّمْسِ سَاطِعَةِ السَّنَا | تَهْدِي الضَّلِيلَ وتُرْشِدُ المُتَحَيِّرَا
الفَضْلُ لِلأَعْمَالِ في دَسْتُورِهَا | لاَ لِلْمَنَاصِبِ والمنَاسِبِ والثَّـرَا
وإِذَا البَرِيَّةُ تَحْتَ ظِـلِّ لِوَائِهَا | إِسْلاَمُهَا القُرْبَى وَتَقْوَاهَا العُرَى

فالفـترة الـتي سبقت نـزول الرسـالة الإسـلامية كـانت ـ كمـا في تصويـر شـاعرنا لهـا ـ مسـرحاً لألـوان مـن المعتقـدات والخرافـات ، ولألـوان عـدة مـن الظلـم الاجتمـاعي المتمثـل في : اختفـاء العـدل مـن علـى الأرض ، وانتشـار التفرقـة العنصريـة بـين الأجنـاس البشـرية الـتي كـانت تعيـش في تلـك الفـترة المظلمـة .

في حين انتشر العدل ، وعمت المساواة ، في ظـل الرسـالة الإسـلامية الـتي تتـم المفاضلة فيها عن طريق الأعمال الصالحة، لا عن طريق المناصب، والثراء، والنسب.

والسنوسي ـ من خلال إشعاله لروح المفارقة بـين تلـك الفـترتين ـ يسـعى إلى تعميق أثر الرسالة الإسلامية في الحياة والأحياء .

وفي قصيدته (الليل والشاعر) يشعل روح المفارقة بين طرفين اثنين :

أحدهما : تراثي ، والآخر : معاصر .

يقـول السنوسـي مسـتحضراً الطـرف الأول في مفارقتـه[1]:

أَنَـا مِنْ أُمَّـةٍ رَعَى اللهُ مَا ضِيـ | ـهَا لَقَدْ كَانَ جَوْهَراً من جَوَاهِرْ
كَانَ مِنْهَا الهَادِي إِلَى الحَقِّ والحَا | مِي حِمَاهُ من كُلِّ طَاغٍ وفَـاجِرْ
كَانَ مِنْهَا (مُحَمَّدٌ) وأَبُوبَكْـ | ـرٍ وعُثْمَانُ والزُّبَيْرُ وعَـامِـرْ
وعَـلِيٌّ وطَـلْـحَـةٌ والمُثَنَّى | وأَبُو حَفْصٍ والشَّهِيْدُ ابْنُ يَاسِـرْ
نَـفَـرٌ كَالنُّجُومِ إِنْ أَظْلَمَ اللَّيْـ | ـلُ أَضَاءَتْ بِهِمْ سَمَاءُ المَفَاخِـرْ
لَيْسَ مِـنْـهُـمْ إِلاَّ جَوادٌ وإِلاَّ | فَارِسٌ لِلْفَوَارِسِ الصِّيْدِ قَاهِـرْ

(١) المصدر السابق : ص ٤٨١ .

ففي هـذا الطـرف يـبرز الشـاعر العـزة والسـيادة الـتي كـانت تتمتـع بهـا أمتـه في سـابق عهدهـا .

أما الطرف الثاني ، فيتمثـل في حـاضر أمتـه الأليـم ، بعـد أن فتتتهـا الفرقـة ، واستشري في جسدها الوهن والضعف ، وفي ذلك يقول[1] :

كَيْفَ أَضْحَى أَحْفَادُهُمْ يا فِلَسْطِيـ ـنُ صِـغَـاراً لاَ يَأْنَفُونَ الصَّغَائِـرْ؟

بَـرَدَتْ في دِمَائِهِمْ نَخْوَةُ العِـ ـزِّ ومَاتَتْ تِلْكَ السَّجَايَا الحَرَائِرْ

فَـهُـمُ الـقَـوْمُ عُـدَّةً وعَدِيْداً لَوْ تَصَافَتْ قُلُوبُهُمْ والسَّـرَائِرْ

والسنوسي ـ كمـا يبـدو في هـذه القصيـدة الـتي عمـد فيهـا إلى إشـعال روح المفارقـة التصويريـة بين فـترتين تـاريخيتين مـرت بهمـا أمتنـا الإسـلامية ـ تـواق إلى عـودة أمتـه إلى مكانتهـا الأولى الـتي تخلـت عنهـا مرغمـة .

وقـد سـعي بواسـطتها إلى إثـارة مـا خبـا في نفـوس ابنـاء أمتـه مـن تطلـع إلى المجـد والسـيادة ، ليسـهموا في عـودة أمتهـم إلى سـابق عهدهـا .

---

(١) المصدر السابق : ص ٤٨٢ .

الخاتمة

حاولت في هذا البحث أن أبرز الاتجاه الإسلامي في شعر محمد بن علي السنوسي ، ومن ثم دراسته دراسة تحليلية فنية .

وقد جاءت هذه الدراسة في تمهيد ، وأربعة فصول ، وخاتمة .

عرضت في التمهيد لتحديد مفهوم الشعر الإسلامي الذي أقصده في دراستي ، ثم قدمت نبذة مختصرة عن الشاعر الذي دارت حول شعره دراستنا .

الفصل الأول : « النزعة الإسلامية في الأغراض الشعرية » .

تناولت فيه بالدراسة الأغراض الشعرية التي تحتوي أغلب شعر السنوسي ، قديمها وحديثها ، وقد شملت دراستي فيه الأغراض التالية : المدح ، والرثاء ، والغزل، والوصف، والشعر الاجتماعي ، والشعر الوطني .

وقد وقفنا في دراستنا لتلك الأغراض على جملة من المعاني الإسلامية ، كما وقفنا على الأثر الإسلامي فيها .

ففي المدح ، وجدنا شاعرنا يشيد بحرص حكام بلاده على نشر الرسالة الإسلامية ، واستمداد أحكامهم منها ، ومناصرتهم للدين ، وإقامة العدل ، ونشر الأمن وبسط ظلاله على كل أرجاء مملكتهم ، والأخذ بأيدي الأيتام ، ومساعدة الطاعنين في السن ، والصدق في القول ، والوفاء بالعهود ، وصون الأعراض والحرمات ، والحلم ، والعفو عند المقدرة،والدعوة إلى وحدة المسلمين ، والوقوف إلى جانبهم في محنهم ومآسيهم .

وفي الرثاء ، وقفنا على إيمان شاعرنا بقضاء الله وقدره ، وتسليمه به ورضاه التام عنه، كما وقفنا عند نظرته إلى الموت كحقيقة حتمية تنتظر كل حي في هذا

الكون عدا الله - سبحانه وتعالى - وحثه على الأعمال الصالحة والإكثار منها ؛ استعداداً للقاء الله عز وجل .

كما بدت النزعة الإسلامية والأثر الإسلامي في ذكره لمحامد ومناقب الذين رثاهم والتي كانت من خصالهم التي عرفت عنهم وهم أحياء .

وفي الغزل ، وقفنا على اصطباغ قصائده فيه بالعفة التي كانت ثمرة من ثمار العقيدة الإسلامية ، وقد برزت آثار العقيدة ، واتضحت معالمها في حفاظه على الحرمات ، وعدم التبذل في معانيه ، والبعد عن التحلل والميوعه ، والالتزام بالأخلاق الإسلامية التي تأبى عليه الوقوع في ما حرم الله ، وأكثر ما يتجلى لنا ذلك الأثر في ربطه لجمال فاتنته بالله - سبحانه وتعالى - فهو الذي منحها إياه .

وفي وصفه للطبيعة بنوعيها ، بدا المضمون والأثر الإسلامي في ربطه للمشاهد التي استوقفته بالله - سبحانه وتعالى - فهو خالقها وصانعها .

كما بدا ذلك الأثر في تعاطفه معها وإحساسه بها ، وفي رؤيته لها ، فهي في شعره الذي عرضنا له بالدراسة خليقة حية متعاطفة .

وفي شعره الاجتماعي ، بدا المضمون والأثر الإسلامي واضحاً وقوياً ، سواء في انتقاده ومحاربته لبعض الأدواء التي تفشت في مجتمعه الإسلامي ، لضعف الوازع الديني ، والانبهار بالحضارة الغربية الحديثة، أو في حثه على الالتزام بالأخلاق الإسلامية الفاضلة .

وغاية السنوسي - كما سبق أن بينا - إيجاد مجتمع مثالي ، يستمد مثاليته من مثالية رسالته التي شرف بحملها .

وفي شعره الوطني ، بدا المضمون الإسلامي في ربطه لحاضر وطنه بماضيه ، وإبرازه لدوره في نشر تعاليم الرسالة الإسلامية ، ودفاعه عن المقدسات التي تحتويها أراضيه . كما بدا في ربطه لمظاهر الجمال ومصادر الرزق فيه بالله - سبحانه وتعالى- فهو الذي حباه ذلك الجمال ، وأمده بمصادر ذلك الرزق .

كما بدا المضمون الإسلامي في دفاعه عن أراضي المسلمين في كل مكان ، ومشاركته لإخوانه المسلمين في أفراحهم وأتراحهم .

وقد أكدنا خلو شعر السنوسي الوطني من النزعة العصبية لوطنه ، ووضحنا ذلك من خلال شعره ، وعمقنا ربطه فيه بين الدين والوطن ، من خلال الشواهد الشعرية التي سقناها وعرضنا لها .

الفصل الثاني : « موضوعات الشعر الإسلامي » .

تناولت فيه بالدراسة أهم الموضوعات الإسلامية في شعره . وقد شملت دراستي فيه شعره المتصل بالعقيدة الإسلامية ، واتضح لنا من خلاله مدى عمق وصفاء العقيدة الإسلامية في وجدانه ، ومدى اعتزازه بها ، من خلال دفاعه عنها أمام كل من حاول النيل منها ، بواسطة إثارة الشكوك حولها ، ودعوته الصادقة إلى اعتناقها عن وعي وإدراك ؛ لما فيها من خير للبشرية جمعاء ، فهي وحدها المنقذ لها من الضياع الذي تعيشه.

وفي شعره المتصل بالإسلام ورسالته ، وقفنا على مدى اعتزازه بالرسالة الإسلامية ، وبالمثل والقيم التي أرست دعائمها في الأرض ، ونشرتها بين الناس - جميعاً - دون التفاوت إلى لون ، أو جنس ، أو لغة . كما وقفنا على دفاعه عن الإسلام ورسالته ، وتعريضه بالمروجين للمذاهب والفلسفات الغربية الهدامة ، وتتفيهه لمزاعمهم . كما وقفنا على دعوته الجادة إلى اعتناق الدين الإسلامي الحنيف، والامتثال لأوامره ، واجتناب نواهيه ؛ وذلك لأنه النظام الشامل والصالح للحياة والأحياء في كل زمان ومكان .

كما وقفنا عند بعض الآفاق العبادية في شعره ، كالصلاة ، والصيام ، والحج . وقد أفصحت قصائده التي حلق فيها مع تلك الشعائر والأركان الإسلامية عن مدى تعلق الشاعر بها ، حيث جلى خصائصها وآفاقها ، ولم يتوقف فيها عند ذلك

الحد ، بل رأيناه يتخذها ميداناً لإراقة آلامه ، وبث أحلامه ، ومناخاً ملائماً لمعالجة بعض أدواء المسلمين .

وفي شعره الذي استلهم فيه تاريخنا الإسلامي الخالد ، وقفنا على عشقه لذلك التاريخ ، واعتزازه به . سواء في استدعائه لبعض الشخصيات الفاعلة فيه ، أو في استعراضه لأمجاد أمته الإسلامية فيه .

وقد وضحنا غاية السنوسي من ذلك التجوال في صفحات تاريخنا الإسلامي المشرقة ، حيث قلنا : بأنه كان يسعى ـ من خلال عرضه لتلك الصفحات ـ إلى بعث الروح في أمته ، وتخليصها من رقدتها ، ودفع شعورها بالذل والانكسار والهزيمة .

ففي جميع وقفاته ـ تلك ـ زاد معنوي وشعوري ، من شأنه أن يحفز أبناء الأمة الإسلامية على ضرورة العمل الجاد ، واستشعار القوة في مواجهة الطغيان ، والصبر على المكاره في سبيل الوصول إلى غاياتهم التي يسعون إليها .

وفي شعره المتصل بالحضارة والتراث الإسلاميين ، تأكد لنا اعتزاز السنوسي بحضارة أمته الإسلامية وتراثها العريق ، وإخلاصه لهما .

وقد ظهر ذلك الاعتزاز في استلهامه للمبادئ والقيم التي قامت عليها تلك الحضارة ، كما ظهر إخلاصه في حثه لأبناء أمته على الانكباب على تراث أمته الضخم ، وبعثه من جديد ، والاستفادة منه في نهضتهم الحضارية المعاصرة . كما ظهر اعتزازه بحضارة أمته وإخلاصه لها في دفاعه عن اللغة العربية، مستحضراً الأدلة التي تؤكد عمقها ، وسعتها ، وقدرتها على احتواء كل المعارف الإنسانية الطريف منها والتليد .

ودفاع السنوسي عن اللغة العربية ، وإشادته بحضارة أمته الإسلامية ـ هما في واقع الأمر دفاع عن الإسلام ممثلاً في دستوره الذي تنزل بتلك اللغة ، وحضارته التي استمدت حضورها وسموقها من تعاليمه .

وفي دعوته إلى الجهاد ، وقفنا على نماذج عدة تعكس لنا مدى حنقه على المستعمر الغادر ، وصدق رغبته في إحياء هذا الواجب الإسلامي من قبل أبناء أمته، كما وقفنا على دوافع دعوته إلى الجهاد ، ومع احتفاله بالانتصارات التي تحققت على أيدي بعض أبناء أمته الإسلامية .

وفي دعوته إلى وحدة أمته العربية والإسلامية ، وقفنا على مدى اهتمامه بتحقيق تلك الوحدة ، وأكدنا تلازم الوحدة العربية والإسلامية فيه ، ووضحنا الأسباب التي دفعته إلى الإلحاح على الوحدة العربية ، ونفينا عن دعوته تلك صفة القومية التي وقع في براثنها عدد غير قليل من أدباء ومفكري الأمة العربية ، وأرجعنا ذلك إلى انتمائه إلى وطن وحكومة ترفض الدعوة إلى الوحدة العربية على أساس اللغة دون اعتبار للدين ، وإلى تلازم الدين واللغة في دعوته إليها .

وقد أشرنا إلى أن حرص السنوسي على عودة أمته الإسلامية إلى سابق عهدها، إضافة إلى خشيته من ضياع كل أراضيها في ظل الفرقة التي يعيشها أبناؤها ـ كانا وراء ذلك الإلحاح على وحدة العرب والمسلمين .

الفصل الثالث : « معاني الشعر الإسلامي » .

وقد جاء هذا الفصل في ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : أمحت فيه إلى أهم الأفكار والمعاني التي دار حولها أغلب شعر السنوسي الإسلامي ، ثم أشرت إلى بعض المعاني التي استوحاها من معاني القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، وتضمينه لبعض أحداث السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي .

المبحث الثاني : تناولت فيه بالدراسة التجربة الشعرية لدى شاعرنا ومظاهر صدقه الفني فيها .

المبحث الثالث : تناولت فيها بالدراسة الوحدة العضوية في شعر شاعرنا الإسلامي وأبرز مظاهرها فيه .

الفصل الرابع : « الشكل والصورة في الشعر الإسلامي » .

وقد جاء هذا الفصل في ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تناولت فيه بالدراسة معجم شاعرنا الإسلامي ، حيث أشرت إلى تأثره فيه بقراءاته المختلفة ، وبواقعه وعصره ، وعنيت بإبراز أثر ثقافته الإسلامية فيه ، كتأثره فيه بألفاظ القرآن الكريم ، وبعض ألفاظ الحديث النبوي الشريف ، والتاريخ الإسلامي .

المبحث الثاني : تناولت فيه بالدراسة أسلوب الشاعر في شعره الإسلامي ، وقد لمست في دراستي له تعدد أساليبه فيه ، وقد أرجعت ذلك لسعة ثقافته وشمولها . وتناولت بالدراسة الظواهر البارزة فيه ، كاقتباسه من الأسلوب القرآني ، والتكرار، والحوار ، والأسلوب القصصي .

المبحث الثالث : تناولت فيه بالدراسة الصورة الفنية في شعر شاعرنا الإسلامي، فوقفت عند المصادر التي استقى منها صوره ، ثم عرضت للخيال وحضوره في صور السنوسي الشعرية : المجازية والحقيقية ، ثم أشرت إلى دوره في توليد بعض الصور الذهنية من تراث أمته الإسلامية ، وقد اقتصرت في إيضاح ذلك على استخدامه لبعض الشخصيات التراثية في بعض تجاربه الشعرية .

ثم تناولت بالدراسة المفارقة التصويرية باعتبارها وسيلة من الوسائل التصويرية التي اتكأ عليها الشاعر في بعض تجاربه الشعرية .

وبعد هذه الخلاصة أستطيع أن أجمل أهم النتائج التي تمخضت عنها هذه الدراسة فيما يلي:

أولاً : أن الدراسة قد جلت وأوضحت غناء الاتجاه الإسلامي في شعر السنوسي، وتعدد مجالاته وموضوعاته .

ثانياً : جودة شعر السنوسي الإسلامي وتفوقه فنياً في أسلوبه وصورته .

ثالثاً : توافر التجربة الشعرية الصادقة والوحدة العضوية لشعر السنوسي الإسلامي في أكثر معانيه .

رابعاً : أن الرسالة ـ وإن كانت منصبة على دراسة الاتجاه الإسلامي في شعر السنوسي ـ استطاعت أن تضيف إلى الدراسات التي دارت حول شعر السنوسي ، فقد فصلت هذه الدراسة بعض ما أجمل في تلك الدراسات ، وقدمت في طياتها قدراً كبيراً من الجديد، ويمكن تلخيص ذلك في النقاط التالية :

أ ـ التعمق في دراسة الروافد التي أثرت في شعر شاعرنا ، سواء في معانيه ، أو في شكله وصورته .

ب ـ اكتشاف بعض الظواهر الأسلوبيه ، ودراستها ، كاقتباسه من الأسلوب القرآني ، والحوار ، والأسلوب القصصي .

ج ـ استخدامه للرمز التاريخي في كثير من تجاربه الشعرية ، واتكاؤه على المفارقة التصويرية في بعض تجاربه الشعرية .

وختاماً: فقد بذلت جهدي وطاقتي في هذا البحث المتواضع، فإن وفقت لما هدفت إليه فبفضل الله تعالى عليَّ وحسن توفيقه، وإن كانت الأخرى فحسبي أني بذلت جهدي وطاقتي، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم .

٢ - الاتجاه الإسلامي في الشعر السعودي الحديث ، قيمه في موازين النقد ، محمد عبده الشبيلي ، الرياض، الحرس الوطني ١٤١٠هـ-١٩٩٠ م .

٣ - الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، د. عبد القادر القط ط(٢) ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر .

٤ - إتجاهات وآراء في النقد الحديث ، د. محمد نايل ، ط الرسالة ، القاهرة سنة ١٩٧٤م.

٥ ـ أثر الإسلام في الشعر الحديث في سورية ، محمد عادل الهاشمي ط(١) ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦ م ، مكتبة المنار ، الأردن - الزرقاء.

٦ ـ أثر القرآن في الشعر العربي الحديث ، د. شلتاغ عبود شراد ط(١) ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م ، دار المعرفة .

٧ - الأدب الإسلامي ، إنسانيته وعالميته ، د. عدنان علي رضا النحوي ، ط(١) ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، درا النحوي للنشر والتوزيع .

٨ - استخدام الشخصية التراثية ، د. علي عشري زايد ، رسالة دكتوراة ، ١٩٧٤م ، دار العلوم .

٩ - الإسلام في شعر حمام ، د. طاهر عبد اللطيف عوض ، ط (١) ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية .

١٠ - الإسلام في مواجهة تيارات الفكر الغربي المعاصر ، د. محمد علي أبو ريان، الإسكندرية ١٩٨٥م، دار المعرفة الجامعية ، .

١١ - الإسلام ومبادىء نظم الحكم في الماركسية والديمقراطية الغربيـة ، د. عبد الحميد متولي ، الإسكندرية ١٩٧٦م، منشأة المعارف .

١٢ - الإسلامية والمذاهب الأدبيـة ، د . نجيـب الكيلانـي، مؤسسـة الرسـالة، ط ١٤٠٧هـ - ١٩٨٩م .

١٣ - الأعمال الكاملة للشاعر محمد بن علي السنوسي ، مطابع الروضة ، جـدة ، ط(١) ١٤٠٣هـ ، منشورات نادي جازان الأدبي.

١٤ - اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ، للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، ط (٣) بيروت - دار المعرفة ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١ م .

١٥ - انطونيو وكليوباترا ، دراسة مقارنة بين شكسبير وشوقي ، د. عبد الحكيم حسان ، ، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط(٢) ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .

١٦- بلاغة الكتاب في العصر العباسي ، د.محمد نبيد حجاب ، ط(٢) ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة .

١٧- تاريخ الطبري ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، دار المعارف ١٩٦٣م .

١٨ - تحرير التحبير ، لابن أبي الإصبع المصري ، تحقيـق الدكتـور حفـني شـرف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٩٦٣م ، القاهرة .

١٩ - التصوير الفني في القرآن ، سيد قطـب ، ط(٨) ١٤٠٣هــ ـ ١٩٨٣م دار الشروق.

٢٠ - تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام من امرىء القيس إلى ابن أبي ربيعـة د. شكري فيصل ، ط(٦) آذار (مارس) ١٩٨٢م ، دار العلم للملايين .

٢١ ـ التعبير الفني في القـرآن ، د. بكـري شـيخ أمـين ، ط(٣) ١٣٩٩هــ ـ ١٩٧٩م ، دار الشروق .

٢٢ - التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول ، د. مجاهد مصطفى بهجت منشـورات وزارة الأوقـاف والشـئون الدينيـة ، العـراق ـ بغـداد ـ ط(١) ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

٢٣ - ثورة الجزائر ، تأليف جوان جليبي ، ترجمة : عبد الرحمن صدقي أبو طالب ، مراجعة : د. راشد البرواي ، الدار المصرية للتأليف والترجمة، بدون تاريخ .

٢٤ ـ حالة الأمن في عهد الملك عبد العزيز ، تأليف رابح لطفي جمعه، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ م .

٢٥ - حسن كامل الصيرفي وتيارات التجديد في شعره ، د. محمد سعد فشوان ، ط(١) ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م ، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة ، ميدان الأزهر .

٢٦ - الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، د. بكري شيخ أمين ط(٥) شباط (فبراير) ١٩٨٦م ، دار العلم للملايين .

٢٧ - الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية ، عبد الله محمد حسين أبو داهش ، ط(١) ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ م ، منشورات دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام ، الرياض .

٢٨ ـ الحياة والموت في الشعر الأموي ، د. محمد بن حسن الزير ، ط(١) ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م ، دارمية للنشر والتوزيع .

٢٩ ـ الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول ـ ﷺ ـ، أنيس منصور ط(٧) ١٩٨٦م ، الزهراء للإعلام العربي .

٣٠ ـ خلفاء الرسول ، خالد محمد خالد ، دار الشروق ـ بيروت ، يناير ١٩٧١م .

٣١ - دراسات أدبية ، د. عمر الدسوقي ، ج(١) مكتبة الأنجلو نهضة مصر بالفجالة .

٣٢ - دراسات في الأدب الإسلامي ، سامي مكي العاني ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٨م .

٣٣ - دراسات في شعر محمد بن علي السنوسي ، لربيع محمد عبد العزيز وآخرين ط(١) ١٤١١هـ - ١٩٩١م .

٣٤ - الدين ، محمد عبد الله دراز ، القاهرة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢ م .

٣٥ - ديوان أبي فراس الحمداني ، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي ، دار الفكر للنشر والتوزيع - عمان، بدون تاريخ .

٣٦ - الديوان ، عباس محمود العقاد ، إبراهيم المازني ، ج(٢) ط (٣) .

٣٧ - رسالة الشعر في خدمة الدعوة وحركات الإصلاح ، د. عبد الرحيم محمود زلط، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٣م .

٣٨ - سيد قطب ، حياته الأدبية ، عبد الباقي محمد حسين ، ط(١) ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع .

٣٩ - السيرة النبوية ، لابن هشام / حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها مصطفى السقا ، إبراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ شلبي ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، بدون تاريخ .

٤٠ - الشعر الإسلامي في صدر الإسلام ، د. عبدالله الحامد ، ط(١) ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

٤١ - شعراء الجنوب ، تأليف محمد بن علي السنوسي ، محمد بن أحمد عيسى مطبعة الكمال ، عدن ، بدون تاريخ .

٤٢ - شعر حسين سرحان دراسة نقدية ، حمد عبدالله صالح المحسن ، كتاب النادي الأدبي الثقافي بجدة ، ١/٧/ ١١/ ١٤١١هـ - ١٦/ ١/ ١٩٩١م .

٤٣ - الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهر الفنية والمعنوية ، د. عز الدين إسماعيل ، ط(٣) ١٩٨١م ، دار العودة ودار الثقافة ، بيروت .

٤٤ - شعر الغزل في المملكة العربية السعودية ، علي المصري ، ط(١) عام ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

٤٥ - الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ، مصطفى عبد اللطيف السحرتي ط(٢) ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، جدة - المملكة العربية السعودية .

٤٦ - شعراء من أرض عبقر ، محمد العيد الخطراوي ، ج(٢) دار الأصفهاني للطباعة ، جدة ، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي .

٤٧ - الشوقيات ، أحمد شوقي ، ج (١) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

٤٨ - الطبيعة في الشعر الأندلسي ، د. جودة الركابي ، ط(٢) دمشق ، مكتبة أطلس ، ١٣٩٠هـ .

٤٩ - العصر الإسلامي ، د. شوقي ضيف ، ط(٧) دار المعارف بمصر.

٥٠ - عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، د. علي عشري زايد ، ط(٢) ١٩٧٩م.

٥١ - عنصر الصدق في الأدب ، د. محمد النويهي ، ط القاهرة ١٩٥٨م .

٥٢ - الغارة على التراث الإسلامي ، جمال سلطان ، ط(١) رمضان ١٤١٠هـ إبريل ١٩٩٠هـ .

٥٣ - فتح الباري ، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي ، قام بإخراجه وأشرف على طبعه محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ومكتباتها .

٥٤ - الفردوس في مأثور الخطاب ، تأليف أبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي ، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م .

٥٥ - في الأدب الإسلامي ، د. محمود شاكر سعيد ، ط(١) ١٤١٣هـ ، دار المعارج الدولية للنشر .

٥٦ - في الأدب الحديث ، د. عمر الدسوقي ، ط(٨) ١٩٧٣م، دار الفكر.

٥٧ - في الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية ، د. عبدالله الحامد ، ط(١) ١٤٠٢هـ ، مطابع حنيفة للأوفست بالرياض.

٥٨ ـ في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ط(١٥) ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م ، دار الشروق .

٥٩ ـ في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل ، ط(٣) مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

٦٠ - في النقد الأدبي ، د. شوقي ضيف ، ط(٥) دار المعارف .

٦١ - قضايا الشعر المعاصر ، نازك الملائكة ، ط(٧) نيسان (إبريل) ١٩٨٣م دار العلم للملايين - بيروت .

٦٢ - قضايا النقد الأدبي ، د. بدوي طبانة ، المطبعة الفنية الحديثة. بدون تاريخ .

٦٣ - الكامل في التاريخ ، لابن الأثير ، دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م .

٦٤ - كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس لإسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي ، أشرف على طبعه وتصحيحه والتعليق عليه أحمد القلاش ، ط(٣) بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٦٥ - لسان العرب ، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري ، دار صادر ، ط١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

٦٦ - لغة الشعر العراقي ، عمران خضير الكبيسي ، ط(١) ١٩٨٢م وكالة المطبوعات الكويت .

٦٧ ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبو الحسن الندوي ، ط(٩) ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م ، دار القلم .

٦٨ ـ المجاز وأثره في الدرس اللغوي ، د. محمد بدوي عبدالجليل ، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية ، ط (١) ١٩٧٥م .

٦٩ ـ مجمع الأمثال ، لأبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني ، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ، ج(١) ط (٢) ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩ م ، مطبعة السعادة بمصر .

٧٠ ـ محمد ﷺ في الشعر الحديث ، د. حلمي القاعود ط(١) ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٧م ، دارالوفاء للطباعة والنشر والتوزيع .

٧١ ـ محمد بن علي السنوسي حياته وشعره ، محمد بن سليمان القسومي ، رسالة ماجستير مخطوطة بكلية اللغة العربية في الرياض ، العام الجامعي ١٤١٣هـ - ١٤١٤هـ .

٧٢ـ محمد بن علي السنوسي شاعراً ، د. محمود شاكر سعيد ، ط(١) ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م ، عمان .

٧٣ ـ مختصر سيرة الرسول ﷺ لشيخ الإسلام مجدد القرن الثاني عشر محمد بن عبدالوهاب ، المكتبة الفيصلية، بدون تاريخ .

٧٤ ـ مدخل إلى الأدب الإسلامي ، د. نجيب الكيلاني ، ط(١) الدوحة رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية في دولة قطر ، ١٤٠٧هـ .

٧٥ ـ المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب الملمكة العربية السعودية ، علي على مصطفى صبح ، ط(١) سنة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

٧٦ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، بيروت.

٧٧ ـ مطران (نوابغ الفكر العربي) محمد عطا ، ط دار المعارف ١٩٥٩م .

٧٨ ـ معروف الرصافي ، دراسة أدبية لشاعر العراق وبيئته السياسية والاجتماعية، د. بدوي طبانه ، ط (٢) مكتبة الأنجلو المصرية .

٧٩ ـ المغرب العربي الكبير في العصر الحديث ، د. شوقي الجمل ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط(١) ١٣٧٩هـ - ١٩٧٧م .

٨٠ ـ معجم الأعلام ، معجم تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، بسام عبدالوهاب الجابي ، ط(١) ١٤٠٧هـ -١٩٨٧ م ، الجفان والجابي للطباعة والنشر .

٨١ ـ معجم الأعلام ، في الأساطير اليونانية والرومانية ، ترجمة أمين سلامة ط(١) ١٩٥٥/ ، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي .

٨٢ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، وضعه محمد فؤاد عبدالباقي ، ط(٣) ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م ، دار الحديث ، القاهرة .

٨٣ ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، رتبه : لفيف من المستشرقين ، ونشره : أ . ي ، ونستك ، مكتبة بريل في مدينة ليدن ، ١٩٣٦م .

٨٤ ـ المفقود من شعر علي بن محمد السنوسي ، دراسة تحليلية لشخصيته وتوثيقية لبعض قصائده ، جمع وتحقيق د. عبدا لله بن محمد بن حسين أبو داهش ، ط(١) ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م ، مطابع الجنوب .

٨٥ ـ من أعلام الشعر السعودي ، د. بدوي طبانة ، ط(١) ١٤١٢هـ -١٩٩٢م ، دار الرفاعي .

٨٦ ـ من قضايا الأدب الإسلامي ، د. صالح آدم بيلو ، ط(١) ١٤٠٥هـ -١٩٨٥ م د دار المنارة للنشر ، السعودية ـ جدة .

٨٧ ـ منهج الفن الإسلامي ، محمد قطب ، ط(٨) ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م ، دار الشروق.

٨٨ ـ النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر ، د. حسن بن فهد بن حسن الهويمل، الرياض ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م .

٨٩ ـ النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، سيد قطب ، بيروت .

٩٠ ـ النقد الأدبي أصوله واتجاهاته ، د. أحمد كمال زكي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر . بدون تاريخ .

٩١ ـ النقد الأدبي الحديث ، د.محمد غنيمي هلال ، مطبعة نهضة مصر . بدون تاريخ .

٩٢ ـ النقد العربي الحديث ومذاهبه ، د. محمد عبدالمنعم خفاجي ، ط الفجالة الجديدة بمصر سنة ١٩٧٥م .

٩٣ ـ نهضة الأدب المعاصر في الجزائر ، د. عبد الملك مرتاض ، ط(٢) ١٩٨٣م.

٩٤ ـ هذا هو الإسلام ، محمد عبدالقادر العماوي ، ط(٣) القاهرة دار الفكر الحديث للطباعة والنشر ١٩٧٣م .

الصحف والمجلات

أ ـ الصحف:

١ ـ البلاد، الأعداد: ٧٠٧١ في ١٤٠٢/٢/٢٨هـ .
٧١٦١ في ١٤٠٢/١٢/٢٩هـ .
٧١٧٩ في ١٤٠٣/٢/٢٠هـ .

١ ـ الندوة، العدد: ٦٤٠٨ في ١٤٠٠/١/١٤هـ .

ب ـ المجلات:

١ ـ مجلة الحرس الوطني : العدد : (٥٠) ربيع الآخر سنة ١٤٠٧هـ .

٢ ـ مجلة الفيصل : العدد (٧٣) ، رجب سنة ١٤٠٣هـ .
والعدد : (١٠٩)، رجب سنة ١٤٠٦هـ .

٣ ـ مجلة كلية اللغة العربية : العدد (١١) عام ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م .

٤ ـ مجلة المسلمون: العدد: (٣٨) في ١٤٠٢/٩/٢٥هـ .

٥ ـ مجلة المنهل : المجلدات : (٨) جمادى الثانية سنة ١٣٦٧هـ .

(١٤) ربيع الأول سنة ١٩٧٣هـ .

(١٥) ربيع الأول سنة ١٣٧٤هـ .

(٢٣) شعبان سنة ١٣٨٢هـ .

(٢٩) ذوالقعدة ، وذو الحجة سنة ١٣٨٨هـ .

(٣٨) محرم وصفر سنة ١٣٩٦هـ .

٦ ـ مجلة اليمامة: العدد (١١٤٨) رمضان سنة ١٤١١هـ .

العدد (١١٤٩) رمضان سنة ١٤١١هـ .

فهرس الموضوعات

الفصل الثالث:

الفصل الرابع: